دار نشر
أنباء روسيا
Russian News
www.russiannewsar.com

سلسلة الأدب الروسي 2

مسرحيات أنطون تشيخوف

ذات الفصل الواحد

(الفودفيل)



ترجمة
د. نادية إمام سلطان
و آخرين

مراجعة
د. محمد عباس محمد

الناشر



www.russiannewsar.com

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
د. حسين الشافعي
h.elshafie57@mail.ru

المراسلات
القاهرة – مدينة العبور – جمعية أحمد عرابي
مكتب بريد – ص. ب. 72

Tel. & Fax: + (202) 24698170 & 8071
E-mail: secertary_ert@yahoo.com

الإخراج الفني
مـى مجـدى

التحرير والمراجعة
شيماء محمد شعبان

الطباعة
دار الطباعة المتميزة
مدينة العبور – القاهرة
Tel. & Fax: (+2) 01006440011

الطبعة الأولى 2016
دار نشر أنباء روسيا

رقم الإيداع
2015 / 16647

مسـرحيـات أنطون تشيخف

ذات الفصل الواحد

(الفـودفيـل)

ترجمة

د. نادية إمام سلطان

وآخرين

مراجعة

د. محمد عباس محمد



www.russiannewsar.com

القاهرة 2016

مقدمه

المسرحية ذات الفصل الواحد

فن الفودفيل فى الأدب الروسى

يعد أنطون تشيخف[1] الأديب الروسى والذى ولد عام 1860، ورحل عن عالمنا 1904، رائداً ومبدعاً لفن القصة القصيرة ، وأستاذًا للمسرحيات التقليدية ، فهو فنان الدراما الواقعية ، حتى «... أصبح الوحيد الذى يحتل المرتبة الثانية بعد شكسبير Shakespeare من حيث الشهرة ، وتكرار عروض نصوصه»[2]. فلم يفتح آفاقًا جديدة لفن الدراما فحسب ، وإنما أيضًا لفن (المسرحيات ذات الفصل الواحد) ، والذى يُعرف بفن "الفودفيل"، "فقد عُرف فى البداية مؤلفًا مسرحيًا ماهرًا للفودفيل"[3].

ورغم أنه لم يعش أكثر من أربعة وأربعين عامًا ، وأن طريقه الإبداعى استمر ما يقرب من خمسة وعشرين عامًا ، إلا أن مؤلفاته الأدبية جاءت كنهر فياض يموج من خلاله العديد من القضايا الإنسانية والاجتماعية والأخلاقية والفلسفية والدينية والجمالية ، ويتلألأ فيه أبطال – بسطاء حقيقيون ، فنحن أمام كوكبة من شخصيات المجتمع الروسى من بينهم: الفلاحون البسطاء من أقصى شمال إلى أقصى جنوب أقاليم روسيا القيصرية ، ورجال الشرطة : الضباط والجنود ، والمولدة – (الداية) ، والممثلون، والخياطون ، والسجناء ، والطهاة ، ونماذج من المتدينات – الراهبات ، والشمامسة ، والمطارنة ، والقساوسة ، والرهبان ، وخادمو الدير ، والمرتلون فى كورال الكنيسة ،

1 ـ انظر بالتفصيل حياة الأديب أ. ب. تشيخف ، "أنطون تشيخف بعيون مصرية" (فى ذكرى مرور مائة وخمسين عامًا على ميلاده) القاهرة ، 2010.

2 ـ لورينس سينيليك ، "عروض مسرح تشيخوف . "قرن من العروض على خشبات مسارح العالم"، ترجمة : محمد رفعت يونس ، مراجعة : كمال الدين عيد، المركز القومى للترجمة ، القاهرة، 2010 ، ص 17.

3 ـ المرجع السابق ، ص 163.

ولاعبو السيرك ، والإقطاعيون ، والموظفون من مختلف درجات السلم الوظيفى التى وصلت إلى أربع عشرة درجة ، والخولى ، والجنرالات ، والمحامون ، والمهندسون ، وسارقو الخيل ، والتجار ، والخاطبة ، وعازفو البيانو ، ورجال المطافئ ، ومحققو القضاء ، والمدرسون، وأساتذة الجامعة ، والطلاب ، ورعاة الأغنام ، والخدم ، والحمالون ، والباعة، وسعاة البريد ، والأطفال ، والأطباء والعديد من أبناء طبقة النبلاء ، وبانوراما رائعة لعديد من الشخصيات النسائية .... فمؤلفاته الأدبية مليئة ومزدحمة بنماذج من البشر لا تتسع ميدانًا واسعا لاحتوائهم ، ولا يضاهيه فى هذا أحد من الكتاب المبدعين فى تاريخ الأدب الروسى ، ولا فى الأدب العالمى الحديث . ويؤكد الباحثون أن أنطون تشيخف كتب ما يقرب من تسعمائة قصة قصيرة هزلية خلال مشواره الفنى . وها هو الأديب يكتب رسالة بتاريخ 21 فبراير 1886، إلى ألكسيى سيرجييفتش سوفورين (1834 – 1912) يقول فيها : "إنى أكتب قليلاً نسبيا ، ليس أكثر من 2 ـ 3 ثلاث قصص فى الأسبوع"[4]، وفى رسالة أخرى إلى «جريجورى إيفانفيتش روسوليمو»(1860 – 1928) يؤكد فيها بأن هذه المؤلفات :« كانت تنشر فى الصف الأول (يقصد الصف الأول بكلية الطب) فى المجلات الأسبوعية ، وبدأت الاشتغال بالأدب فى بداية الثمانينيات حيث أصبح لى طابع مهنى محترف ثابت . وفى عام 1888 حصلت على جائزة (بوشكن)[5] ... ذلك إلى جانب كتابة تقارير الطب الشرعى ومقالات نقدية وأخرى ساخرة وخواطر قصيرة نقدية والتى كانت تنشر بين يوم وآخر فى الصحف... كتبت أكثر من ثلاثمائة ملزمة مطبعية تتضمن قصص وقصص قصيرة خلال عشرين عاماً من مشوارى الأدبى بالإضافة إلى كتابة المسرحيات الأدبية »[6] .

أضف إلى ذلك بما أنه كان طبيبا استطاع أن يتصل بشرائح متعددة من المجتمع الروسى من القمة إلى القاع ، فاستطاع بقلم الفنان المرهف ، وبحس الطبيب البارع ، وبقلب إنسان ينبض بالحب والعدل والحرية رسم صورًا حية واقعية لمعاصريه بكل ما لديهم من آلام وآمال ، من قهر وانتصار ، من بغض وتسامح ، من حزن وفرح ، من كره وحب. وكان من بين سماته الأصيلة أنه يقف ضد ظلم ومهانة وابتذال الضعفاء ، وقوة وغرور واستبداد الأقوياء ، ويكره الفظاظة والجهل ، ودائما يدعو إلى الخير ، والحق، والجمال، فهو يعيش فى الحقيقة ، فكرس حياته للدفاع عن الكرامة الإنسانية ، والتغنى بجمال النفس البشرية التى وهبها الله للإنسان خليفته فى الأرض ... فالواقع

---

4 ـ ا. تشيخف ، مجموعة المؤلفات الأدبية فى إثنى عشر مجلداً ، موسكو ، 1964 ، المجلد الثانى عشر ، ص 73 . (باللغة الروسية)

5 ـ جائزة بوشكن للمؤلفات الأدبية الرفيعة فى مجال النثر والشعر باللغة الروسية ، كانت قد تأسست عام 1881 ، من قبل أكاديمية بطرسبورج .

6 ـ ا. تشيخف ، مجموعة المؤلفات الأدبية فى إثنى عشر مجلداً ، موسكو ، 1964 ، المجلد الثانى عشر ، ص 323 . (باللغة الروسية)

الذى صوره جاء أروع من الخيال. وخلُص إلى أن الجميع من أبناء المجتمع مذنبون : فالطغاة استبدوا وطغوا ولم يردهم ويصدهم أحدٌ عن طغيانهم ، والضعفاء ركعوا وأهينوا وأُذلوا ولم يقولوا كلمة حق فى وجه سلطان جائر ، ولم يجرأوا أن ينطقوا بلفظة "لا" ويدافعوا عن حقوقهم ، وآخرون وقفوا عاجزين مكتوفي الأيدي دون أن يفعلوا شيئًا وتعاملوا مع الموقف بصورة سلبية - فالكل مذنب ولا يلوم أحد إلا نفسه .

غير أن مشوار أنطون تشيخف الحياتى والإبداعى لم يكن مفروشًا بالورود والأهازيج ، بل مكتظًا بالأشواك والصعاب . ولد فى بيت صغير ، لم ينعم بطفولة سعيدة[7] ، أو تعليم يسير . فالمدرسة كانت تبعد كثيرًا عن المنزل ، والطريق المؤدى إليها كان وعرًا مظلمًا ، فلم يمش فقط فى الوحل ، بل عند عبور الطريق كان عليه أن يقفز من حجر إلى آخر فيعتريه الخوفُ والفزع للغوص فى الطين . بدأ مشواره التعليمى فى مدرسة يونانية تابعة للكنيسة ، وكان الأطفال يُرغمون على حفظ الدروس عن ظهر قلب ، ذلك الأسلوب التعليمى الذى يؤدى إلى تبلد ذهن التلاميذ ، لأنه مبنى على الحفظ والتنفيذ ، دون تدبر وإعمال العقل والابتكار . وكان فيها أيضًا يتم ضربهم بالمسطرة ، ويجبرونهم على الركوع فى ركن من الفصل على ملح خشن . كانت مدينة تاجانروج التى ولد فيها تَعُج بالأجانب ومن بينهم اليونانيون ، الذين يمثل تعدادهم فى ذلك الوقت ما يقرب من 10 % من سكان المدينة ، ومن بين أهداف الوالد بافل يجورفيتش تشيخف أن يلتحق الابن بمدرسة يونانية كى ينضم فى المستقبل إلى زُمرة اليونانيين الأثرياء . ولإيمان الوالد وثقته بالتعليم ، أصرَّ على تعليم أبنائه. فالتحق أنطون تشيخف «بالجيمنازيا»[8]- المدرسة الثانوية - والتى تحمل الآن اسم الأديب ، وكانت قد تأسست عام 1806، وعند الإنتهاء من الدراسة فيها كان لخريجيها حق الالتحاق بأية جامعة فى روسيا دون امتحان ، أو السفر إلى الخارج لمواصلة الدراسة . كان هذا الطفل الصغير يذهب فى الخامسة صباحًا من كل يوم وحتى فى أيام الإجازات ، مع إخوته ، إلى الكنيسة للاشتراك فى كورال المرتلين بها ، ثم يذهب إلى المدرسة من الساعة التاسعة صباحاً وحتى الثالثة ظهراً .

وبعد المدرسة ، وعندما يرخى الليل سدوله ، وعلى ضوء شمعة باهت - يمسك التلميذ بأصابعه الصغيرة الريشة ويغمسها فى المحبرة ويبدأ فى استذكار دروسه المدرسية التى تستغرق أكثر من ثلاث ساعات إذ كانت تتطلب مجهوداً كبيراً ،

7 - أنطون تشيخف ، بعيون مصرية (فى ذكرى مرور مائة وخمسين عامًا على ميلاده) ، القاهرة ، 2010 ، ص 38 - 41.

8 - جيمنازيا: «Гимназия»: كلمة يونانية ، وتعنى مدرسة التعليم الثانوى ، يلتحق بها أبناء النبلاء والتجار ، والكهنة ، والموظفين ، ويدرس بها العديد من المواد: اللغة اللاتينية ، واليونانية ، الرياضة ، العلوم الطبيعية ، مادة الديانة المسيحية... إلخ

إلى جانب عمله فى دكان والده . ففى كثير من الأحيان كان الأب يطلب منه ذلك لمساعدته، مؤكداً أن العمل فى الدكان - مدرسة عملية للتعرف على الحياة، وبإمكانه مواصلة استذكار الدروس هناك . فيذهب إلى الدكان طاعة لوالده ، والدمع يجول فى عينيه ، ولا يستطيع أن يعترض . ففى الشتاء كان يسود الدكان جو قارس البرودة، ويقبع فيه البائع الصغير، ويقشعر بدنه من برودة الجو، ويتجمَّد دمه فى عروقه أحيانًا وتزرق يداه فيحشرها فى كمه كى يشعر بالدفء ، ويستذكر الدروس بشق الأنفس ، خشية حصوله على درجات سيئة فيلحق به الأذى من جانب والده. أضف إلى ذلك أنَّ الدكانَ تفوح فيه رائحة نفاذة للمواد الغذائية المليئة به مثل: زيت الزيتون ، والسجق ، والقهوة ، والسكر والشاى ، والفلفل ، والشمع ، والصابون ، وكثير من الأعشاب الطبية ... إلخ ، أما أقرانه فى فصل الصيف وأثناء الإجازة الصيفية - حيث سنوات الطفولة الذهبية السعيدة - يلعب الأطفال تحت أشعة الشمس الساطعة فى مرح وسعادة ، وينعمون بصحة جيدة ، أما هو فيشعر بالكآبة ، يجلس حزينًا سجينًا بين جدران أربعة ، مفصود اليد . تلك الفترة من حياته كان والده يقول له : «إن اللعب فى الشارع سيمزق الحذاء ، كما أنه مضيعة للوقت ، وضرب من التدليل» ، فما كان له إلا الانصياع لأوامر الوالد .

وتعد فترة الدراسة بالمدرسة الثانوية مرحلة مهمة فى حياة أنطون تشيخف استطاع خلالها إثبات ذاته ، وبكل إصرار واصل تعليمه ليصبح نافعا لخدمة الناس ، فخير الناس أنفعهم للناس ، وفى الوقت نفسه يحقق رسالته بكل جدارة فى الحياة. ومن بين الشخصيات - التى لها مكانة خاصة فى حياة أديب المستقبل فى هذه الآونة – فيودر بلاتونافيتش باكروفسكى (1853 – 1893) – مدرس الديانة المسيحية الذى ساعد الأسرة مرات عديدة ، عندما كانت تعانى من شظف الحياة وعثراتها المادية ، فكان يقنع مدير إدارة المدرسة بتأجيل سداد دفع المصروفات لأنطون وإخوته والاستماع إلى الدروس مؤقتًا دون دفع المصروفات . والجدير بالذكر أن هذا المدرس هو الذى منح أنطون تشيخف الاسم المستعار «أنتوشا تشيخونتيى» (Антоша Чехонте) الذى استخدمه الأديب فيما بعد فى بداية مشواره الفنى الإبداعى . وعلى الرغم من أوقات الشدة التى كان يمر بها فلم يعُق الأديب شيء عن مواصلة التعليم بمثابرة وحماس . تعرَف أنطون على كل ما يدور حوله واهتم بقراءة العديد من المؤلفات الأدبية لكثير من الكتاب، وولع بالموسيقى ، والمسرح وأصبح من عشاقه ومن رواده . ففى الثالثة عشر من عمره شاهد العديد من الأعمال المسرحية ومن بين أهم المسرحيات التى يحبها ويفضلها: "هاملت" لوليم شكسبير ، و " المفتش العام " ن. ف. جوجل . وقد قام بالاشتراك مع أشقائه بتمثيل هذه المسرحية ، ولعب فيها دورَ رئيس المدينة . ويؤكد د. ماهر عسل أن "أنطون تشيخف" تمتع بموهبة التمثيل ، ومنذ طفولته المبكرة وصباه كان " يلجأ

عن غير وعى إلى روح الفكاهة ، يدفع بها عن نفسه كل ما يثير الحزن والكآبة، ولعله وإخوته كانوا يثأرون لأنفسهم من الحياة بالسخرية منها ، وكان أنطون الصغير بارعا فى التمثيل ، بحيث يستطيع بسرعة خارقة أن يبدل ملامحه وصوته فيتقمص شخصية طبيب أسنان وراهب ومدرس عجوز واحدا بعد الآخر ... ويحكى أن أنطون قد ذهب ذات يوم متنكرا فى زى شحاذ إلى بيت عمه ، حاملاً ورقة يصف فيها حياته البائسة ، ولم يستطع العم أن يتعرف على ابن أخيه ، وتأثر تأثرا شديدا بما كتبه أنطون فى تلك الورقة ، وتصدق عليه بالفعل ... ولعل هذا الحادث كان بمثابة ميلاده كمؤلف وممثل"[9] .

هكذا أصبح لديه انطباع جميل عن الحياة لكل ما هو طيب ولطيف ، وآخر قبيح ودميم لكل ما هو كذب وقح ونفاق مزرى . وهذا ما يؤكده أنطون تشيخف عن ذكريات الطفولة التى لا تمحى أبداً من ذاكرته فى رساله إلى شقيقه الأكبر ألكسندر : «أتوسل إليك أن تتذكر أن الاستبداد والكذب قد أضاعا شباب والدتك. الاستبداد والكذب أفسدا طفولتنا ، لدرجة أنهما يثيران الشعور بالاشمئزاز والخوف عند تذكرهما»[10]. هكذا تشكلت رؤية الأديب الخاصة بالعالم المحيط . وأصبحت فيما بعد محور العديد من مؤلفاته الأدبية . والجدير بالذكر أنه على الرغم من انتقال أنطون تشيخف إلى موسكو للالتحاق بجامعتها إلا أنه كان من وقت إلى آخر يتردد على مدينة تاجانروج – مسقط رأسه العزيز إلى قلبه . هذا المكان الملئ بثقافات مختلفة وموجات حضارية متنوعة ، يعد من أهم ينابيع وروافد المعرفة التاريخية والثقافية والاجتماعية والدينية ، لتكون المكون الأساسى لأفكاره ومشاعره وللغته الروسية الثرية ، التى وصفها فيما بعد الشاعر فلاديمر فلاديميرافيتش مايكوفسكى (1893 – 1930) بأنه "أحد ملوك اللغة".

هكذا نشأ وترعرع أنطون تشيخف فى مدينة تاجانروج ، ومرت سنوات طفولته ، ودراسته فى الجيمنازيا ، وعمله بائعاً فى دكان والده ، ومنشداً فى كورال الكنيسة، ومُدرسًا يعطى دروسًا خصوصية لأبناء أثرياء الموظفين ، والتجار ، والكهنة ليكسب قوت يومه – كل هذا أصقل وهذب ونمق لغته ، وأصبح صاحب أجمل العبارات وأبلغها، والتى سارت فيما بعد من التعبيرات السائرة بين العامة والخاصة فى روسيا.

لم يكن طريقُ كاتب المستقبل سهلاً يسيرًا ، بل وعرًا صعبًا ، مُلبدًا بالغيوم . فموهبته أثارت الكثيرَ من الخلاف والجدل . فوقف بعض نقاد عصره حجر عثرة فى طريقه ، فلم ينقدوا مؤلفاته الأدبية حسب منهج علمى يتسم بالموضوعية والإنصاف

9 - د. ماهر عسل ، مسرحيات عالمية ، القاهرة ، 1968 ، ص 5 .

10 ـ خطاب أنطون تشيخف لأخيه أنطون فى مجموعة المؤلفات الأدبية فى إثنى عشر مجلداً ، موسكو ، 1963 ، المجلد الحادى عشر ، ص 315 .

والدقة ، لأنَّ النقدَ الأدبى ، كما نرى ، يُعد أحد الأجناس الأدبية مثل الشعر ، والنثر، والدراما . وأن الناقد الأدبى مثله مثل الشاعر والأديب ، يكتب نقدًا إبداعيًا فنيًا . فالناقد عليه أن يقوم بتفسير وتأويل النص بدراسة الأفكار والمضامين ، وكذلك يشير إلى الجانبين الإيجابى ، أو السلبى ، وانطباعاته لجماليات النص والمحسنات البديعية للغة المستخدمة ، إلى جانب أن يضع فى الاعتبار أنه يربى التذوق الأدبى والفنى للقارئ ويعمل على تنمية وعيه ، فالكلمة بالنسبة للناقد تعد أداة إقناع ، كما تعد أعماله النقدية همزة الوصل بين الأديب ومؤلفاته والجمهور. إلا أنه فى هذه المرحلة نجد أن بعض النقاد صاروا عكس التيار ، وضد المعايير المنطقية الموضوعية للنقد ، وعملوا فقط وفقًا للأهواء الشخصية ، محدثين فقاعات هوائية كى يجذبوا إليهم الأنظار ويحققوا الشهرة لأنفسهم . فقد رددت بعض أقلام النقاد غير المنصفة نقدًا لاذعًا حادًا صبت فيه الاتهامات على أنطون تشيخف، ومؤلفاته الأدبية فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . كان من بينهم ألكسندر ميخيلافيتش سكابيتشيفسكى (1838 ـ1911)، ونيكلاى فيدرافيتش سومتسوف (1854 – 1922) ، و بيوتر بيوتروفيتش بيرتسوف (1868 – 1947)، فحكم أحدهم قدحًا وذمًا: بأن مؤلفات أنطون تشيخف تشبه صندوق عجائب الدنيا ، وتغيب عنها الأفكار والمضامين ... وذهب آخر: أن «حكاية مملة» (من مذكرات رجل عجوز) (1889) ما هى إلا دمية ضعيفة ... وأكد ثالث: أنه لا يعد كاتباً كوميديًا ساخرًا لأن هذا يفوق موهبته وقدراته والمهارات الفنية التى يمتلكها ، فهى ضيقة الأفق ومحدودة الأفكار ، فكان عليه أن يكون أكثر قربًا من الناس ومن الحياة ...

بل أكثر من هذا وصفه وصوره بعضهم بأنه «ضعيف الإرادة»، «سلبى»، «ساذج»، «خامل» ، «ذابل» ، «واهن» ، «فقير الدم» ، «شاحب» ، «فاتر» ، «بطئ الحركة»، «متراخ» ، «متشائم» .... فنرى أن الأمر اختلط عليهم ، فهذه السمات يمكن أن تكون وصفًا للحالة الصحية فى الشهور الأخيرة قبل وفاته ، فقد نال منه مرض السل وأصابه بالضعف والوهن والسعال إلا أنه لم يستكن ويستسلم للمرض ، بل واجهه بإرادة وعزيمة ، وبشجاعة وصبر ، ولم تفارقه الحيوية المرحة والفكاهة المضحكة حتى نهاية حياته . كما سارع بعض النقاد لينالوا منه بتشبيهه بآلة التصوير التى تصور كل ما يقع أمام عدستها وينقلها إلى مؤلفاته ... حقًا إن أنطون تشيخف لم يصور كل ما يحيط به ، فهو لم يقم بوظيفة عدسة الكاميرا ذاتها ، بل ذهب أبعد من هذا، فبمنتهى الدقة قام بتحليل كل ما يقع فى مرمى نظره ، وأصبح مضمونًا لمؤلفاته . فصوَّر الكثيرَ من الظروف والعلاقات الاجتماعية لحياة المواطن الروسى فى هذا الزمان:

العلاقات بين الأغنياء والفقراء ، بين المدراء وصغار العاملين بين موظفى درجات السلم الوظيفى المختلفة ، والعلاقات بين أفراد الأسرة ، مما يجعلنا نؤكد بأنه لم يصور الحياة فقط ، بل قام بتحليلها اجتماعيا ونفسيا وفلسفيا . وهذا ما أثبته الناقد فلاديمير باريسافيتش كاتايف (1938) – وهو أحد النقاد المعاصرين رفيعى الثقافة ومتفتحى العقول - فيقول : " نستطيع أن نتعرف من خلال مؤلفاته على الحياة فى روسيا فى هذه الحقبة: العصر التشخوفى . فكثير من الأشياء منذ عصر تشيخف ربما تكون قد تغيرت فى روسيا ، وفى جميع أنحاء العالم ، فبعض مفردات الكلمات على سبيل المثال: درجات السلم الوظيفى قد أصبحت بالية ، ولم تعد تستخدم فى وقتنا المعاصر . إلا أنه فى حقيقة الأمر ، هناك الكثير بقى دون تغيير ، فالعلاقات الاجتماعية ، بقيت حتى الآن لدرجة ما فى روسيا الحديثة ... إن مؤلفات تشيخف مفهومة لنا الآن كصورة رحبة للعلاقات الاجتماعية ، فإذا ما اقتصر الأمر على رأى هؤلاء النقاد المعارضين للكاتب ، لبقيت مؤلفات تشيخف حبيسة عصرها ولم تعبر حدود الزمان والمكان ..." [11].

وهكذا رسم أنطون تشيخف لوحة طبيعية لنماذج من الحياة ، واحتفظ برونق التحليل النفسى الدقيق لكل ما وقع فى مجال بصره . فنجده يصوُر و يحلل الطباع الإنسانية وأمزجتهم وأخلاقهم وتصرفاتهم .

وردا على هذه الافتراءات والادعاءات ، فبالإيجاز ، والاقتضاب ، وقوة التعبير - الذى يتميز به أسلوبه فى السرد - وكما عهدنا فيه - يرد أنطون تشيخف على هؤلاء النقاد ، فيقول : " يا للعجب ، كله سخافة (يقصد النقد) ، وتفاهة ، وأنا شخصيا أعتبر ذلك قد وصل إلى حد الابتذال" . وفى مقام آخر يعرب عن حسرته لما وصل إليه النقد الأدبى حينها: "آه ، يا ليت أن يكون لدينا نقد يهدى الإنسان كالنجمة فى الظلمة الحالكة". تعددت آراء أنطون تشيخف بالنسبة للمقالات الانتقادية فيؤكد: " أقرأ ولا أستطيع أن أفهم ، هل هم يمتدحوننى أم يرثون حال روحى المتهالكة ؟! يا لها من موهبة ! يا لها من موهبة! وفى الوقت نفسه يترحمون على روحى" . وها هى كلمات أخرى ، يقول فيها : " النقاد مثل ذبابة الخيل ، التى تعوق الخيل وقت حرث الأرض ... منذ أكثر من خمسة وعشرين عاما أقرأ النقد الذى يخص قصصى القصيرة ، ولا أذكر حتى إشارة واحدة ذات قيمة تترك انطباعا جيدا عنىَ .... النقد يقول إننى سكران طينة وسأموت بالقرب من السياج" ... "النقد شيء مرعب ، لا تنتظر منه مساندة ، أو تسامح حتى مع حديثي العهد بالعمل الأدبى ... فهو ببساطة جائر وقاسى ... لو تَعرف كم أهانونى بقسوة وبلا هوادة ! فقد نصبوا أنفسهم قضاة البشرية". وكناقد أدبى وبكلمات بسيطة واضحة يؤكد أنطون تشيخف: " لقد أردت – فحسب - أن أقول

11 - ف. ب. كاتايف ، "من كاتب هزلى إلى أديب اعتلى القمة ، القاهرة ، 2005 ، ص 35 – 36 (باللغة الروسية) .

للناس بصدق وبصراحة: انظروا إلى أنفسكم، انظروا كيف تحيون حياة سيئة مملة؟ فأهم شيء أن يفهم الناس ذلك، وعندما يفهمون سيشيدون حتمًا حياة أخرى أفضل. ولن أراها، ولكنى أعرف أنها ستكون حياة مختلفة تمامًا، لا تشبه هذه الحياة. وطالما لم تحل بعد فسوف أظل أردد للناس مرة بعد مرة: فلتفهموا كيف تحيون حياة سيئة مملة". وفى رسالة بتاريخ 1 مارس عام 1901 إلى زوجته أولجا ليوناردافنا كنيبر (1868 ـ 1959) يكتب فيها: "أنا شخصيًا سأتخلى عن المسرح تمامًا، لن أكتب بعد للمسرح. فمن الممكن أن أكتب للمسرح فى ألمانيا، وسويسرا، وحتى فى إسبانيا، ولكن ليس فى روسيا، حيث لا يحترمون مؤلفى المسرح ويرفسونهم بحوافرهم، ولن يسامحوهم لنجاحهم أو لفشلهم. وللمرة الأولى فى حياتك. يسبونك؛ لأنك شخص حساس، ومع مرور الوقت كل شيء يمر دون أن تشعرين، ثم تعتادين على هذا"[12].

وإذا كان هناك القليلُ من النقاد قد انتقدوه، فلا غبار على ذلك، إذا كان النقد مبنيًا على أسس علمية. إلا أنه تمر السنواتُ ويمحو الزمن ذكرى هذه الكلمات، وتدرك الأجيال الحديثة القيمة الفنية الحقيقية لفنان الكلمة أنطون تشيخف. ففى المقابل امتدحه المئات بل الألوف فى روسيا وخارج حدودها، وهم كُثُر، فقد تعدى إبداعه حدود الزمان والمكان. فعلى سبيل المثال لا الحصر يؤكد الروائى ليف نيكلايفتش تلستوى (1828 ـ 1910) أن مؤلفات أنطون تشيخف تحتل مكانة عالمية لأنه «.. فنان لا نظير له. نعم ... لا نظير له. إنه فنان الحياة، وميزة فنه أنه مفهومٌ وقريبٌ ليس لكل إنسان روسى فحسب، بل ولكل إنسان عامة.. وهذا هو المهم»، ويكتب عنه الكاتب مكسيم جوركى (1868ـ 1936): «ما أطيب أن تتذكر إنسانًا كهذا ... فعلى الفور يعود النشاط إلى حياتك، ومن جديد يدخل إليها معنى واضح ...»، ويقدر «قسطنطين فيدين » (1892 – 1977) إبداع أنطون تشيخف، فيقول: «... بموهبته فى رؤية العالم، يقف فى الصف الرائع لكلاسيكيى القرن التاسع عشر، ذلك الصف الذى يستهله اسم بوشكين الساطع. أما فن الكتابة لديه، والذى يبهرنا ببساطة الشكل الصارمة، قد جعل منه كلاسيكيًا عالميًا». ورأى ألكسندر فادييف (1901ـ 1956) فى أعماله «تجاوبًا عميقًا مع المستقبل».

اتسمت مؤلفات أنطون تشيخف بشهرة واسعة فى كثير من بلدان العالم. فكتب عنه الأديب المسرحى الإيرلندى جورج برنارد شو (1856ـ1950) «إن أنطون تشيخف ـ يسطع كنجم من الدرجة الأولى وسط كوكبة المسرحيين الأوربيين العظام ...» ـ. وفى مصر يؤكد الكاتب محمود تيمور (1894 – 1973) أن مؤلفات أنطون تشيخف «تتميز بالصدق والبساطة ... وأنه يكتب بفكره ووجدانه دون مجهود أو تصنع أو تكلف...» ويعترفُ الدكتور الطاهر أحمد مكى (1924): أن تشيخف «يعد اليوم

12 ـ ا. تشيخف، مجموعة المؤلفات الأدبية فى إثنى عشر مجلداً، موسكو، 1963، المجلد الثانى عشر، ص 399.

واحدًا من أعظم كُتاب القصة فى العالم وأهم كُتاب روسيا وأوضحهم تأثيراً فيمن جاءوا بعده »[13] . كما يشير الدكتور رشاد رشدى إلى فلسفة أنطون تشيخف فى الكتابة المسرحية : «لقد كانت له فلسفة هى ما يمكن أن نسميها فلسفة العادى فقد كان يرى أن الحياة العادية أو التى تبدو عادية هى التى يكمن فيها كل شيء ... سعادتنا وشقاؤنا ، آلامنا وأفراحنا ، آمالنا وأحلامنا ، ما تحقق وما لم يتحقق ...»[14] . ويقرَ الأستاذ كمال عيد : «إن شخصياته فى رسمها الدقيق قد صورت مزايا عصره تصويرًا واضحًا دقيقًا ... وبهذا سجَل فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر روسيا القيصرية تسجيلاً يعجز المؤرخون عن تأريخه ... سجلها فى أعماله الأدبية بمقاييس صادقة ومعايير دقيقة متشابهاً فى ذلك مع أونورى دى بلزاك الكاتب الفرنسى المشهور»[15] . ويؤكد الدكتور محمد مندور بأن الأديب أنطون تشيخف : "مثَل فريد لكبار الأدباء الذين نفذوا من خلال المحلية الخالصة إلى الحقائق الإنسانية العامة" [16] .

وعن المكانة الخاصة التى يعتليها الأديب فى العالم العربى يشيد بها الدكتور محمد يونس: «أن للأديب مكانة متميزة فى قلب القارئ والناقد والكاتب والفنان العربى ، لا يكاد أن يقاسمه فيها إلا القلة من عمالقة الأدب الإنسانى العالمى»[17] . ويكشف الدكتور ماهر عسل عن موهبة أنطون تشيخف التى استطاعت : « أن ترقى إلى قمم فنية عديدة ، وأن تظل دومًا غيرَ راضيةٍ عما حققت ، طامحة إلى التحليق فى آفاق جديدة وموضوعات مبتكرة فريدة»[18] وفى حوار للكاتب الصحفى الساخر الكبير أحمد بهجت (1932 – 2011) ، والذى نُشِرَ فى ملحق عدد الجمعة بتاريخ 19 أغسطس 2011 ، قبل وفاته بفترة قصيرة 11 ديسمبر 2011 ، يقول: « لابد أن أقرأ الأدب الروسى فهو مدرسة لا مثيلَ لها ... » ثم يستطرد فى الكلام ويؤكد «وتعلمت من أنطون تشيخف كيف يكون الغوصُ فى النفس البشرية ... وتعلمت من قدرته الخاصة على كشف الحقيقة العميقة التى لا يراها الغالبية العظمى من البشر ... وتعلمت أن من الحكمة قبل أن تصدر أحكامًا قاسية على البشر أن تبحث لهم عن أعذار إنسانية ... وأن تبعد دائمًا عن كرسى القاضى والجلاد... » ثم يتحدث عن أحلى وأحب قصص الأديب التى تسكن قلبه ويراها مدهشة وحية حتى الآن هى قصة

13ـ د. الطاهر أحمد مكى ، "القصة القصيرة ـ دراسة ومختارات ، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، القاهرة ، دار المعارف

14 ـ د. رشاد رشدى ، "نظرية الدراما من أرسطو إلى الآن" ، القاهرة ، 1968 ، ص 277 .

15 ـ كمال عيد ، دراسات فى الأدب والمسرح ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 13 .

16 ـ د. محمد مندور ، «المسرح العالمى» ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص 219 .

17 - د. محمد يونس ، "الكلاسيكيون الروس والأدب العربى" ، بغداد ، 1985 ، ص 117 .

18 - د. ماهر عسل ، مسرحيات عالمية ، القاهرة ، 1968 ، ص 8 – 9 .

«الحرباء» ، لأن فى رأيه "أن الحرباء موجودة فى كل عصر وأوان". هكذا امتدح العديد مؤلفات أنطون تشيخف . كما تأثر به العديد من أدباء مصر على سبيل المثال : يوسف إدريس ، نعمان عاشور ، إبراهيم أصلان ، وأبو المعاطى أبو النجا ... وآخرون .

ويجدر الإشارة هنا إلى التأكيد على المكانة المرموقة التى يشغلها الأديب أنطون تشيخف فى قلوب المصريين . ففى 19 /4/ 2011 تم إزاحة الستار عن تمثال برونزى للكاتب بمناسبة مرور مائة وخمسين عامًا على ميلاده فى احتفالية كبرى فى حديقة المركز الروسى للعلوم والثقافة بالقاهرة ، والذى كان من المفترض أن يتم افتتاحه فى نهاية شهر يناير إلا أن الأحداث السياسية حالت دون ذلك . وهذا التمثال هدية من الجمعية المصرية لخريجى الجامعات والمعاهد الروسية فى مصر تقديرًا للدور الذى لعبه الأديب ليس فى روسيا والعالم ، وإنما أيضًا فى مصر . وقد قام بهذا العمل الفنى الرائع النحات المصرى القدير الدكتور أسامة السروى - أحد خريجى المعهد الأكاديمى لفنون الرسم ، والنحت ، والعمارة - بمدينة سانت بطرسبورج . وقد جسد الفنان صورة الأديب أنطون تشيخف كأنه قريبٌ جدًا منه وعلى معرفة وثيقة به . فهو يجلس ثابتًا على مقعد وثير ، واضعًا ساقا على ساق يرمز إلى المكانة العالمية التى يتمتع بها الأديب على عرش الأدب العالمى ، وكذلك يلمس بالسبابة صدغه مُستغرقًا فى التفكير ليس فقط فى حياة الشعب الروسى ، بل مشغولَ البال أيضًا بالإنسان البسيط فى كل مكان وأيضاً أظهر النحات المصرى الأصيل ملامح وجه الأديب أنطون تشيخف المميزة ، واضعاً نظارة كانت شائعة بين مثقفى عصره ، وأبرز تأنقه الشديد فى ملبسه الكلاسيكى ، مؤكداً بهذا كلمات الأديب الخالدة حيث قال: «يكمن فى الإنسان كل ما هو جميل فى محياه ، وملبسه ، وروحه ، وأفكاره » .

وهذا يعنى أن على الإنسان أن يكون جميلاً فى مظهره وأيضاً فى عالمه الداخلى بما يحمله من إيمان وصفاء ، ووفاء . ويجسد الدكتور أسامة السروى فى هذا التمثال ملامح الطبقة المثقفة المتعلمة التى ينتمى إليها الأديب والتى تقود الإنسان إلى التقدم والإزدهار بما لديها من علم ومعرفة ، ممسكاً كتاباً بيده يرمز إلى ضرورة وحتمية التعليم والتعلم طالما بقى الإنسان على كوكب الأرض . هذا هو أول تمثال لأحد الكتاب الروس الكلاسيكيين على أرض الكنانة مصر . وقد حضر هذا الاحتفال لفيف من رجال الفن والثقافة وأساتذة من الجامعات المصرية . كما حضره سعادة سفير روسيا الاتحادية بالقاهرة آنذاك ميخائيل بجدانف ، ومعالى وزير الثقافة المصرية الدكتور عماد أبو غازى حينها ، والذى أشاد بأن أنطون تشيخف يُعد من ألمع وأشهر الأدباء الروس فى مصر ، وله تأثير كبير ليس فقط على كثير من الأدباء المصريين ، بل وعلى الأعمال المسرحية المصرية ، فقد تعرَّف العامة والخاصة على مؤلفات أنطون تشيخف الأدبية من خلال ترجمة الدكتور أبو بكر يوسف .



تمثال الأديب "أنطون تشيخف" المقام بحديقة المركز الروسى للعلوم والثقافة بالقاهرة
من أعمال النحات المصرى القدير الدكتور أسامة السروى

وفى السادس والعشرين من شهر فبراير عام 2015 م استقبل المركز الروسى للعلوم والثقافة بالقاهرة جمهوراً من مُحبىَ وعاشقى الأديب الراحل أمام نصبه التذكارى ، حيث التفُ الجميع حوله ونثروا الورود احتفالاً بمرور مائة وخمسة وخمسين عاماً على ميلاده ، مؤكدين أهمية مؤلفاته الأدبية – من قصة قصيرة وقصة ومسرحية – ذات المضمون الإنسانى والتى ترجم أغلبها إلى أكثر من مائة لغة أجنبية كما ظهر على شاشة السينما أكثر من أربعة وتسعين فيلماً مأخوذة عن أعماله الأدبية فى روسيا ومازالت أعماله المسرحية تقدم على خشبة المسرح المصرى . وبهذه المناسبة قدَم الدكتور أسامة السروى لوحة زيتية (بورتريه) لأنطون تشيخف هدية للمدرسة الروسية فى القاهرة .

تناول العديدُ من النقاد الروس والأجانب سيرته الذاتية ومؤلفاته الأدبية ، وسنتوقف هنا قليلاً عند أحد هذه الأعمال النقدية ، ونحن ليس بصدد نقد هذا الكتاب بما له أو عليه ، وإنما نود الإشارة إلى أهمية هذا الكتاب: « تشيخف . السيرة الذاتية» للناقد الإنجليزى أرنست سيمنز[19]. فهو مجلد يقع فى 669 صفحة ، ويُعد من أحد أفضل الكتب الأجنبية عن أنطون تشيخف ويتضمن العديدَ من المواد الأرشيفية والمخطوطات باللغة الروسية والإنجليزية ، ويعطى صورة كاملة مستفيضة للحياة الاجتماعية والأخلاقية ، والفلسفية للأديب ويلقى الضوء بالتحليل وبدقة متناهية ، وشديد التفحص على الجوانب الغامضة فى سيرته الذاتية وفقًا لتسلسل الأحداث تاريخياً .

ينقسم هذا المجلد إلى ستة فصول: الأول ـ «الطفولة ، المراهقة ، الشباب» (1860-1886) ، الثانى ـ «اكتشاف الموهبة» (1886 – 1889) ، الثالث ـ «المعاناة ، رحلة البحث الأدبى ، النضج» (1889- 1892) ، الرابع ـ «مرحلة ميليخوفا» (1892- 1898) ، الخامس ـ "بداية مرحلة يالتا"(1898- 1900) ، السادس ـ "الزواج والوفاة" (1901 ـ 1904) . فهو بحق يعد عملاً جاداً لا يوجد له مثيل فى حجمه حتى فى روسيا. كما نود الإشارة إلى أحد الكتب الأمريكية والتى صدرت عن الكاتب الروسى بعنوان " تشيخف ونثره" للناقد توماس وينر[20] الذى يتميز بالدقة عن العديد من الأعمال التى صدرت خارج روسيا، لدراسة إبداع أنطون تشيخف . فيتكوَنُ من مقدمة وثلاثة عشرَ فصلاً . ففى المقدمة يؤكد الناقد أن أنطون تشيخف أحد أشهر كتاب القصة القصيرة ، أسهم فى تطور هذا الجنس الأدبى ، ليس فقط فى الشكل البنائى والمهارات الفنية ، وإنما شمل أيضًا الأفكار والموضوعات التى تناولها . ويؤكد توماس وينر لكى يتم الحكم بحق وإنصاف على مؤلفات أنطون تشيخف فلابد للناقد الأدبى أن يكون على دراية

19 - أرنست سيمنز ، تشيخف ، السيرة الذاتية ، 1962 .

20 ـ توماس وينر ، تشيخف ومؤلفاته النثرية ، نيويورك ، 1966 .



بورتريه "أنطون تشيخف" للدكتور الفنان أسامة السروى

بالأحداث التاريخية، والنظم الاجتماعية، والصراع الطبقى، والتراث الأدبى فى روسيا. كما لابد من الاعتراف بأن مرحلة أنطون تشيخف جاءت فى وجود عملاقين من الأدباء الروس فيودر ميخيلافيتش داستيفسكى (1821 - 1881) وليف نيكلايفتش تلستوى (1828 - 1910) - والتى تعد أزهى عصور الأدب الروسى، وكما يطلق عليه - الأدب الذهبى. فاستطاع أن يثبت جدارته الإبداعية واللحاق بركب المبدعين، وأصبح من أهم وأشهر الأدباء الروس، بل أكثر من هذا فقد أثر الشكل الأدبى وأسلوب أنطون تشيخف على كثير من الأدباء الجدد من الروس والأجانب.

تناولت فصول الكتاب تحليل باكورة مؤلفات الأديب بداية من "أنتوشا تشيخونتيى" إلى أنطون تشيخف، والارتباط الأيديولوجى والفنى بين ل. ن. تلستوى وأنطون تشيخف، والخصائص الفنية التى شملت الإيجاز، وكشف خبايا الأبطال بنقل مسحة ملموسة لانفعالات الخوالج النفسية، كما اهتم الناقد بعين فاحصة بأسلوب الأديب مؤكدًا على موسيقى لغته الفريدة التى تتميز بأساليب بلاغية متعددة. وبذل الناقد جهدًا كبيرًا فى تعريف القارئ الأجنبى المتحدث باللغة الإنجليزية بالقيم الجمالية اللغوية المتنوعة بالمفردات التى يرتشفها أنطون تشيخف من العديد من المجالات الحياتية والكتب المقدسة، والمعاجم، وأحاديث البسطاء، فدائمًا يوصى الأديب بالسفر فى عربات الدرجة الثالثة فإنها تحتوى على "أشياء كثيرة طريفة للغاية". فمؤلفاته الأدبية، مفعمة بهذه المفردات برسمه للطبيعة الروسية الغناء المتنوعة سواء للأنهار، والهواء المعطر بعبير الزهور، وصدح الطيور، ووميض الشمس الساطع، وفى كثير من الجمل تسمع وتحس بنظم الإيقاع الشعرى، بلغة سهلة حية رائعة معبرة.

بالإضافة إلى هذا يحاول الناقد توماس وينر أنْ يشرحَ فيما تنحصر النكته وقدرة الكاتب على التلاعب بالكلمات فيحاول إثبات - قدر استطاعته - جمال وحسن استخدامه لمفردات اللغة الروسية من "جناس وتورية" - وذلك رغم صعوبة نقلها بالترجمة إلى القارئ الأجنبى - مؤكدًا على أنَّ أنطون تشيخف فنان ضليع فيها. ويشير أيضًا إلى أهم ما تتميز به القصص القصيرة بالتحليل النفسى للأبطال. كذلك دافع الناقد عن النغمة التى تسود بين النقاد فى الغرب بأن أنطون تشيخف - متشائم. فهذه عبارات دارجة مقولبة، ودافع عن هذا بأن أنطون تشيخف وصف الحياة بواقعية، وكشف عن كل ما هو خفى فى حياة الإنسان البسيط متوسط الحال، الذى يعيش بعيدًا عن الأضواء.

هكذا يعد أنطون تشيخف نجمًا بازغًا فى سماء البشرية كأحد عمالقة العصر الذهبى للأدب الروسى، ولن يغيب أبدًا. فعلى الرغم من مرور أكثر من مائة عام على

وفاته فإبداعه لا يعطى صورة واقعية لصورة الإنسان فى عهد روسيا القيصرية فحسب، وإنما يواكبُ روحَ الإنسان المعاصر لأنها تمسُ المشاعر الإنسانية لأى قارئ فى أى زمان ومكان.

* * * * * *

نستعرض فى عجالة نشأة "الفودفيل" وتطوره فى روسيا والدور الذى لعبه أنطون تشيخف ليس فقط فى تأصيل فن الفودفيل الوافد من فرنسا وجعله فنًا ذا فكر واع وطابع روسى أصيل ، وإنما تطويره أيضًا ، فهو يتسم بسرعة الإيقاع ، وفيه "يصل بالنكتة إلى حد المهزلة ، المثيرة للقهقهات"[21] . ففن الفودفيل يُعدُ أحد أجناس المسرح – ويعنى بالفرنسية " Vaudeville " ويرجع مصدره إلى الكلمة الفرنسية Val de Vire – وتعنى "وادى فير" ـ وهو ـ اسم نهر فى منطقة "نورماندى" ، وأطلق اسم هذا المكان على لون من الفنون فيما بعد . ففى القرن السابع عشر انتشرت مجموعة من الأغانى الشعبية عُرفت باسم "Chanson de Val de Vire" نسبت إلى شعراء العامية أمثال: " أوليفر باسيلين" (1403 ـ 1470) و "جان لو يو" (1551ـ 1616) ، وأغلب الظن أن هذا النوع من الأغانى البسيطة الهزلية ، ذات الطابع الشعبى والموسيقى الخفيفة ومضمونها ارتبط بموطنها الأصلى بمنطقة وادى فير ويعتقد أن هذا المُسمى (Val de Vire) تبدَّلَ إلى (Voix de Ville) ـ صوت المدينة . وفى نهاية القرن الثامن عشر أنشئ فى باريس عام 1792 مسرح متخصص أطلق عليه " Theatre de Vaudeville "، وعن أصل هذا الفن يؤكد الكاتب والناقد الروسى ا. جيرتسن (1812ـ 1870) قائلا: "الفودفيل ... فن شعبى ابتدعه الفرنسيون".

ومن أبرز كتاب هذا الجنس الأدبى فى تلك الفترة الكاتب المسرحى الفرنسى : «أوجستين أوجين سكريب» (1791ـ 1861) ـ الذى ألَّفَ ما يقرب من مائة وخمسين مسرحية – «فودفيل»، وأوجين – مارين لابيشى (1815 – 1888) . وهكذا يمكن القول بأنّ فن الفودفيل ـ هوعرض مسرحى هزلى ساخر هدفه النقد الاجتماعى والسياسى والاقتصادى ، والتسلية ، والترفيه يتخلله الأغانى الشعبية الخفيفة ، النقدية ، ويكثر فيه التلاعب بالألفاظ ، ولا يخلو من الرقصات ، كما أنه لا يخلو من الحزن والمأساة . وكان يعرض فى وقت المسرحيات التقليدية الكبيرة . وبهذا فهو يمثل أحد أجناس الفن المسرحى ، انتشر فى وادى فير ثم فى ربوع فرنسا فيما بعد، ويرجع تطور هذا الفودفيل – أى المسلاة إلى أربع مراحل :

21 - قسطنطين ستانسلافسكى : انظر كتاب أنطون تشيخف ، مؤلفات مختارة فى أربعة مجلدات ، ترجمة د. أبو بكر يوسف ، المجلد الرابع ، موسكو ، 1983 – 1988 ، المجلد الرابع ، ص 33 . (باللغة العربية)

1 ـ كان معناه فى الأصل الأغنية المرحة الساخرة من الشخصيات المعروفة .

2 ـ ثم تطوَّر معناه ليدل على مناظر التمثيلية القصيرة التى تشمل على أغان ونكات وحركات بهلوانية إلى غير ذلك.

3 ـ ثم أصبح يعنى التمثيلية الخفيفة المرحة التى عاشت فى إنجلترا من القرن الثامن عشر إلى القرن التاسع عشر ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية من أواخر القرن الثامن عشر حتى أوائل القرن العشرين أما فى فرنسا فلا يزال بعض المسارح يقدم هذا النوع .

4 ـ ثم صار هذا المصطلح بعد التطورات التى لحقته فى فرنسا وإنجلترا وأمريكا جنسًا مسرحيًا يتميز بالمغامرة والخيانة الزوجية وحياة اللقيط ... إلخ . وخير من عالج هذا الجنس هو جورج فيدو Georges Feydeau 1862 – 1921 [22]

وفى روسيا مرّ فنُ الفودفيل بمراحل عدة: ظهر فى نهاية القرن السابع عشر على شكل أوبرا هزلية صغيرة ، وعزز وجوده على خشبة المسرح فى بداية القرن التاسع عشر . فقد استرعى فن الفودفيل الفرنسى الفياض انتباه واهتمام رجال الفن فى هذا الزمان ، فكان فى البداية يعرض على المسارح الروسية دون أية موانع أو أية إعاقات ـ فلم يكن يعرف بعد بما يسمى الآن ـ بقانون حقوق الملكية ـ وفى مرحلة متقدمة كان المترجمون – وأغلبهم من الأدباء ـ يجيدون الفرنسية كاللغة الأم الروسية – عملوا على ترجمة أو اقتباس أو تعديل العديد منها ، ثم تلى ذلك مرحلة جديدة ـ دأب الكتاب الروس على تكيف النص الفرنسى بما يتفق مع الحياة والبيئة الروسية الخالصة وذلك بمنح أبطال المسرحية أسماء روسية وأن الأحداث تجرى فى أراض روسية ، إلا أنهم حرصوا على الاحتفاظ بالحبكة الدرامية للنص الأصيل . وترجع خصوصية الفودفيل الروسى ليس فى الحديث عن المواقف الكوميدية فقط بل كثيرًا ما نجد فيه قليلاً من الحزن، ويتطرق إلى أكثر من قضية . ففن الفودفيل من أصعب أنواع الكوميديا مما جعل النقاد ينقسمون تجاهه بين مادح وقادح . فى البداية ظهر العديد من المؤلفات على سبيل المثال: «سوء الحظ من عربة الخيل» عام (1779) و «سبيتنشيك»[23] عام (1783)

22 ـ د. مجدى وهبه ، "معجم مصطلحات الأدب : ، بيروت ، ص 594 .

23 ـ "سبيتشنيك" – تصغير لكلمة : сбитень ـ و كلمة «Сбитня» : مشروب شعبى : يحضر من الماء الساخن ، مضافاً إليه العسل وعدد من الأعشاب الطبية مثل: نبات العرن ، والزنجبيل، ورق اللورا ، ونبات المريمية ، وقرن من الفلفل الأحمر الحار . وكان يشرب فى الشتاء للتدفئة . كما يوجد نوع آخر «збитень» وهو المشروب نفسه إلا أنه يُشربُ فى الصيف باردًا ليطفئ ظمأ العطشان. وبائع هذا المشروب يدعى «избитень» . وأول مرة جاءت هذه الكلمة فى المخطوطات السلافية 1128، وفى القرن التاسع عشر حل محلهُ كل من الشاى والقهوة بدلاً منه ، ومنذ التسعينات من القرن الماضى هناك محاولات لإعادة المشروب فى السوق للبيع . (المترجم.)

للأديب ياكف باريسافيتش كنياجنين (1740 ـ 1791) ، وقد وصفه الشاعر الروسى «ا. س. بوشكن» (1799 – 1837) وصفا دقيقا فى قصيدة «يفجينى أنيجين» (1823 – 1831) قائلا:

كنياجنين المولع بالمحاكاة والتقليد

ظهر جمال هذا الفن أيضا فى أوبرا «الأرامل الواهمون» (1794) للكاتب فاسيلى أليكسييفتش ليفشين (1746 ـ 1826) و «الواصى – البروفسير» أو « الحب – أدهى من فصاحة اللسان» (1782) للكاتب المسرحى نيكلاى بيتروفتش نيكلايف (1758ـ 1815) ، – و «السوق التجارى لمدينة سانت بطرسبورج» والتى فى آخر إصدار لها حملت عنوانا جديدا « اللى يعيش ، ياما حيسمع »(1782) والتى قام بتأليفها ووضع ألحانها الأديب والموسيقار ميخائيل أليكسييفتش ماتينسكى (1750 – 1820) حيث جسد فيها طبقة التجار وكانت سبباً فى شهرته آنذاك ، و "مطحنة البن" (1784) ـ للأديب الروسى إيفان أندريفتش كريلف (1769 ـ 1844) وفيها يجسد وينتقد بصورة ساخرة هزلية مجتمعَ الرق والعبودية ـ ....



وهنا يجدر الإشارة إلى الأوبرا الفكاهية – والتى تعد أفضل مؤلفات ذلك العصر «الطحان – الساحر والمخادع ووسيط زواج» (1779) للكاتب ا. أبليسيماف (1742 ـ 1783) ولاقت نجاحا كبيرا بين أوساط العامة والخاصة ، إذ صورت حياة الفلاح البسيط وسماته المميزة ومن أهمها الفطنة والحنكة، واستخدام اللغة الشعبية الثرية متعددة الألوان . وقد أشاد بها الناقد «ف. ج. بيلينسكى» .

ذُكرت كلمة «فودفيل» فى قصيدة «الكونت نولين» التى كتبها « ا. س. بوشكن» (1799 – 1837) فى صباح يومى 13 و14 من شهر ديسمبر 1825 ـ أثناء وجوده فى المنفى فى «ميخايلوفسكى» 1824 بناءً على مرسوم القيصر ألكسندر الأول ـ ونشرت فيما بعد فى عام 1827 . وهى قصيدة واقعية قصيرة هزلية ، أثناء الحوار الذى دار بين زوجة أحد النبلاء السيدة ناتاليا بافلافنا والكونت الفرنسى نولين حيث تطرق الحديث عن أن كل جديد ينتقل على وجه السرعة من باريس إلى روسيا عبر وسائل حديثة كالتلغراف ، ثم يضيف:

«أجل ، هل ترغبين فى سماع

فودفيل رائع؟ ثم يغنى الكونت»

ومع بداية القرن التاسع عشر انتقل فنُ الفودفيل فى روسيا إلى مرحلة جديدة . فاعتمد على اقتباس وتعديلات الموضوعات الفرنسية فى شكل (أوبرا هزلية قصيرة) وتطويعها بما يتناسب مع الواقع الروسى . وفى المرحلة التالية بدأ الاهتمام بالموضوعات الوطنية التاريخية الحديثة . على هذا النمط جاءت مسرحيات – الفودفيل للكاتب المسرحى "ا. ا. شاخوفسكى" (1777 ـ 1846) ، إذ يعد من الأوائل الذين كتبوا فودفيل روسى أصيل . وقد امتدحه الشاعر "ا. س. بوشكن" لدوره الجليل لتطوير هذا الفن فكتب عنه فى قصيدة "يفجينى أنيجين" الجزء الأول ـ المقطع الشعرى الثامن عشر يقول:

هنا كشف شاخوفسكى فى مسرحياته

الكوميدية عن سيلٍ من الانتقاد اللاذع

ومن بين أهم مؤلفاته فى فن الفودفيل «قوزاقى – شاعر»(1812) ، «لامانوسف أو مجند ـ شاعر» (1814) ، «الفلاحون أو لقاء المتطفلين» (1815) . وقد كان للأديب «ا. س. جريبابيدف» (1795 ـ 1829) – وهو كاتب روسى – ويعد من أوائل مؤلفى مسرح الفودفيل ـ الذى ألف فودفيل بعنوان «أسرتى أو الخطيبة المتزوجة»(1817) ، بمشاركة كل من «ا. ا. شاخوفسكى» و « و. ن. خميلنيتسكى» (1789 ـ 1845) ، وتميزت باتجاهها الجدلى الساخر عن وجود بقايا للمذهب الكلاسيكى ـ وسار على الضرب نفسه الذى ابتدعه «ن. خميلنيتسكى»، إذ قدَّم بدوره مسرحية كوميدية ذات فصل واحد بعنوان « قصور فى الهواء» وهى مقتبسة من المسرحية الكوميدية « Les chateaux en Espagne" (1791) للأديب الفرنسى Collin d`harleville (1755ـ 1806) وقام ببعض التغييرات بما يتفق مع ذوقه الخاص . وفى عام 1819 قدَم ن. خميلنيتسكى أوبرا فودفيل بعنوان " ببغاوات الجدة" وهى تعد ترجمة قريبة من "Les perroquets de la mere Philippe" للكاتب الفرنسى F. A. Dartois ، والتى أحدثت صدى واسعاً فى الأوساط الفنية ، ومن بين أعماله أيضًا (لا مفر من القدر أو رب ضارة نافعة) (1820) . وعلى الرغم من سطحية أفكار مؤلفات ن. خميلنيتسكى الخاصة بالفودفيل فقد امتدحه معاصروه ومن بينهم ا. س. جريبابيدف (1795 – 1829) وا. س. بوشكن (1799 ـ1837) لما يتمتع به من جمال فنى ، وحس فكاهى عال وحماسة جدلية للموضوعات المطروحة .

ثم قام الشاعر ن. ا. نيكراسف (1821 – 1878) فيما بعد صياغة نفس فكرة "ببغاوات الجدة" ، ولكن بعنوان جديد وأطلق عليه " ببغاوات الجد" (1841) (ملهاة فى فصل واحد) وتم عرضها عام 1851، واختلفت عن سابقاتها ، ومن بين مؤلفاته فى فن الفودفيل والتى نشرت تحت اسم مستعار : ن. بيربيلسكى مثل "مهما حيك من

حيل لا يمكن إخفاء الحقيقة" وهى فودفيل فى مشهدين وموضوعها مأخوذ عن قصة الكاتب الروسى "ف. ت. ناريجنى" (1780ـ 1825) التى تحمل عنوانًا هو « العروس السجينة» (1824) ، وقد حققت نجاحًا باهرًا لطبيعة المؤلف المفطورة على حسن الفكاهة بتجسيده للواقع والحياة الروسية لمائة عام سالفة ، بالإضافة إلى ما يتمتع به فن الفودفيل بالبساطة ، والحيوية ، وعدم التصنع ، وسهولة الحوار ، وقد تم صياغتها بصورة مضحكة غلب عليها الإسهاب فى عدة مواقف . وتُعد مسرحية "فيوكلست بوب" أو "الزوج يشعر بالحرج والارتباك" - وهى فى فصل واحد ، تضفى طابعًا مفعمًا بالوعظ ، وتحكى عن زيارة ريفى من سكان الأقاليم للعاصمة . فبوب يصوِّر جانبًا فكاهيًا لبعض جوانب حياة العاصمة بطرسبورج فى الوقت الذى تظهر فيه الجوانب الإيجابية والسلبية للبطل نفسه . وفى فودفيل آخر بعنوان : « هذا ما يعنى فى حب الممثلة » وهى ملهاة- فودفيل ، من فصل واحد ، وقد عرضت عام 1841، وحققت نجاحًا باهرًا وظلت تعرض على المسرح لسنوات عدة ، وأيضًا كحفل تكريم للممثلة « ف. ف. ساموبلافا» (1821ـ 1880).



أما فودفيل "الممثل" (1841) ـ طرفة فودفيل فى فصل واحد . فقد كان ن. ا. نيكراسف على دراية ومعرفة كبيرة بالوسط الفنى وحياة الممثلين ، خاصة الموهوبين منهم بتأدية فن الفودفيل ، ذلك الفن الذى يتطلب من الممثل سمات فنية خاصة من بينها: البساطة وعدم التكلف وملكة ارتجال الحوار وحسن التواصل مع المشاهد ، وأنْ يكونَ له موهبة القيام بأكثر من دور فى مسرحية واحدة، ولإدراكه لكل هذه الصعوبات أيقن "ن. ا. نيكراسف" ضرورة تحرير فن الفودفيل من هذا النمط الجامد التقليدى حيث تقتصر موضوعاته على صراع الممثل للحصول على دور فى المسرحية ، أو سعى الممثل العجوز بتدبير دور لابنته، أو أنْ يُقامَ له حفلَ كنوع من التكريم تقديرًا لفنه ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فى الدفاع عن كرامته الإنسانية بتلقينه درسًا قاسيًا لعلية القوم ، الذين ينظرون إلى الممثل على أنه بهلوان - مجبر فقط على تسلية السادة المكتئبين العاطلين الذين يرتادون البارات . فحرص على تصوير أهمية الفن ودور الممثل فى المجتمع . وهنا إشارة إلى الفنانة «ف. ن. أسينكوفا» (1817ـ 1841) والتى رحلت عن عالم الفن ، وأرادَ نيكراسف أنْ يذكر الجمهور بها لما تمتعت به من فطرة الموهبة فى الأداء الكوميدى والتراجيدى . وفى فودفيل آخر بعنوان «مُراب مدينة بطرسبورج» (1844) يربط بين الفكاهة والترفيه والتسلية

وطرح القضايا الاجتماعية . فالكاتب يصوِّرُ بمهارة سلسلة من الشخصيات قاطنى مدينة بطرسبورج ومن أهمهم ذلك المرابى البخيل الذى لا هَمَّ له فى الحياة سوى جمع المال لتحقيق منفعته حتى ولو كان على حساب زواج ابنته بوضع العوائق بغرض ابتزاز الخطيب . فهو يتعامل مع الابنة ليس على أنها كيان إنسانى ولكن كسلعة تُباع وتُشترى .

ومع بداية القرن التاسع عشر كانت طبقة شباب النبلاء شديدة التوق إلى الأسلوب الجديد لهذا الفن – أى الفودفيل ، الذى كاد أن يصبح اللون الرئيسى للتسلية الفعلية لجمهور المتفرجين ، إلى جانب أنه يعتبر بادرة حسنة وعلامة بارزة بإقامة حفل تكريم لممثل أو لممثلة . فكان مفيدًا للفنان الذى يُكرَم ، ويحتفى به تعبيرًا عن الاحترام والتقدير من الجميع له ، وقد يخصص دخل العرض كليًا أو جزئيًا لرعاية ومساعدة هذا الفنان أو ذاك . وفى الوقت الذى امتدحا فيه كل من الكاتب "ن. ف. جوجل" (1809 – 1852) والناقد "ف. ج. بيلينسكى" (1811 ـ 1848) الفودفيل الفرنسى لما يتمتع به من رشاقة فى الأداء وعفوية الضحك ، وحماقة مستساغة لموهبة الكاتب فى التلاعب بالألفاظ وفتح أفاق للخيال الواسع إلا أنهما انتقدا بقسوة النسخة الروسية التى تتلاشى فيها هذه السمات ، وقد جاء هذا النقد على لسان ريبيتلوف أحد أبطال المسرحية الكوميدية – "البلية من العقل" للأديب ا. جريبابيدف ذات الأربعة فصول – فهو ـ شخصية رئيسة ـ ثرثارة تمثل جزءًا لا يتجزأ من مجتمع الطبقة الراقية ، فظهرت فقط فى الفصل الرابع فى المسرحية كضيف فى الحفل ، يناقش موضوعات عدة ، من بينها السخرية والتهكم من إمكانية تأليف فودفيل فى أقل من ساعة بطريقة مفتعلة ، فبمجرد أن تأتى الفكرة يتم التلاعب بالألفاظ فقط ، ويلتقطها بعد ذلك ستة من الأشخاص ويؤلفونه فى عجالة ودون ترو ، وستة آخرون يضعون الموسيقى، وآخرون يصفقون له عند العرض . إلا أن الناقد "ف. ج. بيلينسكى" اعتبر أن فن الفودفيل جدير بالاهتمام ، فجاءت كلُ تصريحاته عن هذا الفن تؤكد رغبته فى أنْ يُغرَضَ على المسارح الوطنية فودفيل روسى أصيل بشخصياتٍ وأفكارٍ وأخلاقياتِ الشعب الروسى .

ارتبط تطور فن الفودفيل باسم ألكسندر إيفانافيتش بيسارييف (1780 ـ 1848) فاهتم منذ الصغر بالأدب ، وفى عام 1821 التحق "بجمعية محبى الأدب الروسى"، وعمل فى إحدى إدارات المسرح الإمبراطورى فى موسكو . وفى بداية طريقه الإبداعى ترجم وأعاد صياغة مؤلفات الفودفيل الفرنسية بما يتفق ويوائم الواقع الروسى ، بالإضافة إلى أنه وضع المقاطع الغنائية لهذه المسرحيات . وفى مرحلة متطورة ألف ثلاثا وعشرين مسرحية فودفيل – ولذلك أطلق عليه المؤلف الأول للفودفيل فى روسيا فى هذه الفترة. وكان يعتقد أن الكوميديا هى الفنُ الأصيلُ الحقيقى لهذا العصر ، لما يتميز

بالبساطة والفكاهة وسرعة الإيقاع . ويرى أن وظيفة المسرح الرئيسة فى التسلية والترفية وليس بالضرورة أنْ يطرحَ القضايا الاجتماعية ؛ لأنَّ مهمة المسرح لا تنحصر فى إصلاح الأخلاق وتهذيب وتربية أبناء المجتمع . وكثيرًا ما أثار الجدل حول هذه القضايا، إلا أنه فى الوقت نفسه كان فى مسرحياته يُلقى الضوءَ على أخطاءِ المجتمع ومن بينها ظاهرة الرشوة بين الموظفين فى هذا الوقت . ومن بين مسرحياته - الفودفيل بعنوان "من يؤثر غيره على نفسه " أو "كل عقدة ولها حلال" (1824) ، تحكى عن البطل "ريبيكين" الذى يعيش وحيدًا ، وهو كبيرُ السن يود أنْ يكونَ لديه عائلة، وأراد الزواجَ من ابنةِ صديقه- حيث كانا يخدمان فى الجيش أثناء حملة نابليون ضد روسيا- كاتيا وهى فتاة صغيرة السن ، وإذا به يكتشف بمحض الصدفة أنها تحب فتى فى نفس عمرها فيساعدها على الزواج منه .



ذاع صيت فن الفودفيل فى أربعينات القرن التاسع عشر بعرض الكثير من الأعمال على أشهر مسارح بطرسبورج . وإذا كان الفودفيل فيما سبق يتميز بالسجع والقافية والتورية ، فشهدت هذه المرحلة إقحام كلام من جانب الممثلين تسخر من موضوعات الساعة والجدل القائم فى المجتمع بما تسمح به ضوابط رقابة النشر فى مجال الأدب والمسرح بحذر وحيطة دون تخطى حدود الرقابة لعدم التعرض للمنع سواء بالنشر أو بالعرض فى المسرح . فى هذا الوقت ظهر فودفيل للأديب ديميترى تيمافيتش لينسكى (1805 - 1860) وهو كاتب روسى لعديد من الفودفيل لديه حوالى سبعين مؤلف فودفيل ، ما بين المترجم ، والمقتبس ، والمعدل والمؤلف - وعمل مترجمًا ، وممثلاً .



ولعب دور البطل "خليستاكف" - أحد أبطال المسرحية الكوميدية "المفتش العام" (1836) للأديب "ن. ف. جوجل" (1809 - 1852) فى معالجة فكاهية متميزة . اتسمت أعماله أيضًا بتصوير الحياة اليومية لطبقة التجار والحرفيين والموظفين وممثلى الأقاليم، وتميزت بتدفق الأحداث الحافلة بالمواقف

المفاجئة التى يصعب تصديقها ، وبمهارة أسلوبه الساخر الهزلى - ومن أشهر هذه الأعمال " ليف جوريتش سينيتشكين" أو "الممثلة القروية التى ظهرت على المسرح للمرة الأولى" ، المأخوذة عن الفودفيل الفرنسى "Le Pere De La Debutante" - والتى تصور معاناة والد ممثلة تظهر أمام الجمهور للمرة الأولى ، فقام بترجمتها واحتفظ فقط بحبكة النص المسرحى الفرنسى ، فقد أدخل الكثيرَ من المشاهدِ بما تتكيف مع واقع وجو المسرح الروسى وطابع الممثلين الروس والمشاكل التى يتعرضون لها وحياة ما وراء الكواليسِ ، التى يعرفها جيدًا لأنه عملَ فى العديد من الفرق المسرحية ، مُنتقدًا إياها فأدخل الكثيرَ من الحوارات السريعة المتخمة بالإيحاءات والإيماءات تعنى تأويلات متعددة تتعلق بتاريخ المسرح الروسى فى بداية القرن التاسع عشر والخلافات والشجارات التى تعتريه والوضع الراهن للفرق المسرحية . فكان لها صدى واسع فى مسارح أقاليم روسيا ؛ لأنَّ الكاتبَ أعطى نماذجَ حقيقية من الممثلين وحياة المسرح الروسى فى أسلوب فكاهى فجاءت صياغة جديدة بعيدة عن النص الأصلى المترجم. وعند عرض هذا الفودفيل على مسارح بطرسبورج عام 1840 حقق نجاحًا كبيرًا فامتدحه الناقد ف. ج. بيلينسكى «بأنه صِيغ بطريقة ذكية ورسمت شخصياتِ المسرحيةِ ببراعةِ ومهارة فائقة تنم عن الرضا والارتياح» .



ظهر أيضًا العديد من كتاب فن الفودفيل على سبيل المثال لا الحصر : فيدور أليكسييفيتش كونى (1809 - 1879) فقد ترجم واقتبس الكثير من الفودفيل لكتاب فرنسيين وألمان بما يتفق مع أحوال وظروف المجتمع الروسى ، فتعرض لمناقشة قضايا اجتماعية عدة مثل: الرشوة ، والظلم ، والتصدى لظاهرة الخضوع لأوامر أصحاب الرتب المرموقة العالية فى المجتمع . ففى فودفيل بعنوان "شقق مدينة بطرسبورج" (1840) يلقى الكاتبُ فيها الضوءَ على شخصيةِ الموظف المتملق المرتشى وكذا الفساد الأخلاقى لمهنة الصحافة بنشر الأكاذيب والافتراء على الناس ، كما كان يؤلف مقاطع الأغانى الساخرة التى تشتمل على موضوعات اجتماعية حيوية.

وقد كان للنبيل والأديب فلاديمر ألكسندرافيتش سالاجوب (1813-1882) دورٌ كبيرٌ فى تطوير فن الفودفيل . ويعد الفودفيل « البلية من القلب العطوف » (1850) من أشهر مؤلفاته ، فهى طرفة مضحكة تحكى عن مشكلة شاب ثرى ، لطيف ، أهوج له قلب حنون، رقيق ، عطوف ، يحلم بالزواج إلا أنه كان يعانى من مشكلة، وهى وقوعه فى حب كل فتاة يقابلها ، فهل يتزوج من ماريا ، أم كاترينا ، أم أنستاسيا - فهل الكارثة تكمن فى هذا القلب الحنون؟ ومَنْ منهن سترضى بهذا الزواج؟ ومن منهن ستَعرض عنه؟. كيف سيخرج من هذا الموقف الصعب؟. الفودفيل ملئ بزخم من الأحداث وفيض وبحر من الضحك المتواصل.



البلية من القلب العطوف

ومن بين كوكبة هؤلاء الكتاب الأديب بافل ستيبانافيتش فيودارف (1803 – 1879) الذى قدم أربعة وسبعين عملاً ما بين مترجم ومعدل ومقتبس: من بينها على سبيل المثال «مركيز رغم أنفه» ، (1834) «موظف الأرشيف» (1837) ، و «الحب وخرافات الماضى» (1853) حيث كان ينتقد فيها وضع الأوبرا ويدافع عن الفنانين .ومن بين الأدباء الذين أثْروا فن الفودفيل بافل أندرييفتش كاراتيجين (1805 – 1879) فبعد أن أنهى الدراسة فى مدرسة المسرح عام 1821 عمل بالتدريس بها فى الفترة ما بين 1832 – 1838 وترأس قسم التمثيل المسرحى . فى بداية طريقه الفنى كان يؤدى دورَ البطل الثانى ـ العاشق ، ثم تخصص فى أداء أدوار كوميدية وعادة ما كان يلعبُ أحدَ الأدوار فى المسرحيات التى كان يؤلفها إلا أنه لم يحقق نجاحًا فى مجال التمثيل ، ولذا أقلع عن التمثيل منذ خمسينات القرن التاسع عشر ، وأخذ يؤلف العديد من الفودفيل، وذاع صيته ، فقد قام بترجمة أو اقتباس أو تعديل موضوعات الفودفيل الفرنسى فى البداية ووضعها فى قالب روسى يتلاءم مع الحياة المعيشية فى مدينة بطرسبورج . استقبلَ الجمهورُ التعديلاتِ التى قام بها بافل أندرييفيتش كاراتيجين بارتياح شديد لما تتمتع به من تورية ونهر من الضحك والإيحاءات والإيماءات ومقاطع غنائية وأشعار تواكب الواقع آنذاك . كان أهالى مدينة بطرسبورج يرددون كثيرًا من هذه التعبيرات حتى أصبحت أمثالاً على كل لسان . قدَّم حوالى خمسًا وسبعين مسرحية فودفيل ما بين مؤلف أو مقتبس ، ومن بين مؤلفاته على سبيل المثال : « الزوجة والمظلة» (1835)، ومن بين المترجمة :«السكين» (1840)، «مدرس المدرسة» (1842). وكان من بين الأبطال: الموظفون البسطاء ، والتجار وفلاحو السخرة المظلومون .

من بين المشتغلين فى حقل فن الفودفيل «بيتر إيفانفيتش جريجوريف» (1806ـ 1871) والملقب «بجريجوريف الأول». التحق بمدرسة المسرح بمدينة بطرسبورج ودرس بها وتفوق حتى أصبح فيها مدرساً لتدريس فن التمثيل فيما بعد . بدأ العمل فى المسرح الدرامى الإمبراطورى عام 1820 وظل يمثل هناك أكثر من خمسين عامًا تقريبًا حتى نهاية حياته . إلى جانب موهبته فى التمثيل كتب العديد من أعمال الفودفيل الرائعة والمسرحيات التى عُرضت لسنوات عديدة على المسرح . فقدَّم ما يقرب من سبعين عملاً تقريبًا ما بين مؤلف ومترجم ومقتبس أو بالمشاركة مع آخرين مثل: نيكلاى إيفانفيتش كوليكوف (1815 – 1891) أو ن. ا. نيكراسف ، أو ب. س. فيداروف (1803 – 1870) . فإذا كان فن الفودفيل يُعد سببًا لشهرة العديد من الممثلين لما يتسم به من كوميديا وسحر وبساطة النشاط المفعم بحيوية الحركة . فتضمن فودفيل بيتر إيفانفيتش جريجوريف كل هذه السمات فكان من السهل أن يصل إلى قلب المشاهد ويؤثر على أحاسيسه فهو ينبض بقلب إنسان يعانى من الواقع . تم جمع أعماله المسرحية فى خمسة أجزاء بعنوان مسرح بيتر إيفانفيتش جريجوريف ، كما أصدر كتابًا بعنوان «فى ذكرى مائة عام للمسرح الروسى (1756ـ 1856)» .

ومن أشهر مؤلفاته الفودفيل «ابنة ممثل روسى» (1844) ويدور موضوعه عن فنان كوميدى - كان يتمنى أن يوارى الثرى وهو يعمل على خشبة المسرح ، ولكن فجأة يتسلم إخطارَ إقالته غير المتوقع بعزله . ولكى تواصل ابنته الوحيدة مشواره الفنى يقوم بتمكينها من أدواتها الفنية لتصبح ممثلة مشهورة بتشكيل موهبتها الفطرية للظهور أمام الجمهور للمرة الأولى بصقل آدائها وطريقة كلامها والإلقاء الصحيح ؛ لأنه يدرك أنَّ طريقَ الفنان ليس سهلاً و يحتاج لمجهودٍ كبير كى تتذكره أجيال وأجيال من بعد وفاته . فإذا كان قرار عزله ضربة مدمرة له إلا أن الحياة ستستمر ، وسيتم مساء اليوم خطبتها أثناء تناول الشاى بالجلوس حول السموار ، من صديقه القديم - ضابط ملازم ثان متقاعد وعليها أن تنسى المسرح بعد الارتباط بخطيبها إلا أن أحداث المسرحية تجرى بسرعة . وأثناء الزيارة تقوم البطلة «فيرتشكا» الخطيبة بعدة أدوار متعددة تنتحل فيها مجموعة من الشخصيات مع تبديل ملابس التنكر فى لمح البصر بما يتناسب مع تلك الأدوار مما أدى إلى تشويش الأمر على الخطيب وأوصلته لدرجة من الإعياء والتعب جعلته يعترف بموهبتها الفنية الرائعة . وها هى تعلن لوالدها الخبرَ السعيدَ بموافقة الخطيب بظهورها على المسرح أمام الجماهير ، ويعلن الوالد فرحته والتفاخر بأن اسمه لن يموت من على خشبة المسرح ولا من الإعلانات إذ ستواصل ابنته مشواره المسرحى الفنى . وقد صاحبَ هذا الفودفيل مقاطع غنائية وموسيقى ورقصات متنوعة.



وتميَّز فنُّ الفودفيل بموضوعات اجتماعية شائعة أخرى على سبيل المثال : قضايا الزواج والزفاف ومشاعر الحب تجاه المرأة ، والتى حققت نجاحًا كبيرًا وظهر هذا جليًا فى « عريس من إدارة الاقتراض» (1858) للأديب إيفان يجورافيتش تشرنيشيف (1833 ـ 1863) فهو ينتقد البطل ضعيف الشخصية فى إدارة الأموال ، فهو مُبذر يضيع أمواله على الملذات وعندما لاحت لحظة الحب فى حياته يخسرها أيضًا ويفقد الأمل فى تحقيق ذلك ويقف مرة أخرى أمام إدارة الاقتراض .

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أخذ يتلاشى تدريجيًا فن الفودفيل من على خشبات المسارح فى روسيا ، وحلَّ محله فن جديد يعرف «بالأوبريت» : وهو نوع من المسرحيات الموسيقية الغنائية الاستعراضية الخفيفة وكان الغرض منها التسلية والترفية ؛ لأنها تحتوى على حبكة عاطفية نهايتها سعيدة . إلا أن فن الفودفيل ظل يقدم عروضه على المسارح الروسية ، ولكن لم يكن له رواجه الباهر كما كان من قبل.

لكن فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر و أوائل القرن العشرين انفردت المسرحيات ذات الفصل الواحد - الفودفيل للأديب أنطون تشيخف فى الظهور على المسرح الروسى، والتى بلغت إحدى عشرة مسرحية: «على الطريق العام» (1885، نشرت بعد وفاته) ،

«عن مضار التبغ» (1886) ، «أنشودة البجعة» (1887) «الدب» (1888) ، «طلب يدها للزواج» (1888) ، «حزين رغم أنفه» (1889) ، «حفل زفاف » (1889) ، «تاتيانا ريبينا» (1889) (نشرت عام 1914 بعد وفاته) ، «اليوبيل» (1891) ، «عن مضار التبغ» (1902)، «ليلة المحكمة» (ولم تكتمل ونشرت بعد وفاته 1914) . كانت هذه المسرحيات ذات شأن مهم ليس فى المشوار الإبداعى للمؤلف فحسب وإنما فى تاريخ المسرح الروسى، فقد ساهمت هذه المسرحيات[24] فى تطوير تقاليد وتراث فن الفودفيل الروسى ، الذى كان بالنسبة لأنطون تشيخف لا يعد فقط للتسلية أو السخرية ، بل تجاوز كل القيود والأطر المحبوسة داخلها ، وهذا يتضح من خلال الموضوعات التى تناولها الأديب فى مسرحياته ذات الفصل الواحد . فاستطاع الكاتب إزالة الحواجز بين كوميديا – الطرفة ودراما المشهد . وإذا كان الفودفيل فى السابق قد اعتمد على التسلية والسخرية لبعض الظواهر الاجتماعية ، والاهتمام فقط بكوميديا الموقف إلا أن أنطون تشيخف قد ذهب إلى أبعد من ذلك واهتم بكوميديا الشخصية . فأبطاله يتمتعون بسمات ذاتية الملامح ، أى خصوصية فردية مميزة حية واقعية إنسانية . كما خلت مسرحياته ذات الفصل الواحد ـ الفودفيل أيضًا من المقاطع الغنائية ، وحافظت على التطور البنائى للموضوع البسيط ، وسرعة الأحداث ، ونهاية مفاجأة غير متوقعة ، واضعة بذلك قواعد جديدة . فهى تجمع بين جماليات عدة: منها الحيوية والسرور والحزن والولع بالواقعية النفسية .

بالإضافة إلى ذلك لم يكتفِ الأديبُ بتأصيل هذا الفن الوافد من فرنسا كفن روسى أصيل ، وإنما عمل على تطويره . ويؤكد أنطون تشيخف «بأنَّ الفرق بين المسرحية الكبيرة والمسرحية ذات الفصل الواحد لم ينحصر فى الكم . فهيا اكتبوا بهدوء ورويدًا فودفيل» . وفى مكان آخر يقول: «أن تكتب عن سقراط هذا شيء أسهل وأبسط من أن تكتب عن فتاة وطاهية.... فكتابة المسرحيات ذات الفصل الواحد لا أعتقد أنه أمرٌ طائش» .

تميزت المسرحيات ذات الفصل الواحد – الفودفيل عند أنطون تشيخف بالإيجاز والاختصار ـ تلك السمات التى تميزت بها جميع مؤلفاته الأدبية ـ «أى خيرُ الكلام ما قلَّ ودلَّ» . وقد حققت نجاحًا باهرًا أثناء حياته وحتى يومنا هذا مازالت تعرض على الريبرتوار الروسى والعالمى . ولابد أن ندرك أن المسرحيات ذات الفصل الواحد – الفودفيل « لا يمكن رؤيتها بمعزل عن المنظومة الكلية للدراما»[25] عند الأديب .

24 - انظر بالتفصيل "أنطون تشيخف بعيون مصرية" (فى ذكرى مرور مائة وخمسين عاماً على ميلاده) ، القاهرة ، 2010 ، ص 77 – 88 .

25 - لورينس سينيليك ، "عروض مسرح تشيكوف – قرن من العروض على خشبات مسارح العالم" ترجمة : محمد رفعت يونس ، مراجعة : كمال الدين عيد ، المركز القومى للترجمة ، القاهرة ، 2010 ، ص 212 .

ولا يُعد الفودفيل جزءًا من تراث إبداع أنطون تشيخف فقط كمؤلف مسرحى منعزل ، ولكن من الممكن الجزم بأن مسرحياته كبيرة الحجم والصغيرة أيضًا تجمع بين عنصرى التراجيديا والكوميديا معًا كأنهما وحدة واحدة متكاملة متماسكة وثيقة الصلة فيما بينهما ، فهو يعمل على مزج الكوميديا والدراما- أى إزالة الحواجز بين كوميديا - الفكاهة ودراما المشهد . فنرى أن الكوميديا عند أنطون تشيخف - هى الدراما التى تسخر من مأساوية توافه الحياة ، وضيق الأفق فتجعلك «تضحك ليس من خلال الدموع» ، وإنما حتى الدموع . ولهذا فهو يُعد مُؤلفًا مسرحيًا مبدعًا . ففى مسرحياته ذات الفصل الواحد - الفودفيل نجد العديدَ من خصائص إبداعه المتميز- فالموضوعات جاءت بسيطة سهلة لا تتضمن الدسائس والمكائد، وأنَّ ما يجرى على خشبة المسرح يجب أنْ يكونَ مُعقدًا وفى الوقت نفسه بسيطًا كما فى الحياة نفسها . وهنا تكمن صعوبة البساطة . فالدنيا فى عيون أنطون تشيخف مسرحٌ كبيرٌ بحلوها ومرها ، فالحياة نفسها هى التى تدور على خشبة المسرح . ولهذا فإن المعنى الخفى يلعب دورًا كبيرًا فى المسرحيات ، فيختفى وراءَ كلمات وأفعال الأبطال . فللكلمات معان كثيرة وتحتوى على مضامين متعددة مما يثير لدى القارئ والمشاهد أفكارًا ومشاعرَ مختلفة ومتنوعة . ففنان الكلمة بحنكة ومهارة فنية يطرح القضايا على نحو صحيح ، ويدع المتلقى يجيب على هذه المشاكل والتساؤلات .

كما يؤكد أنطون تشيخف أن مهمة الكاتب ألا يعطى إجابات ، وإنما يجب عليه طرح الأسئلة بطريقة صحيحة ، وأن من أهم الأسئلة الصحيحة التى طرحها عن الحياة فى مؤلفاته : ما هو مفهوم الحياة؟ كيف تعيش؟ وبمَنْ تسترشد؟ . وبهذا فهو يساعدنا حتى اليوم أنْ نضعَ السؤالَ الصحيحَ عن الحياة . ففى مسرحيات الفودفيل لأنطون تشيخف لا توجد مشاكل ظاهرية ، وإنما منذ الوهلة الأولى نجد أبطاله يتصرفون بطريقة عادية طبيعية يتكلمون كلمات قليلة ولكن هذه الكلمات والأفعال تتضمن عالمًا من الأحاسيس والمعانى والأفكار والمعاناة . فعلى المتلقى أنْ يقرأ ويسمعَ النص المسرحى بإمعان والاهتمام بالتفاصيل ، وبكل حركة ووقفة وحتى لحظة الصمت ، لأنَّ هذا الصمتَ له مغزى ودلالة عميقة . ومن أهم السمات الجوهرية لمسرح أنطون تشيخف هى العاطفية التى نشعر بها بوجود الكاتب ، عبر تقديره أوعلاقته تجاه ما يصوره ، فلا تجد هذه العلاقة ظاهرة بطريقة مباشرة ، وإنما يكتشفها القارئ فى كلام وإجابات ، وحوار الأشخاص وملاحظات الكاتب ، والمواقف ، والمناظر .

ومن بين أهم خصائص هذه المسرحيات أيضًا: المعنى الرمزى للتفاصيل الدقيقة التى تساعد على نحو غير مسبوق بتجسيد واسع للظواهر المتنوعة كما هى فى الحياة الواقعية المليئة بانفعالات نفسية ، وأحاسيس مشرقة وعواطف نبيلة وتصرفات حقيرة، ولمسات كاريكاتورية ، والسعى أيضًا إلى صنع الخيرِ وغلبة الدوافع

الفكرية والأخلاقية على الاعتبارات المادية . كل هذا من شأنه أن يرسم بوضوح إيقاع الحياة المطرد . فاستطاع الأديب أن يُجسدَ الحياة بكل دقة ، مما جعل المشاهد يستوعب مسرح أنطون تشيخف ويُصطحبَ معه شعورًا قويًا حقيقيًا حيًا ، يدمجه فى حياته الذاتية . فبعد قراءة مؤلفاته «كان الناس فى روسيا يصبحون أفضل وأشرف». فالمناظر المسرحية ، والأصوات تساعد فى كثير من الأحيان على كشف الخبايا والحالة النفسية لشخصيات المسرحية . وأن أهم ما يعجب به المتلقى هو نغمة ورونق الكلمة عند أنطون تشيخف وإيقاعها ورشاقة السرد والحوار والمونولوج لإدراك الأديب الارتباط الوثيق بين الأدب والموسيقى . فلا تستطيع أنْ تحذفَ كلمة أو جملة أو فقرة ؛ لأنَّ هذا سيحدث خرقًا وتشويهًا لإيقاع السرد والحوار . فالموسيقى تملأ العالم الداخلى لشخصيات المسرحية ، كما يوجد تناغم بينهم والعالم المحيط بهم . فنسمع حفيف أوراق الأشجار، وخرير المياه ، ودوى وعواء الرياح ، وصخب هطول الأمطار ، ورنين الأجراس، ونغمات البيانو ، والجيتار ، والكمان والشيلو ... إلخ .

ويرجع هذا لاهتمامه بالفن والموسيقى منذ صغره .[26] ففى مرحلة الطفولة والشباب ولع بالموسيقى ، حيث كان سكان مدينة تاجانروج من الشباب الروسى الأرستقراطى والإيطاليين ، واليونانيين ـ وكثيرًا ما كان التجارُ ذو الأصول الإيطالية واليونانية ـ يدعون فرق الأوبرا الإيطالية والروسية لتقدم عروضَ الأوبريت على المسرح. فكانت سماء المدينة تصدح بالغناء الفردى والثنائى والموسيقى السيمفونية . فى هذه المرحلة كان أنطون تشيخف يعشق موسيقى الموسيقار الروسى المشهور بيوتر إيليتش تشايكوفسكى (1840 – 1893) الذى تعرَّفَ عليه فيما بعد عندما انتقل إلى موسكو عام 1888. وقد تنبأ الموسيقار ببزوغ نجم جديد سيسطع فى سماء الأدب الروسى ، وأن الموهبة التى يتمتع بها أنطون تشيخف ستمكنه من أن يصبحَ أحد ركائز الأدب الروسى ، ذلك لأن مسرحياته تشبه قطعة موسيقية رائعة العزف . هكذا تلاقى بطلاَ فن الموسيقى والكلمة على الحب والجمال والاحترام ، وقدَّما نظرة عاطفية يملأها حبُ البشر ، وقد أبديا تعاطفهما نحو الضعفاء من الناس الذين يحيطون بهما ، وعبَّرا بلا حدود عن إخلاصهما لفنهما ولوطنهما روسيا . فيؤكد أنطون تشيخف: «لا تسأل ماذا أعطاك الوطن ، ولكن من الأفضل أن تقل ماذا صنعت للوطن».

فالمعنى الحقيقى وراء ترجمتنا المسرحيات ذات الفصل الواحد – الفودفيل للأديب أنطون تشيخف ليس فقط أن يتعرَّف القارئ ويلم بالمجالات المتعددة التى كتب فيها الأديب ، ولكن لنؤكد أيضًا على أنَّ الترجمة تُعد رافدًا من روافد تواصل حوار الثقافات بين الشعوب . فاللغة لسان حال الشعوب من خلالها تسمع ظواهر طبيعة الغناء

26 - انظر بالتفصيل "أنطون تشيخف بعيون مصرية" (فى ذكرى مرور مائة وخمسين عاماً على ميلاده) ، القاهرة ، 2010 ، ص 37 – 41 .

لهذا الشعب أو ذاك ، وتعبرعن روحه ، و بيئته الأصيلة ، والأكثر من هذا أنها تعكس حياته فى أى مرحلة من مراحل تاريخه ، وتعبر عن ثقافته وحضارته . ولهذا إذا أرادَ المرءُ أن يتعرف على تاريخ شعب ما ، فعليه أن يقرأ مؤلفاته الأدبية . حقًا هناك الكثيرُ من الترجمات والدراسات المتخصصة عن إبداع أنطون تشيخف داخل روسيا وخارجها إلا أنه حتى الآن لم يترجم أو يكتب كل شيء عنه . فالحديث عن أنطون تشيخف ومؤلفاته الأدبية تحتاج إلى مجلدات كتلك التى قضاها فى الإبداع والفن وأثرى بها الأدب الروسى والعالمى . فأعماله لم تهرم أو تمت ولم تفقد قيمتها الفنية ، ومع مرور الزمن فاهتمام الباحثين والمتخصصين والعامة بالتراث المسرحى للأديب لم يتضاءل على العكس تزايد وتضاعف فقد كتبت عنه الأجيال السابقة ، وتواصل الأجيال الحديثة ، والتى لم تنته بعد من دراستها ، والمجال مازال مفتوحا أمام الجميع فى المستقبل.

كتب أنطون تشيخف إحدى عشرة مسرحية ذات فصل واحد – فودفيل . ترجم الدكتور أبو بكر يوسف[27] إحداها وهى مسرحية «الدب» (1888) .



فريد شوقى



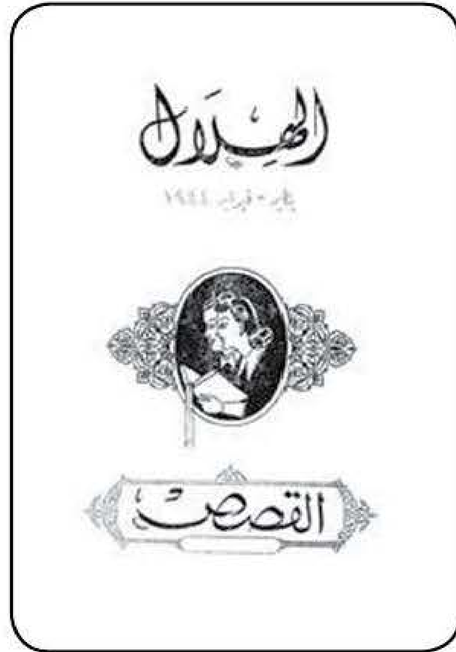
محمد نجاتى صدقى



زكى طليمات

يجدر بالإشارة هنا إلى رائد المسرح المصرى – العربى المشهور ، والمبدع زكى طليمات (1884 – 1982) كان قد ترجم فى وقت سابق عام 1944 مسرحية "الدب" وأطلق عليها "الجلف" - فكاهة ساخرة من فصل واحد - نشرت على صفحات مجلة "الهلال" العدد رقم (1) يناير – فبراير . ثم قام بإخراجها على خشبة المسرح عام 1946 ، وأسند دور البطولة للفنان فريد شوقى والفنانة عزيزة حلمى ، وكانت هذه المسرحية سببا فى شهرة النجم فريد شوقى فى عالم الفن ، ولا يفوتنا هنا التنوية إلى أن محمد نجاتى صدقى

27 - د. أبو بكر يوسف ، ولد فى الفيوم 1940 ، التحق بكلية الآداب جامعة موسكو الحكومية 1959 ، عمل بكلية الألسن ودرّس فيها الأدب الروسى والترجمة . عاد إلى موسكو عام 1968، لنيل الدكتوراه والتى حصل عليها ثم عمل بدار التقدم فى موسكو – وهى تعد من أكبر دور النشر فى روسيا . ترجم أربعة مجلدات بعنوان "أنطون تشيخوف" ومؤلفات آخرى لعديد من الكُتاب. (المترجم)



فكاهة ساخرة في فصل واحد للكاتب الروسي الكبير انطوان تشيكوف

الجلف

نقلها إلى العربية
الأستاذ زكي طليمات

(1905 – 1979) – من رواد الفكر والأدب فى فلسطين – قام بترجمة قصص قصيرة مختارة من الأدب الروسى تعد من المآثر الخالدة للأديب أنطون تشيخف ، وأيضاً أربع مسرحيات من ذوات الفصل الواحد وهى : "أغنية التم" ، "الدب" ، "مفجوع رغم أنفه"، "ضرر التبغ". نُشرت فى عام 1947 فى سلسلة (إقرأ) ، دار المعارف ، رقم (5) . وفى مقدمة الكتاب تناول نجاتى صدقى دراسة عامة لحياة الأديب وأهم مؤلفاته لكى يتابع القارئ المتلقى مراحل تطور فكر الأديب المبدع وجوهر وحقيقة قصصه ومسرحياته، ويؤكد أنه أثناء نقلها إلى العربية حافظ على روح المؤلف ومزاجه وتعبيره ، بحيث لا يتعذر على القارئ العربى أن يلمس أنه يطالع أدباً غير أدبه ، ويشاهد مجتمعاً غير مجتمعه وقد أعيد طبعها مرة أخرى فى مارس عام 1967 من السلسلة نفسها.

والآن نكمل المشوار الذى بدأوه ، وندعو أن يوفقنا الله ونلقى الضوء ولو أقل القليل على مشوار نجاحه، فاليوم نضع بين أيدى القارئ الكريم المسرحيات العشر الأخرى ـ ذات الفصل الواحد – الفودفيل والمترجمة من النسخة الأصلية الروسية . ونود الإشارة إلى أننا سنقدم ترجمة هذه المسرحيات وفق تسلسل تاريخ كتابتها . كما نلفت انتباه القارئ العزيز أنَّ بعضَ هذه المسرحيات ذات الفصل الواحد فى البداية كانت قصة قصيرة قام الكاتب بتحويلها من السرد القصصى إلى مسرحية قصيرة ، بتصوير حياة مألوفة ، وأن حدث المسرحية يقترب من رتابة الحياة اليومية ، ومبنى على التوتر والانفعال بما يتناسب مع خصائص هذا الجنس الأدبى الذى يمثل على خشبة المسرح، ومن خلال حوار يدور بين الشخصيات ، مع احتفاظ الكاتب بالإيجاز الفائق الخصب عميق المعنى ، وقوة التعبير، لأن أهم سمات منهجه: «فن الكتابة – هو مهارة الاختصار» ، « أن تكتب بموهبة – يعنى أن تكتب بإيجاز» ، « أستطيع أن أحكى بإيجاز عن أشياءِ شديدةِ الإسهاب».

أولى هذه المسرحيات: «على الطريق العام » (مشهد درامى فى فصل واحد) وتعد تعديلاً لقصة قصيرة درامية كتبها الأديب بعنوان «فى الخريف» (1883) . فى سبتمبر عام 1885 تم تقديم نص المسرحية إلى الرقابة لتجيزها للنشر إلا أن الرقابة رفضت إجازتها ، وأرجعت أسبابَ عدم النشر كما جاء فى تقريرها[28] ـ أن الحادثة تجرى ليلاً ، فى حانة على الطريق العام ، فى إحدى المقاطعات الجنوبية بروسيا القيصرية، وأن من بين المترددين عليها من عابرى سبيل ، وأغراب ، ومتسكعين ، إما للتدفئة أو للمبيت ، فبطلها أحد النبلاء المفلسين ، الذى أُصيب بالفقر المدقع ، وها هو يبكى بكاءً مريرًا ويتوسل لصاحب الحانة ، بصورة مهينة ، بأن يمن عليه بكأس من الخمر بأجل . ثم يتبين من الحوار بأنه لم يكن سكيرًا ، مُدمنًا للخمر ، بل كان شابًا يانعًا

28 - ا. تشيخف ، مجموعة المؤلفات الأدبية فى إثنى عشر مجلداً ، موسكو ، 1961 ، المجلد التاسع، ص 666 .

شريفًا مقبلاً على الحياة - فهو سليل أحد النبلاء، تمتَّع بحب واحترام الآخرين له الفقير قبل الغنى، إلا أنه أقبل على إدمان الخمر لما يعانيه من حسرة ومصاب فادح، وذلك بعد فرار زوجته ليلة الزفاف. فبدلاً من أن يواجه المشكلة و يحلها لجأ إلى الإدمان ليهرب من الواقع المرير.

وهنا ينتقد الأديبُ البطلَ لوقوعه فريسة للتشاؤم والتخاذل والإدمان. وصدفة ودون أن تعلم الزوجة بأنَّ النبيلَ موجودٌ فى الحانة، عرجت بصحبة حوذى عربتها لتحتمى من سوء الطقس والمطر الغزير. وتدور الأحداث وتتنامى على هذا النحو: تظهر فيما بعد فى الحانة للحظات قليلة فى نهاية أحداث المسرحية سيدة غاية فى الثراء والجمال اتضح فيما بعد بأنها العروس الخائنة للنبيل السكير المنحوس. فبصدق وبقلم رصين يفضحُ الكاتبُ تصرفاتها المشينة لهروبها من زوجها. ويتعاطف أحد نزلاء الحانة - إيجور ميرك مع هذا النبيل السكران التعيس لأنه يعانى مثلَهُ من هذه المصيبة، والذى يحاول ضربها بالبلطة، ولكن يمنعه الناس من محاولة اغتيال فاشلة والقيام بهذا الفعل المتهور. فأمامنا صورة جميلة للإنسان الروسى البسيط الذى يدافع عن الحق، ولا يخشى فى الحق لومة لائم، ولكن بسلوك فظ، ينتقده الأديب.

فمن خلال روح الفكاهة المرحة والسخرية المستساغة تتوالى الأحداث: فيجتمع فى هذه الحانة لفيفٌ من الناس لأطياف وأنماط متعددة من المجتمع الروسى بمحض الصدفة ودون سابق ميعاد، فيجسد أنطون تشيخف نماذج من أفراده، ويعطى صورة مصغرة للمجتمع الروسى موضحًا الفوارق الطبقية: فمن بينهم الغنى والفقير، السعيد والحزين، المثقف والجاهل، والورع المتدين المهموم والمتشرد ... يرسم ملامح كل شخصية بكل دقة وإتقان بما فيها من آلام موجعة، وآمال وطموحات مشرقة، فهو لا يكذب ولا يتجمل. ومن بين شخصيات المسرحية «سافا» - ذلك الرجل العجوز الساذج الضعيف، الذى لا يريدُ شيئًا من الدنيا سوى السفر إلى الأماكن المقدسة للحج بالقدس، إلا أنه يقع ضحية للكذب والتضليل. اكتظت الحانة بسيدتين وارعتين: «يفدوكيما ونازيروفنا» - من خلالهما يلقى أنطون تشيخف الضوء على أمور جذرية مهمة تسود المجتمع بضرورة تحرير العقل من الجهل الدينى. فيجب عليهما إتباع السلوك القويم الحميد الذى يتسق مع تعاليم الدين السمح على الأقل بحسن الحوار مع الآخر، وعدم غلظة القول إلا أنهما على النقيض. يجمل هذا المكان شخصية «فيديا» - العامل البسيط الذى يعشق الموسيقى ويتسم بروح الفكاهة والمرح إلا أنه ثرثارٌ ويدّعى المعرفة. بالإضافة إلى هذه الأشخاص المختلفة المتميزة يعطى الكاتب صورة واقعية لصاحب الحانة، الذى لا يهمه فى الدنيا سوى جمع النقود والربح. ومن بين شخصيات المسرحية أيضًا: كوزما - عابر سبيل. هذا الرجل البسيط الجسور الصريح الذى لا يهاب قول الحق. فمن خلاله نتعرف على تفاصيل حياة ومأساة هذا النبيل المدمن. هكذا

بريشة الفنان المبدع يرسم لوحة واقعية متعددة الألوان لنماذج من الشخصيات من صميم الحياة االروسية ، ويؤكد أنَّ الظلمَ من صنع البشر . وأثبت أنَّ الفنَ ابتكارٌ وإتقانٌ.

ينتهى المشهد الدرامى بفشل محاولة الاعتداء على الزوجة . ويرجع السبب الرئيسى فى المنع من النشر فى 20 من شهر سبتمبر 1885 ، لاعتقاد الرقيب بأنها مسرحية «كئيبة بذيئة» ، ولهذا لا يمكن أن يسمح لها بالعرض . ولهذا لم يتم عرض المسرحية على خشبة المسرح أثناء حياة الأديب ، على الرغم من أنه قد أعدها لهذا الغرض . وتم نشرها فيما بعد فى عام 1914 بعد وفاته .

صدر بعد ذلك فودفيل بعنوان «عن مضار التبغ»[29] (وهو مشهد – مونولوج فى فصل واحد)[30] . كتب أنطون تشيخف هذا المشهد عام 1886، وآخر يحمل العنوان نفسه فى عام (1903) . وقد أجازت الرقابة المسرحية للنشر فى 31 يناير 1887 . وفى رسالته التى بعثها فى 14 فبراير فى العام نفسه إلى الكاتب والمؤلف المسرحى «ف. ف. بيليبين» (1859 – 1908) واقترح بأن يقوم بالدور ممثل بعينه : لقد انتهيت الآن من كتابة مشهد – المونولوج «عن مضار التبغ» ، الذى خصصته فى خبايا نفسى للممثل الكوميدى جرادوف – ساكالوف[31] ، فكثيرًا ما كان يكتب أنطون تشيخف مسرحياته لبعض الفنانين ؛ لأنَّ أسلوبه يتطلب وسائل فنية خاصة مختلفة للتمثيل . وقد نُشِرَ هذا المشهد فى مجلة «بيتربورجسكايا جازيتا» فى 17 فبراير عام 1886، ثم أدرجت بعض التعديلات على النص وتم نشره فى كتاب يتضمن العديدَ من مؤلفات أنطون تشيخف بعنوان «قصص متنوعة» (1886) .

ففودفيل «عن مضار التبغ» كأحد الأجناس الأدبية ، حافل بالفكاهة . فأحداث المسرحية تدور فى أحد نوادى الأقاليم ، بمناجاة بطلها الأوحد . فهو مدرس يعمل فى أحد أقاليم روسيا، بسيط ، متواضع ، مثقف إلا أن أنطون تشيخف وصفه بزوج الست – فهو متزوج من صاحبة مدرسة داخلية للبنات ـ ولديهما تسعُ بناتٍ: الكبرى فى السابعة والعشرين من عمرها والصغرى فى السابعة عشر . يصور الكاتب بالتدريج معاناة البطل الاجتماعية والنفسية . فاليوم يلقى «زوج الست» المدخِّن محاضرة «عن مضار التبغ» بناءً على أمر من زوجته الثرية ، التى لا يسيطيع بل ولا يجرؤ أنْ يخالفَ أوامرها، ولهذا لا يستطيع أن يركز أثناء إلقاء المحاضرة وينحرف عن لب الموضوع ويتغلغل

29 - التبغ : نبات من الفصيلة الباذ نجية ، يستعمل تدخيناً ، واستنشاقاً ، ومضغاً ، ومنه نوع يزرع للزينة . (المترجم)

30 - المونولوج : هو الحديث المنفرد فى مشهد مسرحى يؤديه ممثل واحد ، وتكون مناجاة الممثل لنفسه على المسرح أمام الجمهور . (المترجم)

31 - ا. تشيخف ، مجموعة المؤلفات الأدبية فى اثنى عشر مجلداً ، موسكو ، 1961 ، المجلد التاسع، ص 666 .

فى المشاكل التى يعيش فيها . لا يستطيع هذا البطل الذى يرتدى رداء العظمة منذ اللحظة الأولى لظهوره على المسرح أثناء إلقاء المحاضرة ، أن يستمر طويلاً فى التصنع والتكلف- فالإنسان يمكن أن يخدع نفسه بعض الوقت ، ولكن ليس طوال الوقت- فيظهر الوجه الآخر لشخصيته المحطمة المطحونة ، فيتطرق إلى المشاكل التى يواجهها فى حياته اليومية .

فهو يدير مدرسة داخلية للبنات تمتلكها زوجته ، وهو المسئول فيها عن النظام والنظافة بالإضافة إلى مراقبة الشئون الإدارية والاقتصادية ... إلخ ، كما يقع على عاتقه تدريس مواد: الرياضة ، والفيزياء ، والكيمياء ، والجغرافيا ، والتاريخ ، واللغات الأجنبية : الفرنسية ، الألمانية ، الإنجليزية ، والكتاب المقدس ... بالإضافة إلى هذا فالبطل يعانى من مرض الربو ، ذلك الداء الذى شخصه الأديب بحرفية فائقة ، وأكد أنَّ المرضَ يرجعُ إلى أسباب عدة ، من بينها: أن نيوخين – البطل يستنشق التبغ ، بالإضافة إلى أنه يتناول طعامًا غيرَ صحى بأمر من زوجته . فأنطون تشيخف يكافحُ التدخين، ليس من خلال النصائح الطبية التى يكرهها المريض ، وإنما بالإقناع والموضوعية وبالعلم عن طريق إعطاء صورة حقيقية للمعاناة الصحية للبطل . من خلال هذا المونولوج- الذى يتطلب أن يؤديه ممثلٌ ذو موهبة فنية عالية تتجلى فيه سماتُ الفنان المبدع بالتمثيل الصادق البسيط الذى ينفذ إلى قلب المشاهد- يبوح البطل عن الحياة المعذبة التى يحياها ، وذلك من خلال ملامح نيوخين المذهلة فى إيجازها ودقتها من الحياة ذاتها.

يطرح أنطون تشيخف فى هذه المسرحية العديد من القضايا التى تسودُ المجتمعَ فى هذا الوقت والتى مازالت موجودة حتى الآن فى كثير من المجتمعات ، على سبيل المثال: عن مضار التبغ ، وسيطرة الزوجة على الزوج ، وكثرة الأولاد فى الأسرة ، وعقدة إنجاب البنات دون البنين ، والعنوسة التى تفاقمت وأصبح زواج البنت فى سن متأخرة بسبب المغالاة فى المهور ، والدعوة لخروج الفتاة إلى المجتمع للعمل ، وضرورة إصلاح التعليم ، بتحسين وتطوير وضع المعلم وأن يكون مثقفًا وعاشقًا لعمله بالدرجة الأولى ، والمناداة بأساليب حديثة للبحث العلمى مبنية على التخصص الدقيق وعدم التعميم والتبسيط ، وأن العلماء لا يرتجلون فى المحافل العلمية ، وحتمية التعاون بين الأسرة والمدرسة لتحقيق الغاية المنشودة لجدية التعليم ، وإتباع السلوك القويم فى التعامل مع الكبار ، وحث الشباب على الزواج لتكوين أسرة سعيدة . فكم هى الدنيا جميلة بالسعادة الزوجية . فعلى الرغم من كل المشاكل الأسرية التى يعيشها البطلُ يعترف بأنه من أسعد الآباء ، والأزواج على مدى ثلاثة وثلاثين عامًا ، ويعتذر لأنه كان سببًا فى تعاسة زوجته لخنوعه أمامها . هكذا شَخَّصَ أنطون تشيخف أمراضَ

المجتمع ووضع روشتة العلاج لإصلاحه . أليست هذه المشكلات مازالت قائمة فى مجتمعات العالم المختلفة؟

اسم بطل هذه المسرحية نيوخين ذلك الشخص سريع البديهة الذى يتكيف مع الأوضاع المختلفة. ويعانى نفسيًا وجسديًا من الضغوط المحيطة به ، وتتوارى وراءها بالدرجة الأولى شخصية زوجته المتسلطة . نلمح هنا أنطون تشيخف الطبيب يمدنا بالحقائق العلمية المستفيضة الخطيرة والمخيفة عن مضار التبغ للإنسان الروسى والبشرية جمعاء إلا أنه فى الوقت نفسه يؤكد على أنَّ له فوائدَ علمية حيث يُستخدم فى أغراض طبية أخرى . وكفنان بارع يهتم بأسرار هذه الروح المعذبة من خلال التفاصيل الدقيقة والأفعال المفاجئة للبطل.

وجدير بالملاحظة ، أن شخصية الزوجة المذكورة فى فودفيل «عن مضار التبغ» ، غير مرئية ، ولكننا نعرف الكثير عنها بكل دقة . فيقوم الزوج من خلال المواقف المضحكة بمحاكاة تصرفاتها ببساطة فى الحركة والأسلوب مُفعمًا بالحيوية والقوة والضحك والسخرية ومن خلال الإيحاءات والإيماءات ، حيث يغلب طغيان الذعر والخوف عليه بصورةٍ مدهشة وذكية ، فيثير ضحك المتلقى حتى الدموع . حقًا إنَّ أنطون تشيخف لم يتحدث فقط عن مضار التبغ على الإنسان ، وإنما كشف عن قضايا المجتمع المختلفة ، غير أنه يشفق على هذا الزوج الذى لا يعرف كيف يحترم كرامته الإنسانية ، ويعيش عبدًا مستسلمًا لقوة زوجته الغاشمة ، وعبدًا للخوف دون محاولة منه للتغير إلى عالم أفضل ، ومستقبل مشرق سعيد ينتظر روسيا والبشرية كلها . فيمكن القول أن المشهد هزلى مضحك ، إلا أنه داخليًا حافل بصرخة واستغاثة من القلب لإعادة القيم الأخلاقية . فالمسرحية مضيئة مفيدة ، وتدق ناقوس الخطر للفت الأنظار إلى عقول الناس الخاوية . فهو قلق على حياة الإنسان البسيط المثقف ، ويهتم بقضايا عصره الملحة . فالأديب لا يسخر من البطل بقدر ما يسخر من الحياة التى يعيش فى إطارها. فهو لا يحاسبه على سلوكه وآرائه ، بل يوضح عدم توفر القدرة لديه على الخروج من تلك الحياة المؤلمة، فيبين تصرفاته مع نفسه ومع الآخر ، فكل ما يبغيه أن يكون إنسانًا . فهو ضد كل ما يمتهن الكرامة الإنسانية، فالإنسان أكثر طيبة وبراءة من أن يتألم ويعانى الحياة. فهى كوميديا الأحزان.

تلى هذا صدور «أنشودة البجعة» - «كالخاس» (آخر إبداعات الفنان) (1887) مشهد درامى من فصل واحد. تمت إجازتها من قبل الرقابة فى 9 يناير 1888 . ترجمت هذه المسرحية إبان حياة الكاتب أنطون بافلافيتش تشيخف إلى العديد من اللغات من بينها: البلغارية ، الألمانية ، البولندية ، الصربوكرواتية ، التشيكية . عرضت المسرحية للمرة الأولى على خشبة مسرح «كورش» فى 19 فبراير 1888. نلمح من الوهلة الأولى لقراءتها كيف استطاع الفنان من خلال فن الفودفيل – أن يعطى صورة كاملة لحياة فنان إنسان بسيط . أما فيما يخص الترجمة الحرفية لعنوان المسرحية يرجع إلى عبارة

اصطلاحية لمعتقدات شعبية روسية خاصة بطائر البجعة فى الحكايات والخرافات والأساطير القديمة . فالبجعة طائر يرمز إلى عديد من الصفات الحميدة مثل: القوة ، والصحوة ، والصفاء ، والفطنة ، والمروءة وموهبة التنبؤ، والعزلة .... إلخ .

وهناك تصور بأن طائر البجعة يستطيع أن يحلق فى السماء ، ويجمع فى نفسه قدرة وقوة خارقة فى الهواء والماء . كما يرمز إلى الحياة وفى الوقت نفسه يجسد رمز الموت . فهذا المعنى الدلالى يرمز إلى تضادين مختلفين فى حكايات الأساطير الخرافية، فمنه الأبيض والأسود الذى يرمز للحياة وفى الوقت نفسه للموت ، ويرمز أيضًا إلى الخير والشر. تضمنت صورة طائر البجعة كثيراً من المؤلفات الأدبية للعديد من الشعراء والأدباء . فحينما تغنى البجعة وتنشد يعنى هذا بأنها تشرف على الموت . وهناك اعتقاد آخر ذائع الصيت يتلخص فى أن «أنشودة البجعة» تعنى آخر عمل إبداعى قام به الشاعر أو الأديب أو الممثل أو الملحن أو أى شخص من الموهوبين والمبدعين قبل اعتزاله أو وفاته. ويعودُ مفهومُ «أنشودة البجعة» إلى الأديب اليونانى «إسخليوس»[32] (525 – 426 ق. م) ، الذى يذكر أن لدى طائر البجعة ملكة وهبها الله له دون سائر الطيور ، إذ ينشد أغنية تتنبأ بموته قريبًا ، بإطلاق صوت مذهل وصياح قوى . «أنشودة البجعة» بالنسبة للفنان تعنى آخر إبداعاته الفنية ، وأيضًا تستخدم كآخر عمل ابداعى لأى إنسان عادى فى أى مهنة متخصصة . وهكذا تعد مسرحية «بستان الكرز» (1903) هى «أنشودة البجعة» للأديب أنطون تشيخف ـ وتعنى آخر مؤلفاته الأدبية.

وعلى الرغم من أن المسرحية تحملُ عنوانًا مؤنثًا «أنشودة البجعة» إلا أن شخصية «فاسيلى فاسيليتش سيفيتلافيدوف» – محور المسرحية – إنسان مجروح القلب ، بلغ من العمر ثمانية وستين عامًا ولا يهتم به أحد، تركه الجميع وحيدًا ، وانصرفوا . فهو رجل غير وسيم ، وليس شابًا ، بل كبير السن . ولكن إبداع أنطون تشيخف يكمن فى تصويره للحالة النفسية للبطل ، بما لديه من وسائل فنية دقيقة ، فهو كامن فى إيقاع لغته الجلى والمتأن ، والمعانى النبيلة الدافئة . فالأديب يدع البطل يحكى قصة حياته ، ويتحدث عما يجيش فى نفسه بعد حفل التكريم ، ويتكلم عن أنين الممثل ووجدانه ، فكم تقسو عليه الحياة! وبهذا فقد استطاع الكاتب أنْ يُوسّع دائرة نطاق شخصيته . فالبطلُ يؤكد أنَّ فنَ المسرح بالنسبة للفنان بمثابة قدس الأقداس ، أو هو يعنى المحراب وجنته التى يبتغيها . فمنذ بداية مشواره الفنى تميز بحبه العميق للمسرح وسيظل هكذا وحتى نهاية العمر . وإذا كان المسرح يُعد تفسيرًا للأدب، فلهذا يتعامل البطل مع كل كلمة بأمانة واقتناع وكل عبارة باحترام حقيقى. فالكاتب الساخر يوصل صورة موجعة ولكن بصورة عذبة جميلة ، وإن أثرها

32 ـ إسخليوس : شاعر وكاتب مسرحى يونانى (525 – 426 ق.م) ، مؤسس اللون التراجيدى فى الأدب اليونانى ، ويعتبر أبا المأساة والتراجيديا اليونانية ، كتب العديد من المسرحيات التى جسدت التاريخ اليونانى (المترجم) .

المأساوى يكمن فى بساطتها ، وفى الوقت نفسه يضحك ألمًا . ففى المسرحية قليل من الفعل المسرحى وكثير من الحوار الهادئ . فشخصيتا المسرحية تتميز بالبساطة إلا أنَّ القارئ والمشاهد عليهما قراءة ما بين السطور مما يجعله فى نهاية الأمر يتعاطف معه ويشفق عليه.

وفى رسالة لأنطون تشيخف فى 14 يناير 1887 ، يؤكد: «كتبت هذه المسرحية فى ربع ورقة . وستمثل فى15 – 20 دقيقة . تعد أقصر دراما فى جميع أنحاء العالم . وسيلعب هذا الدور الممثل المشهور دافيدف ، والذى يعمل فى مسرح كورش ، وستطبع المسرحية فى مجلة «سيزون» وستنشر فى كل مكان . وعلى وجه العموم فالأشياء الصغيرة تكتب أفضل بكثير من الكبيرة: فقليلاً ما توجه إليها الانتقادات إلا أنها تحقق نجاحًا ... ماذا أحتاج أيضًا؟ كتبت الدراما فى ساعة وخمس دقائق ..[33]»

ومسرحية «أنشودة البجعة» مأخوذة عن قصة قصيرةٍ للكاتب تحمل عنوان «كالخاس» (1886) ، إذ شملت تغييرًا طفيفًا بإعادة صياغتها فى قالب مسرحى بما يتطلبه هذا الفن من تقنيات خاصة . ففيها يطرح المؤلف سؤالاً مهمًا: ما هو مفهوم الحياة؟ فالإنسان البسيط يتعذب من الحب فى مرحلة الشباب ، ويتألم ضعفًا فى مرحلة الشيخوخة . فالمشهد - نكتة بريئة . استيقظ البطلُ واكتشفَ حقيقةً موجعة، ومرارة وأسفًا ، وهى أن مجتمع الصفوة يعتبر مهنة التمثيل شيئًا تافهًا وأنَّ الممثلَ مجردُ بهلوان. وعن ظروف كتابة المسرحية يؤكد أنطون تشيخف بأن مسرحية «أنشودة البجعة» ذات الفصل الواحد – تُعد مونولوجًا - للبطل منذ البداية ، أى فى المشهد الأول من المسرحية - مع نفسه ثم بعد ذلك مع الملقن - أحد شخصيات المسرحية . فبعد حفل أقيم لتكريمه، على أحد مسارح الأقاليم ، وفى وقت متأخر من الليل ، وتحت سماء مفتوحة استيقظ من نومه بعد أن أفرط فى الشراب وغلبه النوم ، وهو يرتدى رداء الكاهن الإغريقى الرومانى القديم - كالخاس - وينظر من على خشبة المسرح إلى القاعة المظلمة والخالية من الجمهور . ورغم سواد الليل الحالك يمسك الفنان بيده شمعة تضئ المكان . يستغرق الممثل فى التفكير والتأمل فى حياته ومصيره ، فبعد أن بلغ من العمر الثامنة والستين – ، ها هو يقف على خشبة المسرح ويقدم اعترافًا حقيقيًا صادقًا حزينًا ويبكى بكاءً مريرًا غير متصنع لشعوره بالوحدة والخوف من الموت . كم كانت حياته مليئة بالصعوبات . فالمسرح بالنسبة للفنان هو قدس الأقداس ، يتعامل مع هذا المحراب باحترام كبير حتى يجبر الآخرين على احترامه بما يقدمه من أعمال إلى الجمهور . فهو يكشف عن مأساة الممثل التراجيدى – الكوميدى ، الذى يلعب دوره باقتدار وكفاءة ولكن بطريقة مضحكة إلا أنها حزينة .

33 - ا. تشيخف ، مجموعة المؤلفات الأدبية فى إثنى عشر مجلداً ، موسكو ، 1963 ، المجلد الحادى عشر ، ص 112 .

فعلى خشبة المسرح تتدفق ذكريات الفنان: فيحكى قصة حياته الحقيقية المأساوية . فى بداية مشواره الفنى كشاب مفعم بالحيوية والموهبة أحب فتاة رائعة الجمال وأحبته أيضًا ، فعندما اعترف لها بحبه وأراد أن يتوج هذا الحب بالزواج ، رفضت رفضًا مطلقًا وأبت وطلبت منه أن يعتزل المسرح والفن أولاً ، لأنَّه لا يوجد أحدً يوافق على أن يزوج ابنته أو أخته من ممثل . فالبطل الذى ينتمى إلى طبقة النبلاء يتمزق قلبه حزنًا لفراق محبوبته ، فتصرفها هذا يكشف عن حقيقة تقلع العين، وخيبة أمل مريرة عن وضع الممثل فى المجتمع ، فيحلل أنطون تشيخف حالة البطل النفسية البائسة التى انتابته بعد هذه الحكاية ، فكيف هام فى الشوارع والطرقات ألمًا وفزعًا ، وكيف خدعته الحبيبة ، وكيف خدعه أيضًا الجمهورُ الذى يصفق له إعجابًا، ويهديه باقات الزهور ، أو يشترى صورته الفوتوغرافية من أجل التفاخر إلا أنه كان غريبًا عنه ، وأخيرًا فهو يستعرضُ حياته ويعترف بأنه كيف دفن موهبته فى التراب .

وتعد "أنشودة البجعة" محكمة للنفس وتأبين لدفن موهبة البطل ، فها هو يقدُم مقتطفات من بعض الأدوار الكبيرة الصعبة التى لعبها من المؤلفات المسرحية الروسية والعالمية من بينها على سبيل المثال: "باريس جادونوف"، "بالتافا" للشاعر الروسى أ. س. بوشكن ، "البلية من العقل" للأديب الروسى "ألكسندر سيرجييفتش جريبايدف" ، وأيضًا مسرحيات "هاملت" ، "عطيل" ، "الملك لير" ، للأديب الإنجليزى "وليم شكسبير"، أى أن هذه الأدوار الرائعة الجادة الروسية والعالمية التى مثلها بنزاهة وتفانى وإخلاص يومًا ما على خشبة المسرح رغم عدم استقرار حياته ، المليئة بالوحشة والوحدة – ها هو يتذكرها ويقدمها للمرة الأخيرة ، لأن زمانه قد ذهب وولى ولن يستطيع إعادته وسيصبح فى طى النسيان مثله فى هذا مثل طائر البجعة الذى يغرد للمرة الأخيرة ويتنبأ بوفاته . ففى سياق النص نشعر بتعاطف الأديب نحو البطل كما يقدر موهبة الفنان التى تتسم بالسمو والرقى والإبداع والقيمة الفنية للرسالة التى يقدمها الممثل للناس إلا أنه يدرك تمامًا تقدم العمر للبطل ، وهذا شيءَ طبيعى وفقًا لناموس الحياة وحتمية الاعتراف به وتقبله مثل تغير فصول السنة : فالشتاء يتبعه الربيع ، ثم يأتى الصيف ويليه الخريف وهكذا . فشخصية فاسيلى فاسيليتش تثير الشفقة والتعاطف، فهو رجلَ مهذبَ نبيلَ ذو ضمير نقل أحاسيسه العاطفية وغضبه الحزين بصورة بسيطة مؤثرة دون صراخ أو عويل مما يجعلُ القارئ والمشاهد متعاطفين معه لأنها حقيقة واقعية صادقة .

والجدير بالذكر رسم الفنان المبدع ومصمم الجرافيك "ليونيد أوسيبافيتش باسترناك" (1862- 1945) - والد الأديب والشاعر "باريس ليونيد فيتش باسترناك"- صورة تحمل اسم المسرحية نفسها ذات الفصل الواحد "أنشودة البجعة" ، مستخدمًا الحبر، والفرشاة ، والريشة على ورق بمقاس (19x18) نشرت فى البداية على صفحات



لوحة الفنان ل.باسترناك (1862 ـ 1945) عن مضمون مسرحية " أنشودة البجعة"

مجلة : "أرتيست" (1890) ـ وتعنى "الفنان" ـ والتى تصور الحوار الذى يدور فى زاوية من خشبة المسرح بين المسنين: الفنان "فاسيلى فاسيليتش سفيتلافيدوف" – المفعم بالحماسة والجرأة وهو يجلس وقد باعد بين ساقيه على كرسى ذى مسند مرتفع يرفع يده اليمنى متفوهًا بصب اللعنات ، و يجلس على نحو معبر : شعث الشعر ، فاتح عينيه بنظرة تعبر عن الاندهاش وهياج عارم ، وعلى الأرض شمعة مضاءة لها معنى خاص: فالضوء الباهت يعطى شيئًا من الخيال بالإضافة إلى معنى آخر وهو الشيء الخفى المجهول. وضوء الشمعة متغير وغير ثابت إلا أنه يكشف بالتفصيل وبدقة قوام جسم الممثل الحزين وملابسه فهو يرتدى ذلك الرداء الإغريقى – الرومانى القديم الطويل وقد التصق الثوب التصاقًا وثيقًا بجسده ويشده بحزام حول الخصر مما يحوله من ممثل تراجيدى إلى ممثل هزلى ، كما يظهر ظله الأسود الكبير الحجم عى الحائط مما يضيف حالة من الخيال وأيضًا من الغموض لما يحدث . فى الاتجاه المقابل يقف الملقن نيكيتا إيفانيتش منحيًا ظهره واضعًا يده اليمنى وراء ظهره واليسرى على صدره وهو يصغى باهتمام إلى مونولوج «فاسيلى فاسيليتش سفيتلافيدوف» الذى يحفظه عن ظهر قلب . وتشير وقفته إلى مدي احترامه للفنان القدير. هذه الصورة تعرض الآن فى متحف «ساراتف» الوطنى الذى يحمل اسم الأديب راديشف .

كتب أنطون تشيخف مسرحية «طلب يدها للزواج » عام 1888 . تتميز هذه المسرحية بالبساطة والحبكة الفنية ، والتطور السريع للأحداث والنهاية غير المتوقعة. فتدور أحداثها حول الإقطاعى إيفان فاسيليفيتش لوماف الذى يفكر فى الزواج ويقع اختياره على ابنة جاره نتاليا ستيبانفنا تشوبكوف لكونها ذكية وربة منزل ممتازة. فى بداية حديثه معها ينشبُ بينهما جدال حول ملكية أرض «الثيران» وهى أرض صغيرة «مثلثة» غير مزروعة تنمو فيها أعشاب برية تعيش عليها الثيران ، ولا تستحق كل هذا الجدال . ويستمر الأبطال فى الجدال ويخرج الموضوع عن مساره و يحاول كل منهما أن يثبت أنه على صواب وأن الآخر على خطأ ، على الرغم من أنَّ هذا الأمر لا يستحق كل هذا الجدال فى الأساس .

ونتيجة لذلك ينسى لوماف الأمرَ الذى جاءَ من أجله بعد شعوره بوعكة قلبية وألم فى جنبه وقدمه ، فهو شخصٌ مريض جدًا بالوسواس ومهتم بشكل بالغ بصحته ، وبعد أن تعلم نتاليا ستيبانفنا أن لوماف جاء لخطبتها ، تنهار وتصرخ وتصرُ على رجوعه ، وعندما يعود تعترف أنها لم تكن على حق وأن أرضَ الثيران ملكٌ له .

وأثناء حديثهم يستمر النزاع مرة أخرى ولكن فى هذه المرة حول كلاب الصيد التى يمتلكونها ، و يحاول كل منهما أن يثبت أن نوع الكلب الذى يقتنيه أفضل من كلب الآخر ، وقد رسم الكاتب أشخاصه ببراعة كما يمكن أن نكشف من خلال الحوار التفاصيل التى لم يذكرها الكاتب فإصرار نتاليا ستيبانفنا على عودة

الخطيب الخصم يدل على أنها بالفعل ليست شابة وأن فرصتها فى الزواج أصبحت ضئيلة ، وعندما يقع اختيار لوماف عليها لكونها ذكية وربة منزل جيدة فهذا يدل على أنها لا تحظى بقدر كبير من الجمال .

تجمع المسرحية بين الكوميديا والدراما ، فتبعث الابتسامة وتحثُّ القارئ على التفكير والبعد عن الجدال العقيم الذى ليس له أساس والناتج عن الحياة المكتظة بالروتين والأشياء التقليدية . ومن ناحية أخرى يكشف الكاتب من خلال ستيبان ستيبانفيتش الأب الذى يتمتع بقدر كبير من الخبرة الحياتية أن المشاحنات قد تكون سرًا من أسرار السعادة الزوجية ، فالحياة الزوجية الخالية من المشاكل قد تتحول إلى حياة رتيبة مليئة بالروتين والملل ، ولكن المشاحنات وبعض المشاكل الصغيرة قد تعيد للحياة الزوجية بريقها ولمعانها وتزيد الشوق بين الزوجين ، وفى ختام المسرحية أثناء الجدال والنزاع الذى كان يدور بين زوجي المستقبل يصرخ تشوبكوف أنه بالفعل «بدأت الحياة الزوجية السعيدة» فأبطال تشيخف يعبرون عن واقعنا وحياتنا ولذلك فإن أعماله تواكبُ جميعَ الأجيال على الرغم من رحيله عن عالمنا منذ أكثر من قرن من الزمان .

تُعد مسرحية «حزين رغم أنفه» (1889 ـ 1890) إحدى المسرحيات القصيرة التي استطاع فيها الكاتبُ أنْ يجمعَ بين الفكاهة والجد وإثارة أحد أهم مشاكل المجتمع الروسي في فترة حرجة من تاريخه .

و يحمل العنوان مسرحية «حزين رغم أنفه» بين طياته معاناة بطل المسرحية إيفان إيفانوفيتش تالكاتشوف ، الذى لم يعد بوسعه تحمل مصاعب الحياة وضغوطها ، مطالبًا صديقه ألكسي ألكسييفتش موراشكين بالحصول بأسرع ما يمكن على مسدس للانتحار . ويبدو أن البطلَ يعاني من مشاكل معقدة آلت به إلى هذا الوضع المأساوي : «إنني خرقة بالية ، أبله ، مغفل! لماذا أبقى على قيد الحياة؟ لماذا؟ قل لي أنت ، لماذا أنا على قيد الحياة؟ لماذا هذا الكم من المعاناة النفسية والأخلاقية؟ ... لا ، لا ، لا! كفاكم ما فعلتموه بي! كفى!» من الواضح أن «تالكاتشوف» لا يمكنه التوافق مع الواقع المحيط به ، فكل ما حوله يتآمر عليه ويؤرقه . وعلى مدار المسرحية القصيرة نتتبع الأحداث اليومية العادية في حياته ، والتى تعطينا الأسبابَ الحقيقية لتلك المعاناة.

يبدأ البطل ـ الذي يعمل موظفًا بأحد الدواوين ـ يوم عمله في مناخ خانق ومنفر ، وسط ضوضاء الموظفين غير المؤهلين للقيام بأعمالهم من ناحية ، وتوسلات المواطنين ونداءاتهم لقضاء مصالحهم من ناحية أخرى. عندما ينتهي يوم عمل شاق مليئ بالمتاعب ومعوقات العمل يعود البطل إلي منزله لعله يجد الراحة المنشودة إلا أنه يصطدم بزوجته

التى تقضي على آخر أمل له في الراحة . فذهابه إلي المدينة يعد مبررًا كافيًا لتعطيه زوجته قائمة من الطلبات بالإضافة إلى طلبات الجيران والمعارف . هكذا يقضي البطل اليوم كله بلا راحة من العمل إلى المحل ومن المحل إلى الصيدلية كالعبد الأجير الذي لا يملك من أمره شيئًا ولا يجرؤ على الاعتراض . وبعد كل ذلك يتوجب عليه اصطحاب زوجته لمشاهدة أحد العروض الموسيقية .

وعلى صعيد آخر يلعب ألكسي ألكسيفيتش موراشكين دورًا فعالاً في المسرحية . إنه الصديق الذي يلجأ إليه البطل للنجاة من معاناته . ولكن من المضحك أن موراشكين لا يشارك صديقه آلامه النفسية ولا يؤازره في محنته بل يضيفُ إليها أعباءً جديدة . يصل الكاتب إلى عقدة الحوار عندما تتجمع الظروف كلها ضد البطل حتى الصديق الذي من المفترض أن يبدي تعاطفًا ومساندة له لم يلق سوى مزيدًا من التعب والعذاب ، فبمجرد علمه بالمكان الذي يقيم فيه البطل على النهر الميت ، قدم موراشكين لصديقه قائمة جديدة من الطلبات لتوصيلها إلى معارفه هناك ، مما أثارَ جنون البطل وجعله في حال يُرثى له .

يُعد «الانحدار النفسي لطبقة المثقفين الروس بنهاية القرن التاسع عشر» الفكرة الرئيسة لمسرحية أ. ب. تشيخف . يحاول الكاتب من خلال أحداث المسرحية رصد المظاهر الاجتماعية وأسباب المعاناة النفسية للمثقفين الروس المشغولين بأدوار اجتماعية لا تليق بهم . والغريب في تلك المسرحية أنَ الكاتبَ صوَّر أحداثها في أحد المنتجعات الروسية ؛ حيث من المفترض أن ينعمَ البطلُ بالراحة من مشاغل الحياة اليومية، إلا أن العكس هو ما حدث . حيث يستنفر أ. ب. تشيخف مشاعر القراء للتعاطف مع البطل الذي لا يجد لنفسه متنفسًا وسط مشاغل الحياة من حوله: «لا أحد يرأف بحالي ، لا أحد يشعر ، كما لو كان هذا أمرًا ضروريًا. حتى إنهم يضحكون . لكن أفهم ، أنا حيوان، أرغب في الحياة ! ليست هذه مسرحية كوميدية ، ولكنها تراجيديا» . يعيشُ البطلُ مأساة حقيقية ، فقد تحوَّل من رجل مثقف إلى رجل عادي لا يملك من أمره شيئًا . إنه ضحية مجتمع بأكمله لا يملك هدفًا يسعي إليه المثقفون ، إنه ضحية مجتمع مهلهل بمؤسساته واهتماماته .

نري من خلال المسرحية أنَّ الكاتبَ يحملُ المثقفين جانبًا من مسئولية معاناتهم في الحياة . فهو ينتقد أمثال تالكاتشوف من المثقفين الذين عاشوا في نهاية القرن التاسع عشر في روسيا والذين يرثون حالهم ، إلا أنهم لا يقومون بخطوات فعالة للنجاة من الوضع المهين الذي وصلوا إليه . ومن بداية المسرحية يعلنُ البطلُ بوضوح عن رغبته في الخلاص من توافه الحياة ، إلا أنه غيرُ قادر على القيام بأي تغيير فعال ؛ لهذا قدَّم الكاتبُ بطله في بداية المسرحية بوصفه «رب أسرة» وليس «المثقف تالكاتشوف» ، كما لو كان

لا يعترف بدور المثقفين في المجتمع ، بل يرأف فقط بحالهم . كما يشعر القارئ بخيبة أمل تجاه البطل الذي سرعان ما عاد - بإرادته - إلى وتيرة الحياة السابقة بعدما تخطى ما بداخله من آلام: «تالكاتشوف: أرى مدى تعاطفك معي... اسمح لى . سأذهب لشراء سمك الرنجة والسجق... و يجب أيضًا شراء مسحوق تنظيف الأسنان وبعد ذلك سأذهب لمحطة القطار» . رغبة تالكاتشوف فى الانتحار ما هي إلا إنذار يحمله الكاتب إلى المجتمع إلا أن التخلص من الحياة لا يحمل الحل . ولعل انتقاد الكاتب لتالكاتشوف محاولة لإيجاد الحل والبحث عن سبيل للخلاص من هذا الركود المجتمعي الذي حول المثقفين إلى حلقة فى ترس الحياة ، يدور بلا توقف.

اعتمد الكاتبُ فى مسرحيته علي العديد من الوسائل الفنية من أجل إظهار فكرته أهمها : استخدام التشبيهات من أجل استحضار الصورة وإعطاء وصف دقيق للحالة المزرية التى آل إليها بطلُ المسرحية ، فهو يصفُ حالته بعد يوم شاق: «آه ، أماه! أعياني التعب ، مثل الكلب...» ونراه فى موضع آخر يقول: «أقف ، وأحدق فقط بعيني كالحمار المنهك». بالإضافة إلى ذلك اعتمد الكاتب على الحوار كأحد أهم أنماط السرد ، فالمسرحية كلها تعتمد على الحوار بين بطل الرواية تالكاتشوف وصديقه. بالإضافة إلى ذلك استخدمَ الكاتبُ بعضَ الوسائل الفنية التي تميز فن المسرح أهمها: طريقة دخول الممثلين إلى خشبة المسرح ، التى تعطى للقارئ انطباعًا دائمًا يستمر حتى نهاية المسرحية ، ولهذا تعتبر إحدى أهم المهارات الفنية لكاتب المسرح هي رسم الشخصية بشكل يدعم فكرته وينقلها إلى القراء بسهولة وسلاسة . وأبلغ دليل على ذلك الصورة المزرية التى ظهر بها بطلُ المسرحية وفى يده غطاءٌ زجاجي للمصباح ، ولعبة أطفال ، وثلاثة صناديق من القبعات النسائية ، وحزمة من الملابس ، وكيس به زجاجة خمر وكثير من الأكياس الصغيرة . كما أن منظره يوحي بالارتباك الشديد والإعياء . فهو يقلب نظره في الغرفة كالمجنون - ويسقط على الأريكة فى إعياء . هذه الصورة تعطينا انطباعًا عن الحالة المزرية الشديدة التى وصلَ إليها البطلُ ، والتّي أودت به إلى الرغبة فى الانتحار.

هكذا استطاع الكاتبُ بمهارته المعهودة أن يصوِّرَ فى صفحاتٍ قليلة الكثير من المعاني والأفكار بأسلوب كوميدي شيّق . ولذا ليس بغريب أن تستمر عروض مسرحيات الفصل الواحد حتى الآن على خشبة «المسرح الصغير» وغيرها من مسارح روسيا بنجاح باهر.

نتوقف الآن عند فودفيل «حفل زفاف» والذى كُتب عام 1889، وتم إجازته من قبل الرقابة فى 25 أبريل 1890 . وهو مشهد فكاهى فى فصل واحد. وقد تطرق أنطون تشيخف إلى موضوع هذه المسرحية فيما سبق فى بعض قصصه القصيرة ، واستقى

منها : «ليلة حفل الزفاف» (1880)، «موسم الزواج» (1881) ، «زواج مصلحة» (1884)، « زواج من جنرال » (1884)، «حفل زفاف» (1887) . فمن المعروف أن حفل الزفاف عامة - هو يوم حافل غير عادى بما يتضمنه من مراسم عديدة فى كل زمان ومكان ، كما أنه يعد بحق من أهم الأحداث الرئيسة فى حياة أى إنسان . فيا له من احتفال عائلى متميز ، مليء بالهرج والمرج ، ما بين فرح وسرور وأيضا عناء ومشاغل العروسين وأهلهما ببعث البهجة والغبطة بين المدعوين خاصة الشباب بإقامة الرقصات المختلفة وترديد أغانى الأفراح بمستقبل سعيد ، والإعداد المضنى لمآدب الطعام التى تحتوى على ما لذ وطاب من أفخر المأكولات وأغلى المشروبات ، وحسن ضيافة الأقارب والأصدقاء ، فهكذا يبدو أنه يوم جميل لا مثيل له فى حياة العروسين اللذين يبدوان بحق - نجمى هذا اليوم يتلألآن فى سماء هذا المساء ...

وكان لحفل الزفاف عادات وتقاليد فى روسيا القيصرية فى ذلك الوقت ، فعلى سبيل المثال : أن يقوم العروسان بجولة فى شوارع المدينة على متن عربة فاخرة تجرها الخيول ، مع ضرورة حضور الوجهاء من طبقة النبلاء ، وأشخاص من رجال الدين الأرثوذكس ، أو رجال المجلس التشريعى - (الدوما) .... وإذا كان لا يمكن تحقيق هذا ، ففى بعض الأحيان كان يُستأجر جنرال ولابد وأن يكون ذا رتبة عالية فى الجيش ؛ وتعزف له الموسيقى العسكرية أثناء حضور حفل العُرس ، لأنَّ وجودَ شخصية ذات أهمية كهذه من شأنها أن تضفى على حفل الزفاف أهمية وشأنًا خاصًا للتباهى بين الأهل والأحباب بانتمائهم إلى الطبقات الراقية فى المجتمع... إلخ . إن فودفيل «حفل زفاف» - مسرحية هزلية ساخرة تكشف تراجيديا الوضع الاجتماعى ، والفوارق بين طبقات المجتمع . فالمسرحية ذات الفصل الواحد هذه ذات سمات فنية عالية تجمع بين المتعة والضحك والإثارة وبين السخرية والتراجيديا ، فهى بحق كوميديا تكشف الأقنعة عن واقع الحياة الروسية فى ذلك الزمان . ففى جرأة يكشف أنطون تشيخف كل ما هو سرى وخفى فى الحياة . فالمسرحية «حفل زفاف» تبدأ على نحو جميل بهيج سعيد وتنتهى بموقف مخجل لشخصية الجنرال بصفته أحد ضيوف حفل الزفاف ، ذلك الذى أثار حفيظة المدعوين بالحديث على نحو مفصل خاص بالمصطلحات البحرية إلى أنْ وصل الأمرُ إلى حد العراك ويتحوَّل الموقفُ إلى مشادة كلامية صاخبة ، وينتهى الوضع إلى مسرحية هزلية ساخرة . فالأديب بما لديه من أدوات السخرية يعرض الوجه الآخر للاحتفال بحفل الزفاف بما تضمنه من أحداث وحوار جاء على لسان شخصيات المسرحية .

فعند قراءة أو مشاهدة فودفيل «حفل زفاف» تترك لديك انطباعًا على نحو نموذجى معتاد ، فهو يتضمن العديدَ من شخصيات كاريكاتيرية ، بصورة مضحكة، وينتهى الموقف بشكل فيه مبالغة فنية ساخرة إلا أنه عند قراءة مسرحية أنطون

تشيخف بترو وإمعان سوف تكتشف أنَّ موضوعَ الفودفيل بسيط للغاية وأن له الكثير من التفسيرات والتأويلات. فبذكاء وبفطنة تفهم حقيقة الإنسان الغشاش المضلل ، كما أنك تدرك حقيقة الطبقة الوسطى فى ذاك العصر ، تلك التى ينتمى إليها العديد من الأبطال: من الحرفيين ، وصغار التجار ، والموظفين ، والنبلاء محدودى الثراء ، والتى تنغمس فى مصالحها الذاتية الخاصة بها فقط ، وتكتشف كم أن هذه الطبقة مُحدثة النعمة ، وضيقة الأفق فى نمط حياتها اليومية ، فالاهتمام الأول عندها ليس سعادة العروسين ، وإنما التباهى بالمظاهر الكاذبة. فالكاتب استطاع بحق وبقوة أنْ يوضِّحَ بأن أساس الوجود الإنسانى مبنى على العلاقات الاجتماعية الأسرية. وإلى جانب هذا أن الأديب من خلال «حفل زفاف» حرك المياه الراكدة ، فكشف الوجه الآخر للمجتمع الإنسانى بما يكمن فيه من تفكك ، وتفتت ، وتشرذم . فالأسرة هى النواة الأولى للمجتمع إنْ صلحت صلح المجتمع ، وإنْ فسدت فسد المجتمع. وهكذا نجد أن أنطون تشيخف لم يكن قاسيًا أو عنيفًا فى تشخيص أمراض المجتمع بل كان منصفًا وعلى حق.

فالحادثة تتم فى إحدى القاعات ـ الملحقة بمطعم متواضع ، شديدة الإنارة . فى بداية المسرحية نشاهدُ الخدمَ بملابسهم الرسمية منشغلين بتجهيز المأدبة ، كما تتعالى من وراء الكواليس موسيقى رقصة «الكادريل» جو مفعم بالفرح والمرح والسعادة. من بين السادة المدعوين «إيفان ميخايلافيتش يات» ـ عامل التلغراف ، الغارق فى حب الداية ـ آنا مارتينفنا زميوكينا ـ حتى أخمص أذنيه والمتيم بها ، فحبه لها يتسم باستحسان روحانى وامتزاج نفسانى ، وطوال أحداث المشهد يغازلها بصورة خارقة للغاية ، ويتودد إليها طمعًا فى الفوز بقلبها ، ويطلب منها أن ترأف بحاله ، فترد بعدم الموافقة . وأثناء حواره معها يثنى عليها ويمتدحها بأنها تمتلك صوتًا رائعًا وعليها أن لا تحرم الجماهيرَ منه ، وأكثر من مرة يطلب منها الغناء ، وفى الوقت نفسه يخجل من مهنتها – كداية. أما آنا مارتينفنا زميوكينا ، ذات الفستان الأحمر الوردى ـ فهى امرأة جميلة حسنة الحديث والمزاح تتمتع بدلال ودلع ورونق وبهجة ، وتعتذر ، وهى تهوى بالمروحة ، وبأنها فى حالة غير ملائمة للغناء .

هذا الحوار يثلج صدر «إيفان ميخايلافيتش يات » ، كما أنه يشعر بالدفء والاطمئنان وسط هذا الجمع من الناس . وعندما جاء دوره لرفع نخب العروسين أشاد بروعة و نجاح حفل الزفاف إلا أنه ينقصه الإضاءة الكهربائية اللازمة . ومن هذا المنطلق يتطرق فى الحوار إلى أهمية الكهرباء وحتمية استخدامها فى القرى والمدن الروسية بغية التطور والتقدم ، ومن هنا يبدأ الجدال مع «يفدوكيم زاخارافيتش جيجالاف» – والد العروس– الذى يؤكد أن الكهرباء شكل من أشكال الغش والاحتيال على المواطنين ، ويؤيده فى الرأى كل من العريس والعروس التى بالطبع تدعم رأي الوالد،

والحديث غير مفهوم للحاضرين وأن الغرض منه استعراض سعة معلوماته المعرفية والثقافية . وتدعم هذا الرأى الوالدة نستاسيا تيمافيفنا - والدة العروس - "وتحمد الله بأنها عاشت فى زمن ليس فيه تعليم" ، ورغم ذلك فإنها "نجحت فى أن تزوج ابنتها الثالثة من شخص طيب حسن السمعة ، وأن من لا يعجبه هذا الرأى فليذهب إلى أربابه المتعلمين" . وفى أوج أحداث المشهد تبدأ مشادة كلامية بين إيفان ميخايلافيتش يات وبين أبامينوند ماكسيمافيتش أبلومباف - العريس ، بأن يرد له الأخير خمسة روبلات كان قد اقترضها منه فى العام الماضى ، وعلى أثره يحاول العريس طرده من الحفل.

فى بداية المشهد يدور حوارٌ بين الوالدة نستاسيا تيمافيفنا ذات السطوة والغرور، والتى تسعى بأن تلحق بركاب الطبقة الأرستقراطية - والعريس أبامينوند ماكسيمافيتش أبلومباف ، - شخصية أساسية فى الفودفيل - من خلاله يتضح حقيقة سريرة كل منهما: فهو بالنسبة لوالدة العروس - أى حماته - شخص مزعج ، بغيض ، ورغم ذلك يوافق كلا الوالدين على زواجه من الابنة، لأنه قد حان الوقت منذ زمن بعيد ولابد وأن تتزوج، لأن أحداً لم يقدم على الزواج منها ، وها هى تطلب منه أن يبتعد بعيدًا، ويذهب للرقص، لأنه يسبِّب لها الانزعاجَ والضيقَ بما يردده من كلام غير مقبول لها. فكما يقال فالمرء مخبوء وراء لسانه . فأبامينوند ماكسيمافيتش أبلومباف موظف، تقدم للزواج من داريا بعد أن بذل الوالدان قصارى جهدهما لإقناعه بطلب يد الابنة للزواج، وإن تعددت عيوبه والعلل التى تعتريه .

فها هو يقدم على الزواج منها ليس بما ينتابه من مشاعر الحب والحماس تجاه العروس، ولكن تبين فى المقام الأول ، وبلا مواربة أنه زواج المصلحة من كلا الطرفين، فوافق العريس على الزواج واضعًا شروطه بما يخص المهر وجهاز العروس وباقى الأمور الأخرى . واليوم يذكر حماته بتنفيذ ما وعدته به من قبل مقابل الزواج من ابنتها ، بحصوله على ورقتين يانصيب رابحة ، واتضح أنهما مرهونتان ، فها هو يندد ويتوعد بأنه سينتقم من العروس إذا لم يحصل عليهما . ومرة أخرى يعلن عدم رضاه ؛ لأنها لم تف بوعدها باستضافة أحد الجنرالات لحضور حفل الزفاف . كما يعلن غضبه وغيظه وعدم موافقته بأن يكون من بين المدعوين إيفان ميخايلافيتش يات ، الذى كان فى الماضى يلاطف ويتودد إلى عروسه «داشا» . وهكذا يدرك المتلقى تمامًا أنَّ الهدفَ الأصيلَ من عقد القران هو زواج المنفعة . كشف الكثير من معاصرى أنطون تشيخف ومن بينهم شقيقه الأكبر ألكسندر بافلافيتش (1855-1913) عن حقيقة بعض شخصيات مسرحياته - أنها تُعد نماذج أصلية من واقع حياته . وهذا واضح فى شخصية «خارلامبى سبيريدونافيتش ديمبا» - حلوانى يونانى . فكثير من ملامحه مرتبطة بشخصية سكيزيرلى ، حيث كان أنطون تشيخف فى سنوات الطفوله عادة

يقابله فى مدينة «تاجانروج» [34]- مسقط رأس الأديب - فى دكان بقالة الوالد بافل يجورافيتش عندما كان يساعده فى أعمال البقالة: «اليونانى ديمبا فى مسرحية «حفل زفاف» صورة طبق الأصل منه ، حيث كان أحد الزبائن الدائمين ومن الصباح وحتى المساء كان يجلس فى بقاله بافل يجورافيتش» .

فى أحد جوانب قاعة الاحتفال يقف «يفدوكيم زاخارافيتش جيجالاف» ذو الشخصية الضعيفة - والد العروس - مع «خارلامبى سبيريدونافيتش ديمبا» يتناولان بعض المقبلات ، ويتبادلان الحوار، و يحاول أن يستوضحَ من «ديمبا» بعض الأشياء عن اليونان، ويرثى حاله وأن كل شيء موجود فى اليونان ، وللأسف لا يوجد فى روسيا.

وفى نهاية الأمر يعلن أندرييى أندرييفيتش نيونين - مندوب شركة تأمين - نبأ وصول الجنرال المنتظر على أحر من الجمر ، والذى استقبل بحفاوة بالغة وعُزفت له الموسيقى العسكرية ، ولقبه بصاحب السعادة . جلس إلى مأدبة الطعام ، وأخذ يشارك الجميع برفع الكأس وشرب نخب العروسين . على الفور ثمل الضيف ، وأخذت تراوده ذكريات وظيفته التى كان يشغلها فى الماضى ، فقد كان مقدمًا بحريًا . استطرد الكلام عن صعوبة وظيفة البحار ، وأسرد بالتفصيل الممل حكايات عن القبطان البحار والأوامر التى يصدرها إلى بحارة السفينة عندما تواجهه عاصفة فى عرض البحر، واستخدم كثيرًا من المصطلحات البحرية ، مما أثار حفيظة الحاضرين ، وطلبوا منه أن يكف عن هذا الهراء . غير أنه لم يستجب لرغبتهم ، لأنَّ من بين أهم سمات هذا الجنرال أنه يتحدث بصوتٍ عال ، لأنه ثقيل السمع ، لم يسمع تذمر الحاضرين بحكاياته السخيفة هذه . فلم تتحمل «ناستاسيا تيمافييفنا» - والدة العروس - هذا وطلبت منه أن يكف عن اللغو والكلام المشين إكرامًا واحترامًا لشخصه ولسنه ؛ لأن الحاضرين لا يفهمون شيئًا مما يقوله ، واعترفت علنًا بأنهم أناس جهلاء ، كما طلبت منه أن يرد مبلغًا قدره خمسة وعشرون روبلاً ، التى أخذها من «أندرييى أندرييفيتش نيونين» نظير حضوره حفل الزفاف . فما كان من الضيف أن ارتاع وفزع . وفى جو يسوده الارتباك والاضطراب أصرَّ على إيضاح الموقف ، وأبلغ الجميع بأنه ليس بجنرال، كما أدعى أندرييى أندرييفيتش نيونين ، ولكنه وفقًا لجدول الرتب العسكرية فهو مقدم بحرى، وفى ذعر ورعب شديدين أخذ يتفحص المدعوين المحيطين به ويوضِّح لهم الأمرَ ويعترف بأنه لم يحصل على أية نقود وعليه أن يغادر المكان فورًا لهذه الإهانة الكبيرة التى لا تحتمل لرجل كبير السن مثله ، وبالإضافة إلى أن هذا يتنافى مع تاريخه المشرف كضابط بحار . فنحن أمام ضحية تم استغلالها وخداعها من جانب طفيلى المجتمع دون الاهتمام بما سوف يؤثر هذا الفعل الفاضح على إنسان شريف

34 - تاجانروج : ميناء كبير ، يقع فى جنوب روسيا على بحر أزوف ، به العديد من التجار الأجانب اليونانيين ، والإيطاليين ، والأتراك ، والإنجليز ، ويكثر به العديد من مصانع التعدين . (المترجم)

ذى مبادئ وأخلاق . وعلى إثر هذا طالبت ناستاسيا تيمافييفنا أن تسترد النقود من أندرييى أندرييفيتش نيونين ، فلم يعرها أى اهتمام وتجاهلها تمامًا وقال :إن هذا من توافه الأمور ، وواصل الاحتفال بحفل الزفاف . يتخلل المشهد عزف من الموسيقى الراقصة مما يضفى على حفل الزفاف جوًا من الفرح والمرح ، ثم تغيرت بعزف المارش العسكرى عند حضور الجنرال المخدوع والمجنى عليه.

نوُد الإشارة هنا إلى سمة إبداعية أخرى تتميز بها مؤلفاتُ الكاتب أنطون تشيخف لاختيار أسماء عائلات الشخصيات المسرحية ، فلم يتم محض صدفة ، وإنما يدل على مستوى فنى رفيع ، ووفقًا لمعايير تصوير الواقع المرتبط بالظواهر الحقيقية فى المجتمع الروسى . فبتحليل بعض أسماء كنية العائلات فى فودفيل "حفل زفاف" على سبيل المثال لا الحصر ، نجد أنها تتسم بصيغة جمالية ، لها دلاله ضمنية أو يمكن القول بأنها تتمتع بدلالة تعلل سبب اختيار الاسم ، أى لها معنى ضمنى يوضح ارتباطها بمضمون النص أو مدى تباينه معه دون تفسير من جانب الكاتب . فاسم العائلة لوالد العروس «جيجالاف» : يرجع أصلها إلى كلمة : «جيجالاف» (жигало): تعنى ذلك الرجل الذى يعيش على حساب امرأة . وكنية العائلة «أبلومباف» :أصلها أبلومب (апломб): ومعناها المباشر : قدرة الراقص على أداء الرقص بثقة وثبات ، ومعناها المجازى ثقة مفرطة بالنفس . وأن اسم العائلة «زميوكينا» : أصلها «زيميا» (земя) –: ومعناها المباشر : الحية ، (змеюка) «زميوكا»: معناها: امرأة لئيمة ، خبيثة . وكنية المقدم بحرى: «ريفونوف – كاراؤولاف»: تتكون من اسميين: الأول: «ريفونوف»: وأصلها يرجع إلى كلمة (рёв) وتعنى زمجرة ، عويل ، والمعنى المجازى: صوت جهورى . والاسم الثانى : «كاراؤولف» : أصلها: (караул) وتعنى حارس عسكرى . وهناك اسم عائلة «موزجافوى» : أصلها: (мозг)تعنى : عقل ، مخ . والمعنى المجازى: ذكى ، أو متفتق الذهن . وفيما يخص اسم «داشنكا»: صيغة التدليل لاسم «داريا» : والذى يعنى : الفائزة . هذه سمة مهمة تميز بها أنطون تشيخف فى اختيار أسماء أبطاله أردنا أن نوجه انتباه القارئ الكريم لها.

نتطرق الآن إلى فحوى مسرحية «اليوبيل» (1891) وهى إعادة صياغة فنية بما يتناسب مع القالب المسرحى لفن الفودفيل المأخوذة عن قصة قصيرة بعنوان "مخلوق ضعيف" (1887) - ذلك الفن الذى يتطلب سرعة الحدث وتطوره بوتيرة سريعة ، وأن كل شخصية من شخصيات المسرحية تعبر بما تتميز به من طابع خاص بانتقائه لكلماته دون إطالة ، وفى حركة متواصلة مع مسحة من الفكاهة والنقد اللاذع . تدور الأحداث فى بنك للاعتمادات المتبادلة ، فى مكتب رئيس هذه الإدارة . فالكاتبُ

يجسدُ لحظات حية من الحياة فى يوم الاحتفال باليوبيل ـ بمرور خمسة عشر عامًا على تعيين شيبوتشين لإدارة الاعتمادات بأحد البنوك . يتبادر إلى الذهن من الوهلة الأولى أن الاحتفال باليوبيل يتم ـ كما جرى العرف ـ بانقضاء فترة زمنية محددة مثل: اليوبيل الفضى بمرور خمس وعشرين سنة ، والذهبى بمرور خمسين سنة ، واليوبيل الماسى بمرور خمس وسبعين سنة .

غير أن أندرييى أندرييفيتش شيبوتشين – رئيس إدارة الاعتمادات المتبادلة بأحد البنوك يحتفل بهذا اليوبيل الشخصى لما حققه من نجاحات ، وذلك لأنه يمتلك من "اللباقة والحصافة التى كانت سببًا لهذا النجاح المنقطع النظير والازدهار الذى لا مثيل له"، واضعًا نصب عينيه تطبيق فلسفة هاملت التى تقول "أكون أو لا أكون". نعم هذه مبادئ أخلاقية رفيعة سامية يجب وأن يتحلى بها من يبغى النجاح وتحقيق مكاسب فى العمل وفى الحياة وبهذا يكون قدوة حسنة يحتذى بها الكبار والصغار. غير أن كل هذا جاء على النقيض فى سلوكه وتصرفاته ، فأمامنا هذا الرئيس ـ أندرييى أندرييفيتش شيبوتشين – فى ريعان الشباب ، من أرباب رجال الأعمال يتخذ كل ما هو قبيح للوصول إلى ما يبغيه ـ فالغاية تبرر الوسيلة . "فلديه ملكة أن بها يضحك على الناس بصنعة لطافة . فها هو يكتب خطاب الشكر والتحية بنفسه لنفسه ، والذى سوف يقرأه الموظفون أمام الوفد المفوض من أعضاء إدارة البنك ، وأن "غلاف خطاب الشكر والتحية كلفنى خمسة وأربعين روبلا" .

كما اشترى بنفسه هديته – أبريق فضى ليقدمه الموظفون له . هكذا وضع خطة مدروسة ومعدة بدقة ومحددة بإحكام . فاهتم بأكبر الأمور حتى أصغرها . فاعتنى "بعمل بعض الفخفخة والأبهة المظهرية" ... "وأن تكون كل الأبواب نظيفة لامعة... وأن يرتدى الموظفون رابطة العنق التى تساير أحدث صيحات الموضة... أى الشيء لزوم الشيء . بالإضافة إلى ذلك فقد كَلَّفَ المحاسب بالإدارة "كوزما نيكلايفيتش خيرين" – كبير السن ، والذى يتسم سلوكه بالفظاظة ، كما يضمر عداوة وكراهية للنساء " فلن يأتى منهن سوى الأذى والفوضى" ـ أن يكتبَ له التقريرَ الذى سيقدمه للوفد المفوض من أعضاء إدارة البنك . فقد عانى الكثيرَ من كتابة هذا التقرير ولم يذق النوم . وأن الحافز لكتابة التقرير للاحتفال باليوبيل الخاص بالبنك أن رئيسه أغدقه بوعود ، فإذا تم الاحتفال باليوبيل بسلام فسيمحنه "نيشان" من الذهب وثلاثمائة روبل ...

من بين شخصيات الفودفيل "اليوبيل" – فكاهة فى مشهد واحد ـ سيدة عجوز تدعى ناستاسيا فيدروفنا ميرتشوتكينا ـ التى توجهت إلى هذه الإدارة البنكية الخاصة تتوسل وتستجدى من رئيس هذه الإدارة ، أندرييى أندرييفيتش شيبوتشين

للحصول على مبلغ قدره أربعة وعشرين روبلاً وستة وثلاثين كابييكا ، خصمت، دون وجه حق ، من راتب زوجها بعد مرضه ، والذى لا يعمل فى هذه الإدارة . وها هى تؤكد أن زوجها لا يستطيع أن يفعل أى شيء بدون موافقتها . فهى مستاءة لخصم هذه النقود وتسعى بشتى الوسائل لاستردادها . فهى تعيش حياتها بكل زخمها ، فتعانى من حياةٍ بائسة تعتمد على مساعدات الآخرين . فدائمًا تكرر: "أنا سيدة فقيرة ، ليس هناك مَنْ يحمينى ... وأتحمل الإهانة التى يوجهها لى الجميع ولا أسمع ولو حتى كلمة طيبة واحدة من أحد" . وبعد إلحاح وإصرار بصورة مضجرة ، حصلت على أكثر من المبلغ المطلوب . وعلى الرغم من أنها وصفت وصفًا هزليًا مضحكًا لا يتناسب مع نشاطها الدءوب على المسرح ، فهى مخلوق عنيد لدرجة الغباء يتعذر إقناعها لتحقيق مآربها . فى الوقت نفسه هى على إدراك ووعى مع مَنْ تتحدث وإلى أى وسط اجتماعى ينتمى بين صاحب السعادة – "أندرييى أندرييفيتش شيبوتشين" – وبين "كوزما نيكلايفيتش خيرين " – المحاسب سئ التعامل مع النساء . فيبدو أن الحماقة التى ترتكبها فى حد ذاتها رائعة . فلدى "ناستاسيا فيدروفنا ميرتشوتكينا" خبرة ليس فى تكتيك التعامل مع الآخر ، وإنما لها إستراتيجية خاصة للخروج من الأزمة حتى أوصلت رئيس الإدارة إلى درجة الجنون.

تشترك فى هذا المشهد الفكاهى تاتيانا أليكسييفنا شيبوتشين – زوجة رئيس إدارة الاعتمادات المتبادلة – شابة فى الخامسة والعشرين وقد أحدث ظهورها المفاجئ فزعًا للزوج ، وخرقًا لترتيبات الاحتفال باليوبيل ، إذ عرجت إلى مكان عمل زوجها رغبة منها أن تحكى له بإصرار عن مغامرتها أثناء رحلتها إلى والدتها، لكى تمنع أختها "كاتيا" من الزواج من شاب غير ثرى ، حيث أمضت فى الثرثرة فى أحاديث فارغة تافهة . ينتهى المشهد بانهيار احتفال اليوبيل المخطط له بإتقان ، وذلك بالسلوك الفظ للمحاسب – كوزما نيكلايفيتش خيرين الذى وثب يطارد زوجة رئيس إدارة الاعتماد تاتيانا أليكسييفنا شيبوتشين ، بدلاً من ناستاسيا فيدروفنا ميرتشوتكينا غير مدرك الخطأ الذى يرتكبه . والكل يصرخ ، وتحدث حالة من الهرج والمرج على خشبة المسرح لحظة وصول الوفد المفوض من أعضاء إدارة البنك. فها هى تاتيانا أليكسييفنا شيبوتشين ترقد على الكنبة ، ويحمل أندرييى أندرييفيتش شيبوتشين بكلتا يديه ناستاسيا فيدروفنا ميرتشوتكينا والسيدتان تتأوهان بصوت خافت . ونجد أندرييى أندرييفيتش شيبوتشين يقف غير مدركٍ لما يحدث . وهنا نود أن نؤكد أن الفكاهة جاءت فى المشهد متعددة: مرة مفرحة مبهجة ، وتارة ذات مسحة حزينة ، وأخرى تبلغ حد النقد اللاذع.

نتناول الآن مسرحية "عن مضار التبغ" مشهد – مونولوج فى فصل واحد ، والتى كتبت فى شهر سبتمبر 1902، وتم طبعها للمرة الأولى فى الجزء الرابع عشر لمجموعة الأعمال

الأدبية الكاملة لأنطون تشيخف عام 1903، وهى تحمل عنوان نفس المسرحية - فودفيل "عن مضار التبغ" التى كانت قد صدرت فيما سبق عام 1886 ونشرت فى الجزء السابع لمجموعة الأعمال الأدبية للأديب عام 1902. وفى رسالة بتاريخ 1 أكتوبر من عام 1902، كتب إلى «ا. ف. ماركس»[35] (1838 ـ 1904) - الناشر، والذى أسندت إليه مسئولية نشر مجموعة المؤلفات الأدبية ـ يكتب فيها أنطون تشيخف يقول: «ضمن مؤلفاتى الأدبية التى سلِمَت لكم يوجد فودفيل بعنوان «عن مضار التبغ»، ذلك المشهد، الذى كنت قد طلبت منكم استثناءها وعدم طبعها ضمن المجموعة الكاملة للمؤلفات . وها أنا الآن قد انتهيت من كتابة مسرحية جديدة تمامًا، ولكنها تحمل أيضًا عنوان «عن مضار التبغ» ولم يتبق أى شيء من المسرحية الأولى سوى اسم بطل المسرحية فقط . وقد أرسلتها لكم كى يتم إدراجها ضمن الجزء السابع (فى رسالة بتاريخ 1 أكتوبر 1902) .

رد «ا. ف. ماركس» فى خطاب بتاريخ 14 أكتوبر وطلب من أنطون تشيخف قائلاً: «بما أن هذه المسرحية تعد جديدة تمامًا ؛ لذلك أرجو من سيادتكم أن تسمحوا لى بنشرها بصفة مبدئية فى مجلة «نيفا» ثم أقوم بإدراجها فيما بعد فى الجزء السابع». ولكن رد أنطون تشيخف بالرفض، وكتب يقول: «إن مشهدَ - الفودفيل «عن مضار التبغ» قد كتب فقط لعرضه على المسرح ، فالمهم هو عرضه وليس من الضرورى أو من المفيد نشره فى المجلة ، ولهذا أرجو من سيادتكم ألا تنشروه فى المجلة» (السادس عشر من أكتوبر) ، وقد تم نشر الفودفيل أخيرًا فى الجزء الرابع عشر لمجموعة المؤلفات الكاملة للأديب عام 1903 .

فى عام 1902 وبعد مرور أكثر من ستة عشر عامًا يعيد الأديب أنطون تشيخف كتابه فودفيل والذى سبق وأن تناوله عن «عن مضار التبغ » مشهد - مونولوج ، والذى يكشف عن المعاناة الحقيقية للإنسان المثقف ، فى شكل مضحك هزلى ، حيث يفضح فيه المبادئ غير الأخلاقية التى تسود جو الأسرة . فالبطل المدخن يلقى محاضرة «عن مضار التبغ» ، والذى يبدو من مظهره الخارجى سعيدًا مضحكًا هزلى إلا أنه داخليا فهو تعيس يشتكى من الظروف العائلية فيصدر صرخة واستغاثة تثير الشفقة ليس لأحواله المعيشية فقط ، وإنما كإنسان . أدخل أنطون تشيخف تعديلاتٍ على النسخة الأولى « عن مضار التبغ » ، فجاءت بثوب جديد .

فما هو وجه الاختلاف بين الإصدار الأول والثانى؟ . حمل البطل اسم «ماركيل» فى الإصدار الأول ، أما فى الثانى فأطلق عليه اسم «إيفان» إلا أن الكاتب حافظ على

35 ـ ا. تشيخف ، مجموعة المؤلفات الأدبية فى إثنى عشرمجلداً ، موسكو ،1961 ، المجلد التاسع، ص 700 .

اسم العائلة «نيوخين». فالحدث فى كلا المشهدين – المونولوج مبنى على الفكاهة، فيصوُر الكاتبُ حياة عائلية مألوفة، ويقترب حدث المسرحية من رتابة الحياة اليومية فيضفى الأديبُ على البطل طابعًا انفعاليًا قويًا متوترًا وذلك بالإفصاح والتعبير عن معاناة هذه الشخصية المعذبة. يتفق سياق المشهدين فى المقام الأول بالسخرية من محاضرة علمية عن « عن مضار التبغ» . اهتم أنطون تشيخف أكثر فى النسخة الأولى بمعلومات علمية كثيرة عن خصائص التبغ من حيث التكوين الكميائى، ومضاره ومنافعه، فمن بين المعلومات عن مضار التبغ، أنك إذا وضعت ذبابة فى علبة نشوق، فعلى الفور ستموت باضطراب الأعصاب؛ لأنها وُضِعَتْ فى ظروف غير ملائمة مثل الوضع غير الطبيعى الذى يحيط بالبطل، فتأثر هو الآخر بها وأصبح إنسانًا عصبي المزاج متوترًا. وأن البطل فى كلا المشهدين اتصف بأنه «زوج الست – صاحبة مدرسة داخلية للبنات» وأضاف فى النسخة الثانية بأنها أيضًا صاحبة «مدرسة موسيقية».

فى النسخة الثانية يخبرنا البطل أنه كتب مقالة عن «مضار بعض الحشرات» وفيها يؤكد ضرورة استخدام مسحوق مبيد الحشرات للقضاء على حشرة البق إلا أن البيانو فى منزله ملئ بالبق أى أن (باب النجار مخلع) فقبل أن ينصح الناس عليه أن يبدأ بنفسه. فهنا ببساطة يلقى الضوء على الطبقة المثقفة فى هذا الوقت أنها تقول ما لا تفعل. اهتمَّ الكاتب فى النسخة الثانية بدرجة أكثر بالناحية السيكولوجية للبطل فيتغلغل إلى العالم الداخلى له. فيفصح من خلال استخدام أسلوب التحليل النفسى عن الحياة اليومية العادية المحيطة بالبطل، من خلال إيحاءاته وإيماءته، وأيضًا يبين أحاسيسه عن طريق المونولوج وكلامه للوصول إلى أوج دراميتيكية الشخصي. فيبدأ المشهد بطريقة فكاهية وفى النهاية تتحول الشخصية الفكاهية إلى أخرى دراميتيكية حيث يكشف البطل عن القضايا الحياتية اليومية المعيشية، فهو مصاب بالإعياء ومنهوك القوى.

أخيرًا نتوقف قليلاً للإطلال على مسرحيتى «تاتيانا ريبينا» و « ليلة المحكمة» وقد تم نشرهما بعد وفاة الأديب أنطون تشيخف. فمسرحية «تاتيانا ريبينا» - هى دراما فى مشهد واحد، كتبها أنطون تشيخف عام 1889. أقر العديد من النقاد أن مسرحية «تاتيانا ريبينا» لأنطون تشيخف هى تكملة لمسرحية ألكسي سيرجفيتش سوفورين (1834 - 1912)، والتى تحمل أيضًا العنوان نفسه «تاتيانا ريبينا». وقد عرضت مسرحية «ألكسيى سيرجفيتش سوفورين» على خشبة العديد من المسارح فى موسكو وبطرسبورج فى روسيا للموسم المسرحى 1888 /1889. وحققت نجاحًا مدويًا بين الجماهير وجاء هذا النجاح على كل شفاه وألسنة العامة والمثقفين والمقربين من المؤلف، غير أنه فى الوقت نفسه واجهت نقدًا لاذعًا من قبل بعض النقاد، والذى يتلخص فى ضعف مونولوج الأبطال، وكذلك عدم حبكتها الدرامية التى لا تتناسب مع سمات

شخصيات المسرحية . ويؤكد كثيرٌ من النقاد أن المسرحية قد قدمت على «المسرح الصغير» «Малый театр» بمدينة موسكو بالمشاركة الفعالة للأديب أنطون تشيخف ، حيث كان يقوم بجميع الإجراءات والاتصالات باسم ألكسي سوفورين ، فكان يتحدث مع الممثلين ويناقشهم عن أدوارهم ويبلغ المؤلف بكل خطوات التمثيل والإخراج . وذلك لأنه كان الصديق الحميم والقريب جدًا من ألكسي سيرجفيتش سوفورين فى تلك الأيام ، وكان يمتدحه كثيرًا واصفًا إياه بأن لديه عقلية فذة وموهبة فريدة لأسلوبه الأدبى المتميز وتقييمه الفريد للظواهر الأدبية المختلفة .

أما عن الظروف التى كتب فيها أنطون تشيخف مسرحيته « تاتيانا ريبينا»، فيقول عن ذلك شقيق الكاتب ميخائيل تشيخف (1865- 1936) :» كان لدى أنطون تشيخف بمكتبته الخاصة كتبٌ عن الأحكام الدينية – والتى يوجد جزء كبير منها حتى الآن بمنزله فى (يالتا) . وفى يوم من الأيام أراد أن يقدم للمبدع الجليل سوفورين هدية ، فإذا به يمد يده إلى الرف ويمسك بأحد هذه الكتب الدينية ، ويفتح باب مواثيق الزواج التى تتبع الأحكام الدينية ، وذلك إرضاء لذاته فقط ، وليس بغرض أن يكتب مسرحية للعامة . فأقبل على كتابة مسرحية ذات الفصل الواحد واعتبرها امتدادًا أو تكملة لمسرحية «تاتيانا ريبينا» التى كتبها « ا. س. سوفورين» . وذلك لأن مسرحية سوفورين قد انتهت بوفاة البطلة دون معرفة الأسباب إلا أن أنطون تشيخف أضاف إليها بعضَ الأحداث إلى جانب أنه استطاع أن يجسد فى مسرحيته الحالة المعنوية والنفسية التى انتابت «سابينين» – عشيقها الذى كان قد هجرها وتزوج من أرملة ثرية تدعى «أليينينا» عندما علم بنبأ انتحار «تاتيانا ريبينا».

إن موضوع مسرحية «تاتيانا ريبينا» للأديب ا. س. سوفورين يتضمن حادثة واقعية مفجعة للمصير المأسوى والنهاية الحزينة للمغنية والممثلة المشهورة يفلاليا بافلافنا كادمينا (1853 ـ 1881) والتى ولدت فى مدينة «كالوجا» ، حيث كان والدها يمارس مهنة التجارة ، وهى الأخت الصغرى لثلاث شقيقات . فمنذ نعومة أظفارها كانت تمتلك شخصية مستقلة . فقد نشأت وترعرعت وحيدة منطوية ليس لديها علاقات حميمة مع أحد حتى مع أقرب الناس إليها ـ شقيقاتها. تعلمت القراءة والكتابة وكان الكتاب لا يفارقها طوال وقت الفراغ . ودائمًا ما كان والدها يميزها عن باقى شقيقاتها . فألحقها بمعهد «يليزافيتا» بموسكو وهو مؤسسة تعليمية ذات سمعه طيبة ، ويتمتع أيضًا بمستوى تعليمى عال . وكان المعهد يتبع نُظمًا تربوية صارمة ليضمن عدم انصراف الطالبات عن الدرس: فكانت تطلى نوافذه بألوان قاتمة حتى لا يكون هناك فرصة للفتيات كى تطل منها . وقد جرى العرف على أن الخريجات كانت تعملن مربيات ، إلا أن هذه الصرامة كانت تؤدى إلى ارتباكهن الشديد وعدم

تكيفهن مع واقع الحياة. وعلى الرغم من كل هذه النظم الصارمة ، كانت الطالبات تقدمن حفلات للضيوف من خلف جدران هذه المؤسسة التعليمية ، ومن بينهن «يفلاليا بافلافنا كادمينا» لما تتمتع به من صوت عذب ، جميل ، شجى . وفى إحدى حفلات المعهد التى أقيمت عام 1870 حضرَ الفنانُ نيكلاى جريجورفيتش روبنشتين (1835-1881) – عازف البيانو، وأحد مؤسسى (كونسرفتوار موسكو) - والذى أقنعها بأن تكرس حياتها للغناء ، ويعد هذا الإقناع بمثابة نقطة تحول فى حياتها الفنية. كما ساعد الفتاة على أن تلتحق بمعهد الكونسرفتوار بموسكو ليس فقط كطالبة بقسم الغناء وإنما قدم لها أيضًا منحة دراسية . هنا تعلمت فن الغناء على أيدى العديد من الفنانين المبدعين على سبيل المثال لا الحصر: ألكسندرا كاتشفوفا (1833 - 1902) – مغنية الأوبرا وإيفان فاسيليفتش سافارين (1817 - 1885) - ممثل ومؤلف مسرحى ، وبيوتر إيليتش تشايكوفسكى (1840 - 1893) - وهو فنان ومؤلف موسيقى مشهور وضع موسيقى باليه : «بحيرة البجع» (1877) ، و«الحسناء النائمة» (1889) ، و«كسارة البندق» (1890) وقائد الأوركسترا المعروف ، ومعلم فذ – أشاد فى أكثر من مناسبة بصوت «يفلاليا بافلافنا كادمينا» ، بأنه صوت ناعم جميل قوى ، إذ إنها تؤدى باقتدار أعلى أصوات الغناء (سوبرانو) . وألَّفَ لها خصيصًا موسيقى حكاية الربيع «فتاة الجليد» للأديب «ا. ن. أستروفسكى» (1823 - 1886) ، حيث يتغنى الأديب فى هذا العمل من خلال الحكايات والأغانى والفانتازيا بجمال العالم المحيط بالإنسان من طبيعة خلابة، وحب ، ووفاء.

بعد أن أنهت دراستها ، تلقت دعوة للعمل «بمسرح البلشوى» . وقد أقيم أول حفل لها فى 30 أبريل 1873 وغنت أوبرا من موسيقى «م . جلينكا» (1804-1857) - "من أجل حياة القيصر" (1836) انتقلت بعد ذلك فى عام 1875 للعمل على مسرح "مارينسكى" ببطرسبورج . ثم سافرت إلى إيطاليا وعملت هناك لمدة عامين (1878 - 1876) . قامت بالغناء فى العديد من المدن هناك ، مثل: نابولى ، تورينو، فلورنسا، وميلانو وحققت نجاحًا باهرًا ، وكانت تلاحق الحسناء الروسية عيون المعجبين فى كل مكان إلا أنها مرضت لشعورها بالوحدة ، وتم استدعاء طبيب لها وهو الدكتور أرنيستو فالكونى ، الذى أحبها حبًا شديدًا وبادلته الشعور نفسه فتزوجا . عادت مع زوجها إلى روسيا وعملت فى مدينة كييف وتألقت فى الغناء وحققت نجاحًا كبيرًا، ويُقال إنَّ ستارَ المسرح قد رفع أكثر من خمس عشرة مرة لتحية الجمهور المعجب بصوتها بعد آدائها لأوبرا "عايدة" (1878) . فحققت نجاحًا مستحقًا لما تتمتع به من صوت رنان فى الأوبرا وتمثيلاً صادقًا على خشبة المسرح مما كان له صدى رائع من قبل الجمهور، الذى كان يقابلها بعاصفة من الهتاف

والتصفيق، وبباقات الزهور والهدايا، لدرجة أن العديد من الشعراء أنشدوا فيها شعر المدح. من بينهم الشاعر "س. أندرييفسكى"(1847 – 1918) فيقول عنها:

أنت سمراء ذات نظرة متلألئة، مثل راعوث الموآبية [36]

وبروفيل وجهك كأنه نقش بارز على حجر كريم صاف





يفلاليا بافلافنا كادمينا

فى هذه الأثناء ظهرت لها منافسة جديدة تتمتع أيضًا بصوت رائع جميل تدعى إيميليا بافالفسكايا كارلوفنا (1853 ـ 1935) التى استهجن كثير من معجبيها أداء يفلاليا بافلافنا كادمينا بالصفير. كانت يفلاليا بافلافنا كادمينا تتمتع بطابع حاد وتصاب بنوبة من الهستيريا إذا ما كتبت عنها الصحافة أية ملاحظة نقدية فكانت تصرخ فى وجه الزملاء، وكثيرًا ما اعترفت هى شخصيًا بأن لديها طابعًا لا يطاق، وبأنها لا تستطيع أن تتواءم مع أحد. ونتيجة للغناء (السوبرانو) الذى كانت تؤديه تأثر صوتها وأصبح أقل جودة فاتجهت إلى التمثيل على خشبة المسرح الدرامى. انفصلت عن زوجها لأسباب عدة من بينها ولعه الشديد بها والغيرة عليها، وأخيرًا افترقا. سافرت بعد ذلك إلى مدينة (خاركف)، وتركت الغناء واتجهت إلى التمثيل الدرامى وقدمت العديد من أعمال "وليم شكسبير" (1564ـ1616)، والكاتب الروسى "ا. ن. استروفسكى" (1838ـ1886). وفى عام 1881 أحبت ضابطًا، وكان من النبلاء المعدمين، وانتقدت الصحف هذه العلاقة، معلقة بأنه إذا تم هذا الزواج فسيكون زواجًا غير متكافئ، وعلى الرغم من هذا استمرت قصة حب جارف لمدة طويلة ثم هجرها وتركها، وقرر أن يتزوج من أرملة ثرية، ليفوز بثروتها. لم تستطع "يفلاليا بافلافنا كادمينا" أن تتخلص من هذه الأزمة العاطفية.

فى يوم اصطحب الضابط عروسه إلى المسرح لمشاهدة مسرحية "فاسيليسا ميلينتيفنا" (1867) للأديب "ا. ن. أستروفسكى" (1823– 1886) حيث كانت "يفلاليا بافلافنا كادمينا" تلعب دور البطلة، فلم تتحكم فى أعصابها عندما رأت حبيبها السابق بصحبة عروسه، وأثناء الاستراحة وفى غرفتها الخاصة نزعت رءوس

36 - راعوث الموآبية – هى أحد أشهر شخصيات الكتاب المقدس، وهى الشخصية الرئيسة فى «سفر راعوث» وهو أول سفر مسمى باسم امرأة نظراً للمكانة المرموقة التى وصلت إليها راعوث (المترجم).

الكبريت الفوسفورية ، وأذابت هذا السم فى كوب من الشاى وشربت هذا الخليط ثم صعدت مرة أخرى لاستكمال دورها فى المسرحية ، ولكن فجأة شحب وجهها وسقطت على الأرض فاقدة الوعى وأُسدِل الستار ولم تستكمل المسرحية . ولم يستطع الطبيب المعالج عمل شيء للآلام المبرحة التى كانت تعانى منها ، وبعد مرور ستة أيام فارقت "يفلاليا بافلافنا كادمينا" الفنانة الجميلة الشابة الموهوبة رقيقة الحس الحياة بصورة مؤلمة عن عمر يناهز الثامنة والعشرين فقط . تضمنت مسرحية ا. س. سوفورين "تاتيانا ريبينا" هذه الفجيعة المؤلمة . وقد تناول أيضًا العديدُ من الأدباء الروس فى ذلك الوقت هذه الحادثة ، منهم على سبيل المثال لا الحصر قصة: "بعد الموت" أو "كلارا ميليتش"(1883) لإيفان تورجينيف (1818 ـ 1883) ، والقصة القصيرة "العرض الأخير" (1889) لألكسندر كوبرين (1870ـ 1938) وآخرين.

أما فيما يتعلق بمسرحية أنطون تشيخف نجد نفس شخصيات مسرحية «تاتيانا ريبينا» التى عند ألكسي سيرجفيتش سوفورين . فنلاحظ أن أنطون تشيخف قد أتى بالأشخاص نفسها فى المسرحية بأسمائهم المجردة دون التعريف بهم اعتمادًا على نفس شخصيات مسرحية «ا. سوفورين» والتى تضمنت: بيوتر إيفانفيتش سابينين ـ ذلك الإقطاعى المفلس وزير النساء والمحب للحياة ، وعروسه – السيدة فيرا ألكسندرفنا أليينينا ـ هذه الأرملة الشابة الإقطاعية ذات الثراء الفاحش ، بلاتون ميخايلافيتش كاتلينيكف ـ صديقه الحميم الإقطاعى ، وأندريى أندريفيتش كاكوشكين ـ الإقطاعى ، وزاخار إيليتش ماتييف ـ مدير المسرح الذى كانت فيما مضى تاتيانا ريبينا تلعب أدوارها المسرحية ، وديفيد سالامونافيتش زانيوشتاين ـ موظف البنك ، وباترونيكف المحامى ، غير أن أنطون تشيخف انفرد بإضافة الشخصيات الدينية الكنائسية.

وفى رسالة أرسلها أنطون تشيخف لصديقه ألكسي سوفورين فى الخامس من شهر مارس 1889 يشكره فيها على استلامه القواميس الأجنبية التى وعده بها فيما سبق، فكتب يقول: «أقدم لكم ـ هدية ليست غالية الثمن ويمكن أن تكون عديمة النفع مقابل إرسالكم القواميس ، فهذه الهدية الوحيدة التى أستطيع أن أقدمها لكم... إنها مسرحيتى» . كما أبلغه : «لقد كتبت المسرحية دفعة واحدة ، وكنت فى عجالة من أمرى ولهذا خرج العمل فى صورة سهلة ويسيرة . أما بخصوص أننى استخدمت نفس عنوان مسرحيتكم ، فيمكنكم أن ترفع دعوى ضدى أمام المحكمة. أرجو ألا يرى أحد هذه المسرحية ، وفور أن تفرغ من قراءتها ، عليك أن تلقى بها فى المدفأة ، ويمكنكم أيضًا أن تتخلص منها دون قراءتها." فور استلام أصل المسرحية المكتوبة بخط اليد (والتى لم يحتفظ بها) طبع ألكسي سوفورين فى مطبعته (التابعة لدار النشر) ثلاث نسخ بحجم صغير. وفى الأول من شهر أبريل تم إرسال نسخة بروفة الطبع إلى أنطون

تشيخف . وبدوره رد أنطون تشيخف فى 14 مايو 1889 وكتب عدة ملاحظات: «ورق الطباعة جيد جدًا ، وفى تصحيح بروفة الطبع قمت بحذف اسمى، وأرى أنَّ النصَّ لم يمس من قريب أو بعيد ، كما أصلحت العديد من الأخطاء المطبعية، التى لم تصب النص بأى أذى ، فكل هذا هراء ويعد أشياء بسيطة . ومن الخطأ ، أن تكتب على الغلاف "بطرسبورج" ، بل ينبغى عليك أن تكتب لايبزج».

لابد هنا من ذكر التأويلات الخاصة بكلمة مدينة لايبزج الألمانية ، فإن كلمة لايبزج التى وردت فى الرسالة لها أكثر من رأى: فالرأى الأول : يعتقد أن فى هذا تلميح وإشارة إلى أن هذه النسخة لن تسمح السلطات الروسية الرسمية بنشرها فى ذلك الوقت فى روسيا ، إذ إنَّ المسرحية تصوِّرُ مراسمَ الطقوس الدينية لإكليل الزواج فى الكنيسة ، كما أنها تتضمن اقتباسات من الكتب الدينية ، وكذا تجسد أشخاصًا من رجال الدين المسيحى مثل: القسيس ، والشماس ... إلخ . فالرقابة لم تجز مثل هذه النصوص التى تتناول الموضوعات الدينية إلا أنه يمكن طبعها فى مدينة لايبزج الألمانية كشكل من أشكال التمويه .

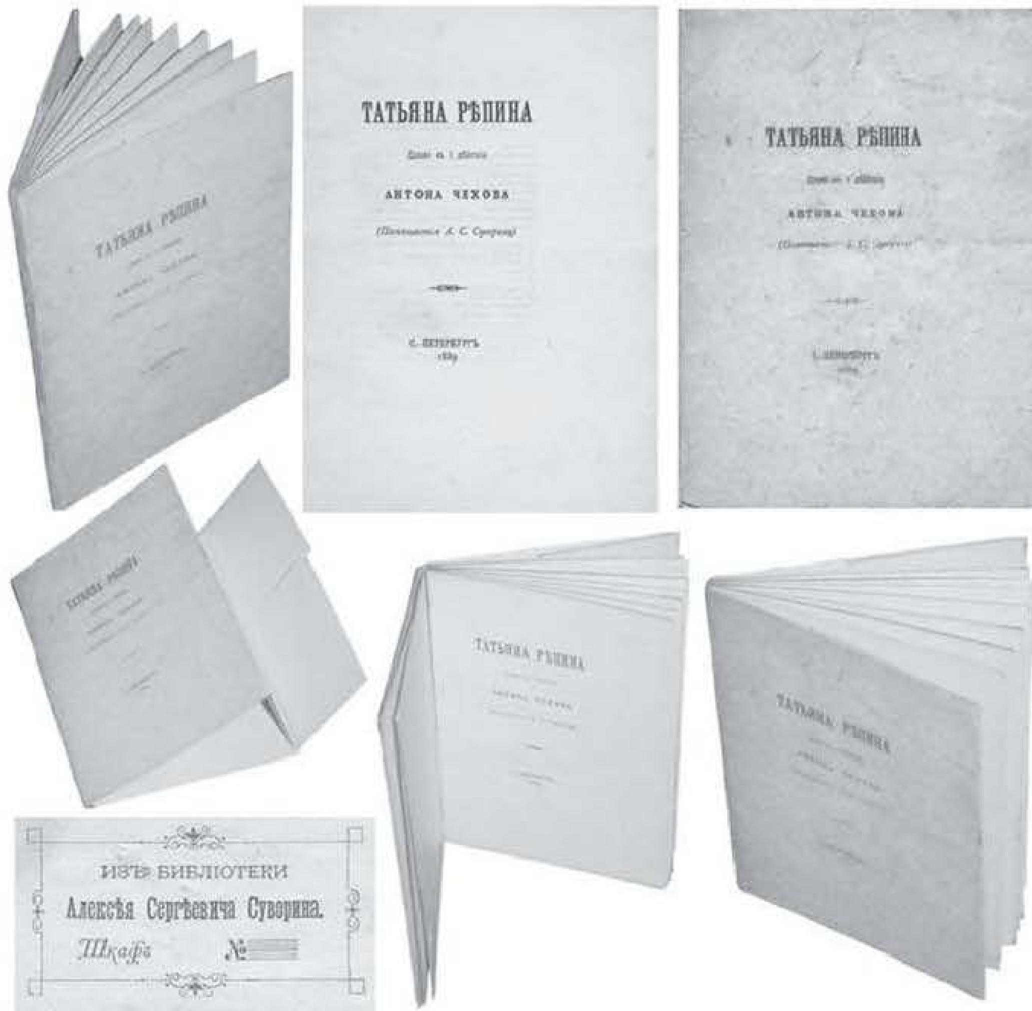
وهناك رأى ثان يفسِّرَ كلمة لايبزج التى جاءت فى رسالة أنطون تشيخف: فمن المعروف أن فى مدينة لايبزج الألمانية يوجد العديد من دور النشر المشهورة والمعروفة، والتى كانت لا تهتم بمطالب الرقابة بالدرجة الأولى ، وإنما توجه جل اهتماماتها ورعايتها بنشرالمؤلفات النثرية الخفيفة باللغة الفرنسية والألمانية وبلغات عدة أخرى . ومن بين المؤلفين المفضلين ، الذين حققوا نجاحًا كبيرًا لدى القراء ودور النشر كانت الكاتبة الفرنسية الشابة «جابريل مارتيل دى جانفيل» (1850 – 1932) والمعروفة باسم مستعار «جيب» ، والتى اتسمت مؤلفاتها الأدبية بنقدها اللاذع للطبقة الأرستقراطية ، فى إطار من الفكاهة والحيوية كما تخللها العديد من المواقف غير التقليدية ، ولذا ذاع صيتها منذ 1882 بين القراء الذين يفضلون المؤلفات الخفيفة . وفى عام 1883 ظهر أحد أعمالها المميزة والأكثر انتشارًا («Autour du marriage») «عن الزواج» والذى يتحدث عن قصة الفاتنة (بوليتا والماركيز ديالالى) المأخوذة من الحياة الواقعية للمجتمع الراقى فى باريس ، وهى صورة فكاهية لرحلة الزفاف وعن حياة البطلة بعد الزواج . وبحلول عام 1890 تم نشر العديد من مؤلفاتها فى إصدارات خاصة . وبصدد هذا الموضوع يؤكد أحد النقاد المعاصرين لأنطون تشيخف ، وهو «ا.ف. امفيتياترف» (1862 – 1938) حيث أكد على أنه يبدو من الواضح أن شكل وفكرة «تاتيانا ريبينا» لأنطون تشيخف لابد وأن تكون مأخوذة من إحدى المؤلفات الأجنبية ، وبهذا يمكن تفسير كلمة لايبزج التى تعد لغزًا فى رسالة الأديب أنطون تشيخف ، إذ ربما تعطى إيحاءً بأنه قد اقتبسها من مؤلف الكاتبة الفرنسية .

وهنا يجدر الإشارة إلى أن ألكسي سوفورين قد أرسل النسخة الثالثة لهذه المسرحية للكاتب ألكسي نيكلايفيتش بليشييف (1825 ـ 1893) ، الذى كان يعيش فى هذا الوقت فى منزله الصيفى خارج المدينة ، والذى أرسل بدوره فى 22 مايو 1889 رسالة إلى أنطون تشيخف يعبُرُ فيها عن رأيه فى هذه المسرحية ، حيث يقول عنها : « إنها شيء مبتكرَ ، وقد أعجبتنى للغاية. ولكن من المؤسف أن هناك كثيرًا من نصوص الكتاب المقدس تفوق الحوارات ....» وفى الوقت نفسه أرسل إلى «ألكسي سوفورين» يقول: « إنها لم تعجبنى كثيرًا ؛ لأن هناك الكثيرَ من نصوص الكتاب المقدس ، أكثر من كلام أنطون تشيخف» . وهذه النسخة عُرفت فيما بعد بنسخة «بليشيييف» ، والتى تم اكتشافها عام 1912 بعد وفاة «ألكسي سوفورين».

وبهذا طبعت هذه المسرحية فى ثلاث نسخ: نسخة لدى ألكسي سوفورين ، والأخرى عند ألكسي بليشيييف ، والثالثة لدى أنطون تشيخف . وتوجد النسخة الكاملة الوحيدة فى أرشيف المتحف الخاص بأنطون تشيخف فى (يالتا) بأوكرانيا.

ويؤكد عددَ آخرَ من النقاد أن مسرحية أنطون تشيخف تعد الفصل السادس لمسرحية « ألكسي سوفورين» ، إذ إنها تصور عقد زواج سابينين على أليننا ـ منافسة الممثلة «تاتيانا ريبينا» بعد وفاتها. ومما يؤكد هذا الرأى أن مسرحية أنطون تشيخف تضمنت نفس أشخاص «تاتيانا ريبينا» للأديب أ. سوفورين . وهنا يتبادر إلى الذهن عدة أسئلة: لماذا كتب أنطون تشيخف مسرحيته هذه؟ وما هي القضايا التى تناولها فيها؟ وأى الأشياء تلك التى يريد أن يذمها أو يمتدحها؟ فعلى الرغم من زواج «سابينين» من حبيبته الثرية فهو لم ينعم بالراحة والاستقرار ، بل كان يساوره التوتر والقلق وتأنيب الضمير ، واعتقاده فى حتمية الجزاء والعقاب.

وإذا كان أنطون تشيخف فى مسرحيته «تاتيانا ريبينا» قد تناول نفس شخصيات مسرحية ا. سوفورين إلا أنه أتى بالجديد بتصوير مراسم الطقوس الدينية لإكليل زواج سابينين من أليينينا فى الكنيسة بعد وفاة تاتيانا ريبينا . فتتسم أحداث المسرحية بحركتها السريعة وإيقاعها المتلاحق ، حيث تتعالى فى أرجاء المكان كلمات إحتفالية خاصة بالطقوس الدينية الكنائسية: مثل صلوات فرق الكورال المنتظمة والمتناسقة ، فى الوقت الذى ساد فيه مزاح الحاضرين أثناء إقامة الأكليل بالكنسية، مما يعطى صورة حية وحركة واقعية للحدث . وكما يؤكد الكاتب بأن لغة شخصيات المسرحية تارة تجدها حية وأخرى غير مألوفة . كما أنها لم تتضمن المونولوج الطويل والمستفيض لعدة صفحات مثل التى جاءت فى مسرحية أليكسي سوفورين، ولكن شملت كثرة نصوص الكتاب المقدس . كذلك نجد فى مسرحية أنطون تشيخف أن كلام وحوار الشخصيات جاء فى جمل قصيرة موجزة ، ومفردات



النسخ الثلاث

من اللغة الدارجة العامية وفى أجوبة متناوبة سريعة . ويؤكد ميخائل بافلافيتش – شقيق أنطون تشيخف ـ أن هذه المسرحية تعد الأولى فى الأدب الروسى من حيث أنها إحدى المؤلفات الأدبية التى تجسد الطقوس والمراسم الدينية داخل كنيسة ، وأنه هو وإخوته ومن بينهم ، أنطون تشيخف ، فى مرحلة الطفولة قد تعلموا فيها جيدًا الكثيرَ من تعاليم الدين المسيحى ومارسوا الخدمة الدينية بالكنسية . وأراد الأديب أنطون تشيخف أن ينتهز فرصة معرفته بالقوانين والأحكام الدينية كلها هذه ويقدمها من خلال هذه المسرحية .

فى مقال للناقدة يكاترينا سيرجييفنا سميرنوفا ـ تشيكينا بعنوان «تاتيانا ريبينا» لأنطون تشيخف تعقد مقارنة بين المسرحتيين " Autour du mariag"ـ "عن الزواج" للأديبة الفرنسية جابربيلا دى جانيفال(1850ـ1932) "Gip", و"تاتيانا ريبينا" للكاتب أنطون تشيخف ، وتؤكد على أن هناك العديدَ من أوجه التشابه فيما بينهما، وتأثر الأخير بأفكار وأسلوب الأولى .[37] فى البداية تتحدث الناقدة عن أنه فى مؤلف «عن الزواج» للكاتبة الفرنسية «جيب» يتضمن مشهدًا بعنوان « أثناء الطقوس الكنائسية» ، حيث تصور زفاف (بوليتا والماركيز ديالالى) . فمكان الحدث– هو الكنيسة . وأن موضوع الزفاف هو نفسه عند كل من الكاتبة «جيب» والأديب «تشيخف» . والفكاهة فى كلتا المسرحيتين تتقارب مع اللغة الإحتفالية لقداس الزواج سواء كان القداس يتم باللغة اللاتينية ، أو اللغة السلافية الكنائسية، وكذا أحاديث المدعوين . بالإضافة إلى أن اللغة كانت لها سمات خاصة : فتارة تميزت بالفكاهة الظريفة ، وتارة أخرى بالنميمة ، وأحيانًا مبهجة ومفرحة ، ومن حين لآخر لاذعة ساخرة .

وتضيف الناقدة أيضًا إلى أن الحدثَ عند الكاتبة «جيب» يدور فى كنيسة القديس « أفجوستين» ، حيث انتشر فيها عبق طيب. ووقف كثيرٌ من المدعوين وقد ارتدوا أجمل وأبهى الثياب وفى أحسن هيئة . وزينت الكنيسة بأجمل الزهور والورود وفرشت الأرض ببساط فخم . والحاضرون ينتظرون العروسين ويتبادلون أطراف الحديث بصوتٍ عالٍ ويتفحصون كورال المنشدين الواقفين بالقرب من الآلة الموسيقية (الأرغن). وعند أنطون تشيخف أيضًا تدور أحداث المسرحية فى الساعة السابعة مساءً ، داخل الكنيسة الكاتدرائية . وتضاء كل الثريا والشمعدانات . وقد فتحت كل الأبواب الرئيسية التى تؤدى إلى المذبح. وينشد فريقان من الكورال: الأسقفية والكاتدرائية وامتلأت الكنيسة بالحاضرين .

37 ـ انظر الكتاب «فى المعمل الابداعى لأنطون تشيخف ، موسكو ، 1974 ، ص 108 – 117 (باللغة الروسية) .

ومن بين أوجه التشابه بين المسرحيتين: «عن الزواج» للأديبة الفرنسية «جيب» و«تاتيانا ريبينا» للكاتب الروسى أنطون تشيخف . نجد أن أثناء مراسم قداس الإكليل يلاحظ هذا «الماركيز ديالالى» - العريس سيدة ترتدى ملابس حداد غير كاملة ، ويتعرف فيها على عشيقته السابقة «كلوريندا» ، والتى كان قد دفع لها قبل ذلك نقودًا كثيرة كى يتخلص منها ، إلا أن ظهورها فى تلك اللحظة قد ألقى بظله المشئوم على الحالة المعنوية للعريس ، حيث شعر بأن اللعنات ستظل تلاحقه لفعلته الدنيئة . أما فى مسرحية «تاتيانا ريبينا» وأثناء إجراء المراسم الاحتفالية لطقوس إكليل الزواج باللغة السلافية الكنائسية نجد أن سابينين يرتعد من الخوف عندما رأى سيدة تدخل، ترتدى ملابس الحداد كاملة، وخيل له أنه شبح تاتيانا ريبينا المتوفاه. فأخذ يشعر بوخز الضمير ، كما انتابه شعورٌ مفعمٌ بالندم ، والذنب لما اقترفه من جرم تجاه ضحيته ، فبالأمس كان عاشقًا «لتاتيانا ريبينا» واليوم يتزوج من أخرى ، خاصة أن هذه المشاعر واكبت التراتيل الدينية التى تدعو الرب بالعفو والرحمة والغفران من الذنوب والخطايا والتوبة فى كل الأوقات.

وتنتهى كلتا المسرحيتين بإتمام إجراء مراسم الزفاف وسفر الزوجين حديثى الزواج . غير أن عند الأديب أنطون تشيخف قد أضاف مشهدًا جديدًا ، فيصور الكنيسة خالية تمامًا بعد أن انفضَّ جميعُ المدعوين ثم يُسمع صوت السيدة التى ترتدى ملابس الحداد تصرخ وهى وتقول : «لقد سرى السم فى جسمى بسبب الحقد ... انقذونى! انقذونى!» وتسدل الستار.

ويتبادر إلى ذهن القارئ سؤالٌ: لماذا استخدم أنطون تشيخف شكلَ مسرحية الأديبة الفرنسية «جيب»؟ بادئ ذى بدء ، يجب علينا ألا ننسى أن الأديب الروسى أنطون تشيخف كان على معرفة جيدة بالأدب الغربى عامة ، والفرنسى خاصة ، لدرجة أن فى هيئة تحرير دار النشر "نوفى فريميا" أطلقوا عليه لقب "الغربى". فالكثير يعلم أن لديه العديد من المؤلفات والمجلدات المتنوعة للأدباء الفرنسيين على سبيل المثال: ف. هوجو (1802 ـ 1885) ، أ. دوديه (1840ـ 1897) ، ج. فيرن (1828ـ 1905) ، "أ. جابوريو" (1832ـ 1873) ، وآخرين . ومن بين تلك المؤلفات كانت الأعمال الأدبية للأديبة جيب . ويؤكد هذه الحقيقة السيد "ا. ف. خانيلو" الموظف العلمى والمشرف على متحف ا. ب. تشيخف فى مدينة يالتا : فى المكتبة الخاصة لأنطون تشيخف توجد قائمة خاصة مسجل بها أسماء المؤلفين وعناوين الكتب ومن بينهم أعمال «جيب» . ولذا فربما تأثر أنطون تشيخف بمسرحية الكاتبة الفرنسية جابرييلا دى جانيفال (Gip) .

وإذا كان من الممكن أن نطلق على مسرحية "تاتيانا ريبينا" لأنطون تشيخف بأنها تعد إعادة لهذا العمل المسرحى للأديبة الفرنسية ، فيبدو أن هذه الظاهرة كانت

منتشرة للغاية فى تلك الفترة ، لدرجة أن النقاد كانوا فى المجلات الفكاهية يسخرون من هذا قائلين: " إنَّ كتابَ المسرح - مثل أصحاب الورش .... فهم يترجمون المسرحيات ، ويكتبونها ، ويدخلون عليها التعديلات ، فيحولونها من اللغات الأجنبية إلى الواقع الروسى ، كإعادة خياطة الثوب ، وذلك بإصلاحه ، ورتقه، ورفئه ، بعد أن يتم ترقيعه ، وتطويل ذيله ..." وبصدد هذا الموضوع فقد عبر أنطون تشيخف عن رأيه ساخرا بأنَّ إعادة كتابة العمل شيءَ جائز شرعًا ، ولا يعد خطيئة إذا لم يخرق القيم الأخلاقية . ويبدو هنا أن الأديب قد شطب اسمه من نسخة بروفة الطباعة "تاتيانا ريبينا" خوفًا من أن يكون موضع سخرية من قبل النقاد ، وأن يكون فى عداد كتاب المسرح الذين يعيدون العمل الفنى مما يعطى لهم الفرصة باتهامه بالوقوع تحت تأثير الكاتبة الفرنسية جيب . ونرى أن إعادة كتابة العمل الفنى الأدبى عمل مضنى ولا يعد جريمة أو خطيئة كما أنه يتطلب قدرات فنية ضخمة . وكما هو معروف فالأدب كشكل من أشكال الفنون ، يُعد جسرًا للتواصل بين الثقافات المختلفة ، وله أهمية معرفية وتربوية ومتعة جمالية للإنسان ، وله عواقب إيجابية موضوعية من التشابه والاختلاف والتأثير والتأثر بين أدباء العالم . ومما لفت الانتباه أنه يوجد بعض التشابه بين المؤلفين: "جيب" وأنطون تشيخف إلا أنه وجب التأكيد أن هذا التشابه فى الشكل فقط ، والذى يعد حينها طرازًا حديثًا ، وهو توجيه لا ضير منه بل لعل فيه الخير ، دون أن يفقدَ الأديبُ طابعه المميز وخصائصه الفنية . كما أن مضمون المسرحية جاء تعبيرًا عن واقعة حقيقية روسية خالصة من صميم الواقع الاجتماعى ، تعالج مشكلة أخلاقية وإنسانية وتُعبِّر عن الحالة النفسية للبطل والإبانة عما فى نفسه تجاه ضحيته . إلا أن التأثير والتأثر هنا لا يعنى تمامًا النسخ التقليدى . وإنما تأثر أنطون تشيخف كان تأثر إبداع وإضافة وابتكار . وهذه الملاحظات لا تنقص من عمله الريادى الإبداعى . نترك للقارئ الكريم متعة القراءة والحكم على المسرحية .

والآن نتصفح آخر مسرحيات الأديب أنطون تشيخف ذات الفصل الواحد (فودفيل) «ليلة المحكمة». نُشرت هذه المسرحية لأول مرة فى المجلد الثانى لبعض مؤلفات الكاتب بإشراف «ماريا بافلفنا تشيخفا»[38] فى موسكو فى عام 1914 . تم حفظ المسودة الخطية والمنمقة بخط المؤلف نفسه (وهى موجودة بالأرشيف الحكومى المركزى للأدب والفن بمدينة سانت ـ بطرسبورج) وهناك تأكيدات بأن هذه المسرحية كتبت فى بداية عام 1890. وأن مضمونها مأخوذ عن قصة قصيرة تحملُ العنوان نفسه عام 1886. وأثناء تحويل القصة إلى مسرحية عزز الأديب خطأ المتهم ـ المدعى

38 ـ ماريا بافلفنا تشيخفا (1863ـ 1957) شقيقة الأديب أنطون تشيخف ، ولدت فى مدينة تاجانروج ، وتوفيت بمدينة يالتا أثر أزمة قلبية ، عملت معلمة ، فنانة ، أشرفت على إنشاء المتحف الخاص بشقيقها فى مدينة يالتا، حصلت على وسام « راية العلم الأحمر» . (المترجم)

عليه – «زايتسف»: الذى أتوا به إلى المحاكمة فى التو لاتهامه ليس فقط لأنه متزوج باثنتين، بل أيضا لتزويره وصية، ولقيامه بمحاولة اغتيال. كما حظى مشهد الفحص الطبى للبطلة «زينوتشكا» والمداعبة الغرامية «لزايتسف» فى النص المسرحى بصورة موسعة. وبهذا قد تم التأكيد على أن زينوتشكا أثبتت بأنها إمرأة لعوب محنكة لا تتورع فى خيانة زوجها.

كما يتضح أن المسافر "ألكسي اليكسييتش زايتسف" الذى سيمثل أمام المحكمة لارتكابه العديد من الجرائم سيعاقب عليها بمقتضى القانون. ففى المسرحية يصوُر الأديب مكان مبيت "أ. أ. زايتسف" فى إحدى المحطات منتقدًا إياها بالوضع المزرى لها: فهى رديئة التدفئة، مليئة بالحشرات، تنتشر فى أرجائها رائحة كريهة حادة لا تطاق ولا تليق بآدمية الإنسان. فى بداية المسرحية يصور الكاتب الحالة النفسية التى تصاحب أ. أ. زايتسف ليلة المحاكمة، حيث يدور مونولوج يتضح منه أنه مذنب وسيتم محاكمته ولا مناص فى إصدار حكم ضده بإرساله إلى سيبريا وسجنه. وفى حواره مع المسدس الذى بحوزته يؤكد أنه بمجرد سماع الحكم بإدانته سيستخدم المسدس ويطلق الرصاص على رأسه ويتخلص من الحياة. وسط هذا الجو المشحون بالاضطراب للمصير المحتوم بالسجن، والحالة النفسية السيئة للمسافر "زايتسف". يسمع فجأة صوت زينوتشكا ـ الزوجة الشابة البالغة من العمر اثنتين وعشرين سنة ـ فى الحال أيضا ينسى "أ. أ. زايتسف" كل ما ينتظره من أحكام بإدانته، وعلى الفور يشرع فى مغامرة عاطفية جديدة. من خلال الحوار يؤكد الكاتب أن الزوج "فيودر نيكيتيتش جوسيف"، والذى يشغل وضعاً اجتماعياً مرموقاً، ويصطحب زوجته فى رحلة السفر، لا يغفل خيانتها له.

لم يتضمن النص المكتوب بخط اليد ما جاء فى القصة القصيرة لحظة وداع "زينوتشكا" فى صباح اليوم التالى مع صديقها الجديد عند تنويهها عن دفع الأجرة نظير "العمل الشريف". ولم يتضمن نهاية المشهد – جلسة المحكمة، عندما علم زايتسف فجأة فى النيابة العامة أنه نصب عليه من قبل "زينوتشكا".

فى حقيقة الأمر فإن المسرحية لم تكتمل، والدليل على ذلك ما يشير إليه شكل النص المكتوب بخط يد الكاتب، واختصار الكلمات المدونة فى النص، وعدم كتابة عبارة (تسدل الستار) التى دائماً ما يكتبها أ. تشيخف فى النص الأصلى للمسرحيات التى اكتملت كتابتها.

فى عام 1914 قدمت المسرحية مكتوبة على الآلة الكاتبة إلى رقابة الدراما (أغلب

الظن بواسطة ماريا تشيخفا) وفى 24 مارس 1914 أجيزت لها بالعرض على المسرح . (مكتبة المسرح الحكومى بلييننجراد).

هكذا تابعنا السمات الإبداعية لفن الفودفيل فى الأدب الروسى عامة ولدى أنطون تشيخف خاصة ، فمن خلال هذا الفن استطاع الأديب الروسى أن يثبت كل ما هو جميل فى الحياة ، إلى جانب احتجاجه على الظلم ، والغبن ، والجهل ، والفقر . ودائمًا ما كان يدافع عن المبادئ الإنسانية ، التى منحته احترام العالم أجمع . فأستطاع أنطون تشيخف كسر كل القيود وخرق كل الأفكار بالموضوعات التى تناولها فن الفودفيل فيما سبق فى الماضى ، كما تجاوز كل الأطر فجعل من المسرحية ذات الفصل الواحد طرفة ساخرة ، وأزال الحدود بين الدراما والكوميديا . فيجرى على خشبة المسرح ما يدور فى الحياة نفسها من اضطراب متواصل ، وأن كل شخصية لها طابع خاص وتتكلم بلغة الطبقة التى تنتمى إليها ، دون الإطناب الممل ، والحركة المستمرة ، ومتعة الضحك المتواصل ، كما تتميز بالنهاية المفتوحة . فالمشهد امتلأ بالحب والضحك ، والعراك .

د. نادية إمام سلطان

НА БОЛЬШОЙ ДОРОГЕ
(1885)

على الطريق العام
(1885)

ترجمة
نادية سلطان

على الطريق العام

مشهد درامى فى فصل واحد

شخصيات المسرحية

تيخون يفستيجنييف	: صاحب حانة على الطريق العام .
سيمن سيرجييفيتش بارتسوف	: إقطاعى مفلس .
ماريا يجوروفنا	: زوجة بارتسوف الإقطاعى .
سافا	: رجل عجوز عابر سبيل .
نازيروفنا، ييفيموفنا	: سيدتان متدينتان .
فيديا[1]	: عابر سبيل ، عامل .
إيجر ميريك	: متسكع .
كوزما	: مسافر .

ساعى بريد

حوذى زوجة بارتسوف .

مسافرون متدينون ، رعاة غنم ، عابرو سبيل ... إلخ .

يجرى الحدث فى إحدى المقاطعات الجنوبية بروسيا . والمشهد عبارة عن حانة يمتلكها تيخون. على اليمين توجد طاولة الحانة ورفوف عليها زجاجات الخمر . داخل الحانة باب يؤدى إلى الخارج ، معلق عليه من الخارج فانوس أحمر صغير يضاء بالزيت . الأرضية والمقاعد القريبة من الحائط مشغولة عن آخرها بالمتدينين والمسافرين. وكثير من هؤلاء الذين ليس لديهم مكان غفوا وهم جالسون . الوقت متأخر . عند رفع الستار يسمع صوت دوى الرعد ويشاهد وميض البرق عبر الباب .

I

يقف تيخون خلف طاولة الحانة . ويضطجع فيديا ممدداعلى إحدى المقاعد الطويلة مستندًا على أحد مرفقيه وهو يعزف بهدوء على الهارمونيكا . بالقرب منه يجلس بارتسوف، مرتديا ثيابا صيفية رثة. وعلى الأرض بالقرب من المقاعد الطويلة يجلس كل من سافا ، نازيروفنا وييفيموفنا.

ييفيموفنا : (مخاطبة نازيروفنا) . من فضلك يا أماه ، ادفعى هذا العجوز ! يبدو أنه قد أسلم الروح .

نازيروفنا : (ترفع من على سافا طرف الثوب الذى يرتديه) . أيها المؤمن ، أيها المؤمن! هل أنت ما زلت على قيد الحياة أم فارقتها؟

سافا : لماذا فارقت الحياة ؟ إننى على قيد الحياة يا أماه (ينهض مستندًا على مرفقه) غطى قدمي من فضلك أيتها العجوز! نعم هكذا، القدم اليمنى أكثر ، أيوه كده يا أماه ، أعطاك الله الصحة والعافية .

نازيروفنا : (وهى تغطى قدم سافا) : نَمْ ، يا أبتِ !

سافا : ما هذا الحلم الذى رأيته هنا ؟ كان من الممكن تحمل هذا العذاب لو كان هناك صبر ، لست بحاجة إلى النوم ، فالمذنب لا يهنأ بالسكينة . ما هذه الضوضاء يا عزيزتى المؤمنة؟

نازيروفنا : الله يرسل عاصفة رعدية ، وتعوى الريح ، وتهطل الأمطار بغزارة ، تهطل بعنف . وتصطدم بالسطح وتنقر على زجاج النوافذ وكأنها حبيبات صغيرة من البازلاء . هل تسمع؟ شيء رهيب لا يصدق فقد انفتحت السماء بوابل من الأمطار....

يسمع دوى الرعد

يا قدوس ، يا قدوس ، يا قدوس.....

فيديا : يدوى الرعد ، ويزأر ، ويحدث ضجيجا ، ليس له نهاية ! ممم .... بالضبط وكأن الغابة تصدر ضجيجًا ... ممم ... الريح تعوى كالكلب ... (سرت قشعريرة فى بدنه) أشعر بالبرد! فالثياب مبتلة ، على الأقل لابد من أخذها وعصرها، الأبواب مفتوحة على مصرعيها... (يعزف بصوت خافت على الهارمونيكا) لقد ابتلت آلتى الموسيقية - الهرمونيكا ، لذا يا أتباع الكنيسة الأرثوذكسية ، لن تكون هناك موسيقى ، ولو كانت آلة الهرمونيكا فى حالة جيدة لكان من الممكن العزف عليها ولقدمت لكم حفلة رائعة، تسعدون بها ، لدرجة أنه من الممكن أن تهوى فيها القبعات من شدة الفرح والمرح ! شيء رائع! كان من الممكن أن أعزف ما تطلبونه مثل رقصة الكادريل[2] أو البولكا[3] ... أو أى مقطع من أغان روسية ساخرة مضحكة ... ففى استطاعتى أن أقدم ذلك كله . فى المدينة ، وقفت فى أروقة جراند أوتيل ، واسترسلت فى العزف على آلة الهارمونيكا وعزفت جميع النوتات الموسيقية ، ولكن لم أتكسب أية نقود. وأستطيع أيضًا العزف على الجيتار.

يسمع صوت من أحد أركان المكان : «رجل أحمق يقول كلاماً سخيفاً» .

فيديا : إننى أسمع كلام شخص مغفل .

وقفة قصيرة

نازيروفنا : (تقول لسافا) عليك الآن ، أيها العجوز ، أن ترقد فى مكان دافئ وتدفئ قدميك .

وقفة قصيرة

(تدفع سافا) . أيها الرجل العجوز ، أيها الرجل التقى ، أخ ، هل تتأهب للموت؟

فيديا : ليتك يا جدى لو احتسيت قليلاً من الفودكا ، فحين تشربها سوف تدفئ بطنك وعندئذ ستريح قلبك قليلاً. اشرب يا عزيزى!

نازيروفنا : كُف عن هذه البجاحة أيها الشاب ! . قد يلفظ الشيخ العجوز أنفاسه الأخيرة و يحاول أن يكفر عن ذنوبه ، وأنتِ تقول مثل هذه الكلمات وتتحدث عن الهارمونيكا... كفاك حديثًا عن الموسيقى! يا لك من قليل الحياء!

فيديا : ما شأنك أنتِ وهذا العجوز؟ إنه واهن ، وأنت... يا لها من غباوة ستات ... ولأخلاقه الحميدة لا يستطيع أن ينطق بكلمة واحدة سيئة ، أما أنت ففرحانه ، ومسرورة ، وهو يستمع إليك أيتها الحمقاء... فلتنم يا جدى ، ولا تُصغ إليها! دعها تثرثر ، أما أنتِ فلا تبالى . إنه كلام ستات فهى كالمكنسة الشيطانية التى تكنس من الدار الصالح مع الطالح. فلا تبالى ... (يضرب كفًا على كف) . كم أنت يا أخى ، يا عزيزى ، نحيف! يا للهول ! إنك تشبه هيكلاً عظميًا لشخص ميت! ليس عندك أى حيوية ! أخ ، وفى الحقيقة ، ألا تشعر بأنك تحتضر؟

سافا : لمَ أموت؟ ارحمنى يا الله ، وبألاَ أموت سدى ... إننى أتألم قليلاً وبمساعدة الرب سوف تتحسن صحتى ... وأقف على قدميَ ... ولن تسمح السيدة العذراء بأن أقضى نحبى على أرض غريبة... بل أموت فى دارى ...

فيديا : هل أنت قادم من مكان بعيد؟

سافا : أنا من فولاجدا من مدينة فولاجدا[4] نفسها ... رجل بسيط وعلى قد حالى من هناك ...

فيديا : وأين فولاجدا هذه؟

تيخون : مقاطعة ... بعد موسكو ...

فيديا : آه ، آه ، آه... أيها الرجل الملتحى !... ماذا جاء بك إلى هنا! هل جئت ماشياً على الأقدام؟

سافا : نعم سيراً على الأقدام . يا عزيزى. كنت عند دير تيخون زادونسكى[5] ، وسأذهب إلى الجبال المقدسة ... ومن الجبال المقدسة ، بمشيئة الرب ، فى أوديست ... ومن هناك يقولون وبأرخص الأسعار يرسلونهم إلى بيت المقدس .... كما يقولون بواحد وعشرين روبلاً ...

فيديا : وهل ذهبت إلى موسكو؟

سافا : ياه ! حوالى خمس مرات ...

فيديا : أهى مدينة جميلة؟ (بدأ يدخن) أتستحق زيارتها؟

ساڤا : هناك أماكن مقدسة كثيرة ، يا عزيزى ... وحيثما توجد أماكن مقدسة ، فالجمال يعم كل مكان ...

بارتسوف : (يقترب من طاولة الأطعمة والمشروبات مخاطبًا تيخون) مرة أخرى أتوسل إليك! . أعطنى كأسًا! . أعطنى ، أستحلفك بالسيد المسيح! .

فيديا : أهم شيء فى المدينة ، أن تكون نظيفة ... فإذا كان هناك تراب ، وانهمر المطر فسيتكوُن الوحل ، فلابد من نظافتها . وأن تكون هناك منازل عالية... ومسرح ، وبوليس ... وحوذيون ، إللى ... أنا عشت فى المدن ، وأفهم هذا جيدًا .

بارتسوف : أعطني كأسًا صغيرًا ... ولو هذا الكأس الصغير ... . وعلى الحساب! . وسوف أدفع لك فيما بعد! .

تيخون : كفى .

بارتسوف : أتوسل إليك ! اعمل معروفاً ! .

تيخون : ابتعد عن هنا ! .

بارتسوف : أنت لا تفهمنى ... أرجوك افهمنى ، أيها الجلف ، إن كان فى رأسك القروية المتحجرة هذه ولو ذرة من العقل ، لعلمت إننى لا أتوسل إليك ، ولكن كل ما بداخلى من أحشاء هو الذى يتوسل إليك! فإدماني هذا هو الذى يتوسل إليك!. هلا فهمتنى ! .

تيخون : لا حاجة لنا فى أن نفهم ... ابتعد من هنا ! .



"بارتسوف" يطلب من "تيخون" كأساً صغيراً من الخمر

بارتسوف : عليك أن تفهم ، إذا لم أتناول كأسًا من الخمر الآن ، وإن لم أشبع رغبتى ، من الممكن أن أرتكب جريمة. ويعلم الله وحده ، ما الذى أستطيع عمله ! . ألم تدرك ، أيها الجلف، كم من أناس سكارى قد ترددوا على حانتك ، وحتى الآن لا تستطيع أن تستوضح حقيقة هؤلاء الناس؟ إنهم مرضى!. لا يهمهم إذا كبلتهم بالأغلال ، أو ضربتهم، أو ذبحتهم ، ولكن الأجدى لهم أن تعطيهم كأسًا من الفودكا! . أكون ممنونًا لك ! فاعمل معروفًا! أتضرع إليك ! . يا إلهى ، كيف أتوسل إليك! .

تيخون : تدفع فلوساً ، ستحصل على الفودكا .

بارتسوف : من أين آتى لك بالنقود؟ أنفقت كل ما عندى من مال على شرب الخمر ! . أفلست تمامًا! . ما الذى أستطيع أن أعطيه لك؟ الشيء الوحيد الذى تبقى عندى هذا البالطو، ولكن لا أستطيع أن أعطيه لك ... فهو يغطى جسمى العريان ... أتريد أن تأخذ قبعتى الشتوية هذه؟ (يخلع القبعة ويعطيها لتيخون) .

تيخون : (فاحصًا القبعة) . ممم ... كل قبعة تختلف عن الأخرى.... ثقوب كثيرة وكأنها منخل ...

فيديا : (يضحك) . قبعة النبلاء!. ترتديها وتمشى بها فى الشارع وأمام المودمازيلات تخلعها للتحية وتقول لهن: تحياتى ، وداعًا!. كيف حالكن؟

تيخون : (يعيد القبعة لبارتسوف) . قائلاً : لا تلزمنى حتى ولو بدون مقابل. دى زبالة .

بارتسوف : ألم تعجبك؟ فى هذه الحالة ، أعطنى كأسا على الحساب!. وعند عودتى من المدينة ، سآتى لك بقطعة من فئة خمس كابييكات - المدين لك بها ! . عندئذ ابلع هذه الكابييكات التى سوف تكون غصة فى حلقك. ويارب فى هذه الساعة تقف فى زورك ! (يكح) . إنى أكرهك ! .

تيخون : (يضرب بقبضة يده على الطاولة) . لماذا تضايقنى بإلحاحك؟ أى إنسان أنت؟ ألست بنصاب؟ لماذا جئت إلى هنا؟

بارتسوف : أريد كأسا من الفودكا! . بالنسبة لى شخصيا فأنا لا أريد ، ولكن داء الإدمان الذى يسيطر على هو الذى يريد!. افهمنى!.

تيخون : لا تخرجني عن طورى! . سألقي بك في الحال خارج الحانة في البرية! .

بارتسوف : ماذا علىَ أن أفعل؟ (يبتعد عن الطاولة) . ما الذى يجب علىَ أن أفعله ؟ (يستغرق في التفكير)

ييفيموفنا : هذا الشيطان الملعون يعكر صفو حياتك. وأنت يا سيدى لا تلقى له بالاً . وحتى عندما يهمس فى أذنيك: « اشرب... اشرب !» . فقل له : « لن أشرب!. لن أشرب!» . دعنى وشأنى! .

فيديا : ربما يكون فى رأسك ، فى .... ترو - تو - تو -تو ... تتضرر جوعًا! (وهو يقهقه) . يا لك من إنسان غريب الأطوار ، يا سعادة النبيل . هيا أرقد ونمْ ! لماذا تقف هكذا مثل خيال المآتة وسط الحانة! . فأنت لست فى بستان ! .

بارتسوف : (بغضب) اخرس ! لم يسألك أحد ، يا حمار ! .

فيديا : تتكلم ، وتتكلم ، وفى النهاية لم تقل شيئًا! . رأينا كثيرين من أمثالك! . وهم يتسكعون هنا على الطريق العام. أما بخصوص موضوع الحمار، فسوف أبرحك ضربًا على أذنيك، حتى تعوى أشد من الريح. فأنت اللى حمار! . وشخص كريه! .

وقفة قصيرة

سافل! .

نازيروفنا : أيها الشيخ عليك بالدعاء متضرعًا للرب ، حتى تسلم الروح، أما هم فإنهم عديمو التقوى يشاكس بعضهم بعضا ويقولون كلامًا مشينا... يا لهم من قليلى الحياء! .

فيديا : أما أنتِ ، أيتها العجوزة الشمطاء ، ما دمت أنتِ موجودة في الحانة، لا داعى إلى الولولة، فللحانة تقاليد يجب اتباعها.

بارتسوف : ما الذى يجب علىَ أن أفعله؟ ما العمل؟ كيف أستطيع إقناعه؟ وبأى لغة بليغة أستطيع أن أتحدث بها؟ (مخاطبا تيخون) لقد تجلط الدم فى صدرى! يا عم تيخون! (يبكى). يا عم تيخون ! .

سافا : (يتأوه) . إن قدمى تؤلمنى، كما لو كانت رصاصة ملتهبة قد أصابتها ... ماذا أفعل أيتها الأم المؤمنة العزيزة؟

ييفيموفنا : ماذا بك يا أبتِ ؟

سافا : مَنْ ذا الذى يبكى ؟

ييفيموفنا : إنه السيد النبيل .

سافا : اطلبى من السيد النبيل ، أن يذرف الدمع ، كى أستطيع العودة إلى فولاجدا وأموت هناك . فالصلوات التى تصاحبها الدموع تلقى الرضا والقبول عند الرب .

بارتسوف : أنا لا أصلى أيها الشيخ ! . إن نفسى منقبضة للغاية ، ليست هذه دموع ، فقلبى ينزف دمًا ، (يجلس عند قدمى سافا) يا له من ألم ! على أية حال لن تفهموا ! . وأنت أيها الشيخ ، لا تدرك الأشياء على حقيقتها بعقلك الضيق. يا لكم من أناس جهلاء!

سافا : وأين نجد هؤلاء المتنورين؟

بارتسوف : لو كان هناك أناس متنورون يا أبت ... لفهموا ... ! .

سافا : موجودون ، موجودون ، يا ولدى ... كان هناك أناس قديسون متنورون .... كانوا على علم بكل المشاكل... ودون أن تتحدث إليهم ، تجدهم على الفور يفطنون ... وإذا ما نظروا إلى عينيك - فطنوا بما تريد ... . وبعد فهمهم لك تشعر بالسكينة ... وتحس بأن شيئًا لم يكن - وكأنها انتزعت باليد! .

فيديا : وهل رأيت أنت مثل هؤلاء القديسين؟

سافا : حدث بالفعل ، أيها الفتى ... ففى عالمنا يوجد أنواع شتى من البشر . فمنهم الخطاءون ، كما يوجد أيضًا خُدام الرب.

بارتسوف : لا أفهم شيئًا ... (ينهض بسرعة) لابد أن يفهموا ، هل أمتلك الآن عقلاً لذلك؟ عندى ميل ورغبة للشرب! (بسرعة يقترب إلى الطاولة) . يا تيخون ، خد البالطو! . هل تفهم؟ يريد خلع البالطو (من على جسمه) . ها هو البالطو ...

تيخون : وما الذى تحت البالطو؟ (يتفرس بارتسوف ما تحت البالطو). أنت عارى الجسم تمامًا؟ لا تخلع البالطو : لن أأخذه ... ولن أتحمل هذا الوزر.

يدخل ميريك

II

نفس الشخصيات بالإضافة إلى ميريك

بارتسوف : حسناً ، سوف أتحمل أنا الوزر ! موافق؟

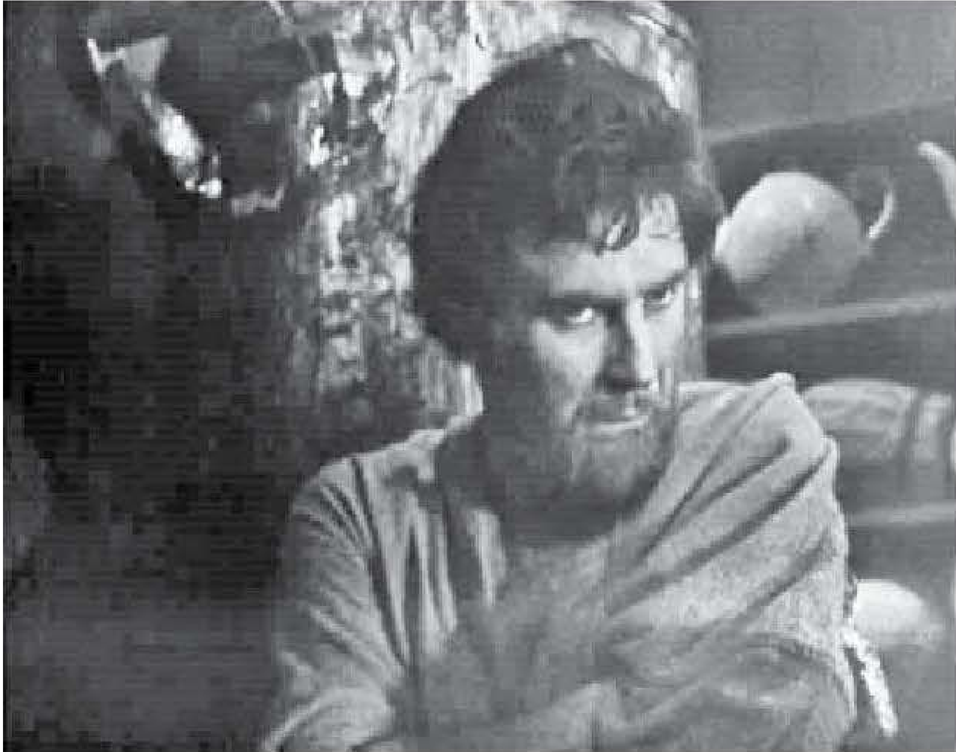
ميريك : (فى صمت يخلع الثوب الخارجى ويظل بالقميص الداخلى. توجد بلطة تحت الإزار ، الذى يشد به خصره): ينتاب الناس الشعور بالبرد ، أما الشخص الأخرق فاقد الأقارب دائماً يشعر بالحر ويتصبب عرقاً (يضع البلطة على الأرض و يخلع قميصًا آخرًا) وفى الوقت الذى تنتشل فيه قدمك من الوحل يتصبب منك سطلا من العرق . وما تكاد تنتشل قدمك من الطين ، حتى تغرز الأخرى فى الوحل .

ييفيموفنا : إلى هذه الدرجة ... يا عزيزى ، ألم يَقِل هطول المطر بعد ؟

ميريك : (وقد صوب نظرة إلي ييفيموفنا) . أنا لا أحب الحديث مع الستات .

وقفة قصيرة

بارتسوف : (موجهًا كلامه إلى تيخون) . سوف أتحمل أنا الوزر ! . أتسمعنى أم لا؟



"إيجر ميريك"

تيخون : لا أرغب فى سماع أى شيء ، دعنى وشأنى! .

ميريك : خيَم السواد على الدنيا ، وكأن أحدًا قد دهن السماء بالقطران، لدرجة أننى لم أر أبعد من أرنبة أنفى. والمطر يضرب فى وجهى وكأنه ثلج أو صقيع (يأخذ بين ذراعيه الثياب والبلطة) .

فيديا : إن هذا الجو مناسب جدًا لأخيكم النصاب . ففى الوقت الذى فيه يختبئ الحيوان المفترس فهو عيد لمثل هؤلاء المهرجين .

ميريك : من هذا الشخص الذى تفوه بهذه الكلمات؟

فيديا : حذارى ... لا يتدخل أحد فيما لا يعنيه .

ميريك : وهو كذلك ... سآخذ كلامك فى الحسبان . (وهو يقترب من تيخون) . مرحبًا ، يا صاحب الوجه الممتلئ! . أنت مش فاكرنى؟

تيخون : إذا كنت أتذكر كل السكارى المترددين على الحانة بالطريق العام ، فأنا أحتاج إلى عشرة أدمغة .

ميريك : أنظر إلىّ ...

وقفة قصيرة

تيخون : هلاّ أنا عرفتك ، يا للعجب ، عرفتك من عينيك ! . (يمد يده للمصافحة) . ألست أنت أندريى بوليكاربف؟

ميريك : كنت أندريى بوليكاربف ، أما الآن اعتبرنى إيجر ميريك

تيخون : لمَ هذا؟

ميريك : أرسل الرب لى هوية منذ شهرين ، تبين أننى أحمل لقب عائلة ميريك .

يدوى الرعد

بوم ... فليدوى الرعد ، فأنا لم أخف ! . (ينظرحوله) . هل يوجد هنا كلاب صيد؟

تيخون : كلاب صيد إيه . لا يوجد سوى براغيث وناموس ... شعب وديع ... كلاب الصيد والحراسة تنام الآن وتتمطع على ريش النعام ... (بصوت عال) . يا إخوانى يا أرباب الكنيسة الأرثوذكسية ، خذوا حذركم من جيوبكم ، وثيابكم البالية . وإلا ستندمون على ضياعها !. فقد وصل رجل شريرا!. سيقوم بسرقتكم! .

ميريك : إذا كان معكم فلوس فحافظوا عليها ، أما فيما يتعلق بثيابكم ، فلن ألمسها . فهى لا تلزمنى .

تيخون : إلى أين يحملك الشيطان؟

ميريك : إلى كوبان[6] .

تيخون : ياه !

فيديا : إلى كوبان؟ والله؟ (ينهض) . إنها أماكن ذائعة الصيت. منطقة مثل هذه ، يا إخوانى ، لا يمكن أن ترونها حتى فى المنام ، ولو نمتم ثلاثة أعوام. إنها بلاد رحبة واسعة . يقولون، إنَّ بها طيوراً للصيد، وأيضاً حيوانات متوحشة من جميع الأنواع . - يا إلهى! والأعشاب الخضراء تنمو على مدار العام ، وهناك الشعب - يعيش فى حب ووئام ، لديهم أراضى زراعية زائدة لا يجدون مَنْ يوزعونها عليهم!. ويقولون إنَّ المسئولين هناك ... وكما حكى لى أحد الجنود الأعزاء أخيراً منذ أيام قليلة ... بأنهم يعطون لكل شخص مائة هكتار . إنهم لمحظوظون ، يشهد الله على ما أقول .

ميريك : الحظ ... والسعادة تمر من وراء ظهورنا ولا نراها . لما تشوف حلمة ودنك لن ترى السعادة ... يا لها من بلاهة (يتفحص المقاعد ونزلاء الحانة) . كأنها عنبر مساجين ... يا له من فقر مدقع! .

ييفيموفنا : (مخاطبة ميريك) . كم لديك من عيون حاقدة! ... تسكن فى قلبك نزعة عدوانية ... لا تنظر إلينا هكذا ...

ميريك : صحيح ، يا لهم من فقراء ! .

ييفيموفنا : أدر وجهك! . (وهى تدفع سافا) . يا سافوشكا[7] ، يوجد شخص شرير يحدق النظر فينا . يكدر حياتنا ، يا عزيزى. (ثم تخاطب ميريك قائلة :) . قلت لك أدز وجهك ، أيها الأفعى !

سافا : دعيه وشأنه ، يا أماه ، دعيه وشأنه ... فإن الرب لن يسامحه.

ميريك : حسنًا ، أتباع الطائفة الأرثوذكسية ! . (وهو يهز كتفيه). سكون ! . لم تناما حتى الآن يا حمقى! لماذا تلتزمان الصمت؟

يـيفيموفنا : أدر عينيك ! . أدر عينيك عن هذا الشيطان المتغطرس .

ميريك : اخرسى أيتها العجوز الشمطاء ! أنا لست بشيطان متغطرس، كنت أود أن أشاركم أحزانكم بالرقة والكلمة الطيبة. شعرت بالأسى والحزن تجاهكم عند رؤيتى لكم وأنتم تنكمشون من البرد مثل الذباب ـ يا للأسف على ما حدث!. كنت أود أن أقول كلامًا طيبًا، كم أنا فى حاجة إلى الحنان، أما أنتم فأدرتم وجوهكم الدميمة ! . ما هذا؟ لا داعى (يقترب من فيديا) وأنت أصلاً بتشتغل فين ؟

فيديا : أنا أعمل هنا فى مصانع خامون المحلية. أعمل فى مصنع الطوب .

ميريك : انهض من هنا.

فيديا : (ينهض). وبعدين؟

ميريك : انهض . انهض من هنا نهائيًا ، فسوف أرقد أنا هنا ...

فيديا : يعنى إيه ... هل هذا مكانك ولا إيه؟

ميريك : أيوه مكانى. اذهب وارقد هناك على الأرض! .

فيديا : مُز ، يا عابر السبيل ... أنا لم أخف ...

ميريك : بسرعة ... يا للاَ ، امش هناك ، ولا تنطق بكلمة ! . وإلا سوف تندم على ذلك ، إنسان غبى .

تيخون : (مخاطبا فيديا) . أيها الشاب لا تعارضه . لا تُلق له بالاً .

فيديا : بأى حق ، تتكلم معى هكذا؟ أتظن عندما تحملق بعينيك الضيقتين هذه فىَ ، أن الخوف انتابنى! (يلملم أمتعته بين ذراعيه ويذهب لتجهيز الفراش للنوم على الأرض) . يا لك من شيطان! . (ينام ويغطى رأسه).

ميريك : (يجهز لنفسه الفراش للنوم على الدكة) . بقى أن تعرف ، بأنك لم تر بعينك حتى الآن الشيطان الذى سميتنى به ... ، إن الشياطين ليست على هذا النحو (يرقد ويضع بجانبه البلطة). نامى يا بلطتى الحبيبة ، هيا دعينى أغطيك بإحكام يا بلطتى الصغيرة .

تيخون : من أين استوليت عليها؟

ميريك : سرقتها ... سرقتها ، وها أنا الآن أوليها كل اهتمامى كما لو كانت مخلة مزخرفة بالرسوم: ويؤسفنى أن أتخلص منها فلا يوجد مكان كى أخفيها فيه . فهى كالزوجة المنفرة ... صحيح ... (يتدثر بالغطاء) . ليست الشياطين ، يا أخى ، على هذا النحو ...

فيديا : (مطلاً برأسه من تحت الغطاء) . ما الشياطين التى تقصدها؟

ميريك : إنها كالبخار ، كالشبح ... هكذا تنفخ (وينفخ) . هكذا هى ، ولكن لا تستطيع أن تراها .

يُسمع صوت من أحد الأركان يقول: « تستطيع أن تراها، إذا جلست تحت المسلفة[8] »

ميريك : أنا جلست ، ولم أر شيئًا ... الستات الفلاحات كاذبات، والفلاحون أغبياء .. . إنك لا ترى شيطانًا ، ولا عفريت الغابة ، ولا جنا ...فالعين لم تُخلق لترى كل شيء ... فعندما كنت طفلاً صغيرًا كنت أذهب ليلاً عمدًا إلى الغابة كى أرى عفاريت الغابة ... وأظل أصرخ ، وأصرخ، وكما يقولون إنَّ هناك شبحًا ما ، فأنادى على عفريت الغابة دون أن يطرف لى جفن: فكانت تتراءى لى أشياء تافهة ، لكنى لم أر عفاريت الغابة هذه . وكنت أذهب إلى الجبانة ليلاً ، وأتمنى أن أرى أشباح الموتى ، فلم أر شيئًا ـ فالستات الفلاحات تكذبن . إننى رأيت كل أنواع الحيوانات المتوحشة ، أما بالنسبة لما هو أكثر رعبًا ، فسوف تذهب كل محاولاتك سدى ولن ترى عيناك شيئًا ...

يسمع صوت من أحد الأركان يقول: « لا تقل هذا فإنه يحدث ، ومن الممكن أن تراه... فهناك فى قريتنا قد ذبح فلاح خنزيرا ... وعندما جاء يتخلص من أحشاء الذبيحة ، ظهر العفريت من بينها »

سافا : (ينهض قليلاً) . يا جماعة ، لا تذكروا الشياطين... فهذا إثم، يا أعزائى! .

ميريك : آه ... يا أبا لحية شيباء! أيها الهيكل العظمى! . (يضحك) . فليس من الضرورى أن تذهب إلى الجبانة ، فاشباحك تخرج من تحت الأرض وتقرأ لك المواعظ ... إنه إثم ... فلا يمكن وعظ الناس بفكركم الغبى ! . يا لكم من أناس جهلة وتافهة... (يشعل الغليون) . كان أبى رجلاً فلاحًا ، وأيضًا كان يحب أن يُقدِّم المواعظ . وذات مرة سرق جوالاً مليئًا بالتفاح من عند القس ، وأحضره لنا، ثم أخذ يوعظنا: «انظروا يا أولادى لا تأكلوا من هذا التفاح حتى يأتى عيد سباس[9] ، لأن هذا إثم...» فأنتم مثله تمامًا ... فأنتم لا تعرفون مَنْ هو الشيطان إنما من الممكن أن تتصوروه .... فعلى سبيل المثال ، خذوا هذه العجوز الشمطاء (وهو يشير إلى ييفيموفنا) فقد أدركت بأن الشيطان يسكن فى داخلى ، إلا أنها قد أسلمت روحها للشيطان خمس مرات تقريبًا فى اليوم طول حياتها بسبب الحماقات النسائية .

ييفيموفنا : تفو، تفو، تفو عليك ...إحنا معانا قوة الصليب (تخفى وجهها بكفيها) سافوشكا!

تيخون : لماذا تُخيفُهم؟ فرحت!

الباب يصفق من شدة الرياح

: باسم اليسوع عيسى المسيح... ها هى الرياح قد هبت!

ميريك : (وهو يتمطع)، آه، تحبى أن أريك قوتى!

الباب يصفق من شدة الرياح

تحب أن تقيسى قوتى بقوة الريح هذه!. فأنا لا أستطيع فقط أن أنزع الباب، ولكن فى استطاعتى أن أقتلع الحانة بأكملها من جذورها!. (ينهض واقفا ثم يرقد). أشعر بالكآبة!.

نازيروفنا : عليك بإقامة الصلوات، أيها المغفل!. ما الذى يقلقك؟

ييفيموفنا : دعيه وشأنه، تبا له!. مرة أخرى ينظر إلينا (وهى تنظر إلى ميريك) لا تنظر إلينا هكذا، أيها الشرير!. فعيناك هذه، كأنها عيون شيطان وقت صياح الديك عند الفجر!.

سافا : دعيه ينظر أيتها المؤمنات!. واصلاً تأدية الصلاة، فعيناه لن تزعجنا...

بارتسوف : لا ، ليس فى استطاعتى أن أتحمل! (وهو يقترب من الطاولة). فقد أصبح هذا فوق طاقتى! اسمعنى يا تيخون ، آخر مرة أتوسل إليك ... ممكن حتى ولو نصف كأس! .

تيخون : (يهز رأسه رافضاً) . الفلوس أولاً ! .

بارتسوف : يا ربى ، ألم أقل لك من قبل ! . لقد انفقت كل ما أملك على شرب الخمر ! . من أين آتى لك بالنقود ؟ هل سيصيبك الإفلاس إذا ما أعطيتنى على الحساب قليلاً جدًا من الفودكا؟ فإن كأسا من الفودكا بالنسبة لك لا يساوى خردلة ، أما بالنسبة لى فسوف يريحنى من الآلام . إنى أتألم! ليست هذه نزوة ، بل معاناة! . افهمنى!

تيخون : اذهب وقُل هذا الكلام لشخص آخر وليس لى ... فلتذهب هناك وتطلب من أتباع العقيدة الأرثوذكسية ، لعلهم يلبون طلبك إذا أرادوا من أجل اليسوع المسيح ، أما أنا فمن أجل اليسوع المسيح من الممكن أن أعطيك خبزًا فقط .

بارتسوف : اذهب أنت واطلب من هؤلاء الصعاليك ، أما أنا ... فلا تؤاخذنى!. فأنا لا أريد ابتزازهم! . وأنا لست بهذا الشخص الجشع! . أنت فاهم؟ (يضرب بقبضة يده على الطاولة) لست أنا بهذا الشخص !

وقفة قصيرة

: ممم ... انتظروا لحظة من فضلكم ... (ويلتفت إلى المؤمنين العابدين) . لدى فكرة يا إخواني يا أتباع الكنيسة الأرثوذكسية هلا تبرعتم بخمس كابييكات فقط !. أحشائى تتوسل إليكم. أنا إنسان مريض! .

فيديا : عجبا لك ، تبرعوا ... يا لك من نصاب ... ألا تريد بعضا من الماء؟

بارتسوف : كيف أتوسل إليكم!. كيف أتوسل! لا داعى ! لا يلزمنى أى شيء ! ... كان ذلك مجرد مزحة من جانبى ! .

ميريك : لا تلح عليه ، أيها السيد النبيل ... يبدو أنه من سلالة عرق دساس معروف بالشح... انتظر لحظة ، أنا وضعت فى مكان ما قطعة من فئة خمس كابييكات ... سوف نشرب مناصفة كأسا سويا... (ينبش فى جيوبه) . يا للشيطان ... لابد وأن تكون قد استقرت فى مكان ما ... كانت ترن هنا ، منذ وقت قريب ... مافيش ، مافيش ... مافيش يا أخى! حظلك كده!

وقفة قصيرة

بارتسوف : إن لم أحتس رشفة من الخمر ، فسوف أرتكب جريمة ! . أو أقدم على الانتحار ... ماذا على أن أفعل ، يا الله ، (ينظر صوب الباب) . هل أخرج؟ وأهيم على غير هدى فى جنح الظلام الدامس...

ميريك : ماذا بكن ، أيتها المتدينات ، المؤمنات ، لماذا لا تقدمان له الموعظة؟ أما أنت ، يا تيخون لماذا لم تلق به فى الشارع؟ يبدو إنه لم يدفع لك حق المبيت. اطرده شر طردة . آه ! . فى هذه الأيام أصبحتم شعبا قاسى القلب. ليس فى قلبه وداعة ، ولا طيبة ... شعب عديم الشفقة! . إنسان يغرق ، فيقولون له بصوت عال: «اغرق وبسرعة ، فليس لدى أحد وقت للنظر إليه ، فالكل مشغول بعمله» . أما عن أحد ما يلقى له بطوق النجاة لإنقاذه فلا جدوى ... لأن الحبل عندهم يساوي نقود...

سافا : لا تدينهم ، أيها الرجل الطيب! .

ميريك : اسكت أيها الذئب العجوز ! . أنتم شعب عديم الشفقة! ظالم! من الممكن بيع ضمائركم! (وهو يخاطب تيخون). تعال إلى هنا ، اخلع عنى حذائى ! . حالاً وبسرعة ! .

تيخون : انظروا كيف تملكه الغضب ! (وهو يضحك) فظيع ! .

ميريك : تعال إلى هنا ، ماذا قلت لك! . حالاً وبسرعة! .

وقفة قصيرة

أسمعت ما قلته لك ؟ هل أخاطب أنا الحائط (ينهض) .

تيخون : حاضر ، حاضر ... ها يحصل ...

ميريك : إننى أرغب ، أيها الجشع فى أن يكون عندى شخص شبيه لك يخلع عن صعلوك فقير مثلى الحذاء .

تيخون : حاضر ، حاضر ... لا تغضب ! اذهب وخذ كأسًا من الفودكا... واحتسيه ! .

ميريك : يا ناس ، هل هذا ما طلبته منه أن يقدم لى كأسًا من الفودكا ، أم أن يخلع عنى الحذاء؟ هل أخطأت في شيء ما؟ أليس هذا ما قلته ؟ (مخاطبًا تيخون) . من الواضح أنك لم تسمع؟ سأنتظر لحظة ، لعل وعسى أن تسمع .

يسود بعض الهرج والمرج بين المتدينين وعابرى السبيل .

يقفون ويتطلعون إلى كل من تيخون وميريك . صمت وترقب .

تيخون : تبا لك ، أى شيطان جاء بك إلى هنا (يخرج من وراء الطاولة). أي سيد هذا قد ظهر هنا ! . ماذا علىَ أن أفعل غير ما تريد؟ (وهو يخلع الحذاء عن ميريك) . إنك من نسل أشرار .

ميريك : أيوه كده . ضع الحذاء على مقربة منى ... أيوه كده ... يا للا بقى من هنا! .

تيخون : (يذهب وراء الطاولة بعد أن خلع حذاء ميريك) . إنك تحب أن تستهزئ جدا بالناس! . ولو حاولت أن تسخر منى مرة أخرى، فسوف ألقى بك فى الحال خارج الحانه! . مفهوم (ثم يقول لبارتسوف الذى يقترب منه) . هو أنت تانى؟

بارتسوف : ما رأيك ، لعل من الممكن أن أعطيك شيئًا مصنوعًا من الذهب ... فلتسمح لى ، إذا رغبت ، فمن الممكن أن أعطيها لك ...

تيخون : لماذا ترتعد خوفًا هكذا؟ تكلم بوضوح! .

بارتسوف : على الرغم من أننى أعتقد ، أن هذا شيء من السفالة والدناءة من جانبى ، ولكن ماذا عساى أن أفعل؟ أنا قررت أخيرًا اللجوء إلى هذا الشيء الدنئ ، وقد يتهمونى بأننى فاقد للأهلية القانونية ... إلا أننى على يقين أن المحكمة سوف تبرئنى ... خذ هذا ، ولكن بشرط : أن ترده لى فيما بعد ، عند عودتى من المدينة . سأعطيه لك أمام شهود ... أيها السادة الأفاضل ، أنتم ستكونون شهودًا على هذا ! . (يخرج من عبه ، ميداليون[10] من الذهب) . ها هو ... كنت أود أن أنتزع منه الصورة ، ولكن لا يوجد مكان أضعها فيه : فإن كل جسمى مبلول تمامًا... ولكن ، إياك أن تستولى عليه بالصورة! وما أطلبه منك فقط ... ألا تلمس بأصابعك هذه ذلك الوجه ... أتوسل إليك... أنا يا عزيزى ، كنت فظا معك ... وغبيًا ولكن اعذرنى و ... لا تلمسها بأصابعك ... ولا تتطلع بعيونك إلى هذا الوجه ... (يعطى تيخون الميداليون) .

تيخون : (يتفحص الميداليون) . يبدو أنها ساعة مسروقة ... عظيم جدًا اتفقنا ، (وهو يصب الفودكا) . اشرب حتى تشبع ...

بارتسوف : عليك فقط ألا تلمسها بأصابعك ... يشرب ببطء ، وبوقفات متشنجة .

تيخون : (يفتح الميداليون) . ممم ... يا لها من امرأة حسناء ! ... مَنْ أين سرقت هذه؟

ميريك : أرنى إياها يا عزيزى! . (ينهض ويتجه إلى الطاولة) . أعطينى إياها كى أتطلع إليها ! .

تيخون : (يبعد يده جانبًا) إلى أين تتسلل؟ الق نظرة عليها وهى فى يدى !

فيديا : (ينهض ويتوجه إلى تيخون) . اعطنى أيضًا إياها كى ألقى نظرة عليها!

تقترب صوب الطاولة من كل جانب مجموعة من عابرى السبيل والمتسكعين .

ميريك : (يمسك بكلتا يديه يد تيخون ، التى تمسك بالميداليون ، وفى صمت ينظر إلى الصورة . ثم يصمت برهة) . يا لها من شيطانة جميلة. من طبقة النبلاء ....

فيديا : من النبلاء ... يا لها من وجنات ، ويا لها من عيون ... ابعدْ يدك هذه ، لا أرى ... وشعرها يصل حتى خصرها... صورة وكأنها إنسانة حية ! . وكأنها تتأهب للكلام ...

وقفة قصيرة

ميريك : إنها شخصية قوية مهلكة بالنسبة لإنسان ضعيف ، فهى تمتطيه ولها اليد الطولى (يلوح بيده) – وفى هذا نهايتك !

يسمع صوت كوزما يقول «يش ... قف يا مغفل»

يدخل كوزما

III

نفس الشخصيات بالإضافة إلى كوزما

كوزما : (يدخل) . أينما ذهبت سواء ماشيا على الأقدام أو راكبا ، فلابد وأن تمر بهذه الحانة الصغيرة . فربما تمر نهارا على دار أبيك فلا تلاحظه ، أما هذه الحانة فإنك دائما تراها من على بعد مائة فيرست[11] ، حتى ولو فى ظلمة الليل الحالك . افسحوا الطريق يا إخوتى فى الرب ! خذ ! (يضرب بقطعة نقدية من فئة خمس كابييكات على الطاولة). ويطلب كوبا أصليا من الماديرا[12] وبسرعة ! .

فيديا : يا لك من شيطان طائش! .

تيخون : لا تلوح بيديك هكذا! فمن الممكن أن تصطدم بشئ! .

كوزما : (وهو يشرب) يا لها من أيادٍ ناعمة رقيقة مثل حبات السكر! كدت أفقدها من شدة البرد .

ييفيموفنا : كان الخوف يسيطر عليك ، يا رجل يا طيب ، إذا داهمتك ظلمة الليل فى الطريق . أمَا الآن الحمد لله ، ونعمة منه تجد على جانبى الطريق كثيراً من القرى ومساكن للفلاحين وكذا أماكن تقيك من تقلبات الجو ، لكن قبل ذلك لم يكن هناك مَنْ يقوم بالبناء! . كنت تمشى أكثر من مائة فيرست ولا تجد قرى ولا مساكن للفلاحين، ولا حتى تستطيع أن ترى قبضة يدك . فتضطر أن تنام على الأرض ...

كوزما : كم من السنوات ، أيتها السيدة وأنت تعانين فى هذه الدنيا؟

ييفيموفنا : في العقد الثامن ، يا عزيزى .

كوزما : في العقد الثامن! . هذا يعنى أنك تعديت الثمانين من العمر تقريبًا (وهو ينظر إلى بارتسوف) . إيه السعادة اللى أنا شايفها؟ (وهو يثبت نظره نحو بارتسوف) ـ السيد النبيل! .

يتعرف بارتسوف على كوزما ، ويتجه إلى ركن الحانة و يجلس على الدكة .

: مَنْ أرى ؟ سِيمنْ سيرجييتش ! . هو حضرتك ولاّ لأ ؟ وإيه المناسبة اللى جاءت بك فى هذه الحانة ؟ هل هذا مكان يليق بحضرتك ؟

بارتسوف : أسكت ! .

ميريك : (محدثًا كوزما) هو ده مين؟

كوزما : ده الشهيد التعيس (يتوجه بالقرب من الطاولة وهو فى حالة عصبية) وفين؟ فى هذه الحانة ، يا للعجب ! . وفي ثياب رثة !. سكران! . كم أصابنى الذعر والفزع ، يا إخوانى... انزعجت... (وهو يهمس إلى ميريك بصوت خافت) . إنه سيدنا النبيل ... إنه صاحب الأملاك ، سِيمن سيرجيبيتش، السيد النبيل بارتسوف ... انظر شكله عامل إزاى؟ لمَن يشبه الآن؟ يا سلام ... كيف وصل إلى هذه الدرجة من السكر ... هيا صب لى! . (يشرب) . أنا من قريته ، من قرية بارتسوفكا ، يمكن تكونوا سمعتوا عنها ، تبعد عن هنا بمائتى فيرست ، تابعة لمركز يرجوفسكى . كان أبوه يمتلك فلاحين أقنان ... واحسرتاه! .

ميريك : كان رجلاً غنيا؟

كوزما : كبير ...

ميريك : هل ضيع ثروة أبيه؟

كوزما : لا ، إنه القدر يا صديقى العزيز ... هذا السيد النبيل كان رجلاً غنيا كبيرًا ، لا يقرب الخمر ... (متحدثا لتيخون). غالبًا ما كنت تراه ، وهذا ما كان يحدث ، عندما كان يسافر بالقرب من هذه الحانة إلى المدينة . تصاحبه خيول أرستقراطية ، نشيطة . ومَزكبة فاخرة ـ من الدرجة الأولى! كان يمتلك خمس عربات تجر كل منها ثلاثة جياد ، يا أخى العزيز ... أتذكر من حوالى خمس سنوات مضت ، كان مسافرًا على العبارة ميكيشينسك وبدل من أن يدفع خمس كابييكات ، دفع روبلا ...ولم يطلب منى أو ينتظر باقى المبلغ على الإطلاق ... هذا ما كان يحدث بالضبط .

ميريك : يبدو وكأنه فَقَدَ عقله .

كوزما : هو لديه عقل ....إلا أن ما حدث له كان بسبب تخاذله!. وكثرة ما لديه من أموال . الأمر الأول ، يا شباب ، بسبب النساء... فقدْ عشق الحبيب الولهان واحدة من الحضر ، وخُيل له أنه لا يوجد أجمل منها على ظهر الأرض ... وقد أحبته حباً جماً. كانت من طبقة النبلاء. إنها لم تكن إنسانة فاجرة أو ما شابه ذلك ، ولكنها كانت إمرأة هوجاء... كثيرة الحركة! تلف وتدور! تخزر عينيها ، ودائمًا ما تضحك ، وتواصل الضحك طوال الوقت! . لا توجد ثـمة أى عقل ... السادة النبلاء يعجبهم هذا النوع ، فهى تُعد ذكية في نظرهم، أما من وجهة نظرنا نحن الفلاحون ـ لابد من أخذها من يدها وطردها من الدار ... حسنًا ... استحوذت على إعجابه – ولتذهب إلى الجحيم حياة الترف، إذ كان يذهب معها هنا وهناك يقضون أطيب الأوقات، إلخ ... فتارة يقضون الليل على ظهر مركب ، وأخرى كانوا يذهبون إلى حفلات عزف البيانو ....

بارتسوف : لا تحْكِ لهم ، يا كوزما! . لماذا؟ ما لهم وحياتى الشخصية؟

كوزما : اعذرنى سيادتك ، يا صاحب السعادة ، لم أقل إلا قليلاً جدًا ... لقد حكيت لهم ، وسأرى ما رأيهم... حكيت لهم قليلاً جدًا ، لأننى انزعجت ... انزعجت للغاية . صب لى . (يشرب)

ميريك : (يتحدث همسًا) . وهل هى أحبته؟

كوزما : (يتحدث همسا حتى يصل الصوت تدريجيا إلى الكلام العادى) : كيف لا تحبه؟ السيد النبيل ليس حاجة تافهة... لابد أن تحبه حبذا أنه يمتلك آلاف الديسياتين[13]، أما بالنسبة للفلوس ، فعنده من المال ما لا يحصى ولا يعد... وبالنسبة لشخصيته ، فهو رجل وقور ، صاحب مقام رفيع ولا يقرب الخمر ... وكان أى موظف كبير فى الدولة ، يتعامل معه باحترام ويأخذه من يده ، قائلاً له : «كيف حالكم؟ مع السلامة ، على الرحب والسعة » كما أفعل معك الآن ... (يمسك ميريك من يده) . ذات مرة فى المساء وأنا أمر عبر حديقة السيد النبيل... يا لها من حديقة يا أخى ، ياه! . حديقة شاسعة ... فعندما كنت أسير خفية، وجدتهما يجلسان على مقعد صغير ويُقبِّل كل منهما الآخر (ويمثل صوت القبلة) . وإذا قبلها مرة، قبلته هذه الحية مرتين ... وعندما كان يقبل يدها الصغيرة البيضاء، كانت تقبله هى ـ بكل حرارة ! . وتلتصق ، وتلتصق به هكذا ، كى تكون ... وتقول له أحبك يا سينيا[14]... ولكن سينيا، كإنسان شيطان ينتقل من مكان إلى آخر ويتباهى بالسعادة ...وبسبب تخاذله كان يعطى هذا روبلاً ، وذاك روبلين ... لدرجة أنه أعطانى نقودًا لشراء حصان. وأسقط ديون الجميع بكل سرور وفرح ...

بارتسوف : آه ! . لأى سبب تحكى لهم هذا؟ ليس لدى هذا الشعب أى شفقة ... إنه لشيء مؤلم! .

كوزما : أنا أحكى لهم قليلاً جدًا أيها السيد النبيل ! . إنهم يطلبون منى ذلك ! . لماذا لا أحكى لهم قليلاً جداً؟ حسنًا ، لن أحكى حتى لا أغضبك ... لن أحكى فلا يهمنى أمرهم ...

تُسمع أجراس عربة البريد

فيديا : لا تصرخ هكذا ، بالراحة ...

كوزما : أنا أحكى بالراحة ... لكن هو لم يأمرنى ... ما باليد حيلة... ليس هناك أكثر من هذا يستحق الحديث عنه. تم عقد القران - وانتهى الأمر ، خلاص ... ولم يحدث أكثر من ذلك. صُبّ لكوزما الذى لا يبغى أى منفعة ! (يشرب) أنا لا أحب إدمان الخمر! حدث بالضبط بعد عقد القران ، عندما جلس السادة النبلاء لتناول العشاء ، همت وهربت بسرعة فى عربة الخيول الفاخرة (ثم يتكلم همسًا) وبهدوء انطلقت إلى المدينة لعشيقها المحامى ... أه! أى إمرأة هذه؟ فى تلك اللحظة من الممكن أن تقول ... بأن قتلها شوية !.

ميريك : (متأملاً) أيوه ... ما الذى حدث بعد ذلك؟

كوزما : ها هو قد فَقَدَ صوابه ... هكذا ، كما ترى ، أصبح مدمنًا للخمر لم يقلع عنه ويقولون إنه أصبح مثل النحلة الطنانة، فتارة يكون في حالة سكر ، وأخرى مثل النحلة الطنانة... إنه يحبها حتى وقتنا هذا ... انظر : مازال يحبها! . ولديه الرغبة فى أن يذهب سيرًا على الأقدام إلى المدينة كى يلقى نظرة صغيرة عليها... يلقى نظرة فقط ويعود مرة أخرى ...

تقترب عربة البريد من الحانة ويدخل موزع البريد ويتناول كأساً من الخمر

تيخون : لقد باتت عربة البريد تتأخر هذه الأيام .

يدفع موزع البريد الحساب ثم يخرج في صمت ويرحل مع سماع أجراس عربة البريد.

يُسمع من أحد الأركان صوت يقول: «فى مثل هذا الجو الممطر من السهل جدًا سرقة البريد»

ميريك : عشت على ظهر الدنيا خمسة وثلاثين عامًا ولم أسرق البريد ولو مرة .

وقفة قصيرة

رحلت عربة البريد الآن فى ساعة متأخرة ... الوقت متأخر ...

كوزما : أترغب فى أن تعانى من الأشغال الشاقة؟

ميريك : الناس يسرقون ، ولا يعانون . حتى ولو أن هناك أشغالاً شاقة (يقول بحدة) ثم ماذا؟

كوزما : أأنت تقصد الكلام عن سيء الحظ هذا؟

ميريك : عن من غيره إذن؟

كوزما : الأمر الثانى ، يا إخوانى الذى كان سببًا فى إفلاسه - هو صهره، زوج أخته ... فقد كلف يومًا زوج أخته بإيداع مبلغ ثلاثين ألفًا فى البنك ... إلا أن هذا الصهر كان يحب أن يأخذ فقط ... ومن المعروف أنه كان محتالاً ، ولا يعرف فقط غير مصلحته وكالخنزير لا يهتم أبدًا بأى شيء آخر... استولى على النقود ولم يودعها فى البنك ... وأعطاه صاحبنا الثلاثين ألفًا بالتمام والكمال . (يتنهد) . وبهذا فهو إنسان أحمق يعانى من الغباء والشقاء. أما الزوجة فأنجبت أطفالاً غير شرعيين من عشيقها المحامى . وصهره اشترى ضيعة بالقرب من بالتافا[15] ، وصاحبنا هذا كالغبى يتردد على الحانات ويشتكى قائلا: «فقدت، يا إخوانى الثقة! لا أثق الآن فى أحد!» لقد خارت عزيمته! لكل إنسان مصيبته الخاصة به ، فهذه الحية تمص دمه ، وهل هذا سبب فى أن يقدم على شرب الخمر؟ خذ ، على سبيل المثال فها هى الزوجة تمكنت من معاشرة عشيقها المحامى معلمها فى وضح النهار ، في الوقت نفسه جعلت الزوج الذى كان من علية القوم يبدد أمواله على الخمر، وقد جعل من نفسه أضحوكة يعانى من الإدمان ... والنحافة ...

تيخون : (يتنهد) يا لها من قوة قد أعطاها الله لهذا الرجل .

كوزما : صحيح أن القوة تكون متعددة ... أليس كذلك ؟ كم علىّ أن أدفع لك؟ (يدفع الحساب) خذ الحساب كله ! الوداع ، يا شباب ! تصبحوا على خير ، أحلاما سعيدة ! حان الوقت أن أسرع ... كى أقوم بتوصيل الداية من المستشفى إلى السيدة النبيلة... أغلب الظن انها ملت الانتظار غاضبة ومبلولة من المطر ... (يخرج مسرعًا).

تيخون : (بعد وقفة قصيرة) يا هذا! ما اسمك؟ إنسان تعيس ، تعال واشرب! (يصب له كأسا).

بارتسوف : (يقترب فى تردد من الطاولة ويحتسى الخمر) . يعنى ، الآن ، أنا مدين لك بكأسين .

تيخون : أى دين هنا عليك أن تدفعه ؟ اشرب – وخلاص . أطفئ أحزانك بالخمر!

فيديا : اشرب ، أيها السيد النبيل ، على حسابى! آه! (يرمى خمس كابييكات على الطاولة) إذا شربت الخمر سوف تموت، وإذا لم تشرب الخمر سوف تموت أيضا. بدون الفودكا يكون كل شيء على ما يرام ، وأما بالفودكا والله ، فإنك تخلو من الهموم ! فعندما تشرب الفودكا سواء يوجد حزن أم لا ... فلا تشعر إلا بالحرارة!

بارتسوف : أف! أشعر بحرارة الفودكا !

ميريك : تعال هنا! (يأخذ من تيخون الميداليون ويتفحص الصورة) ممم ... بعد عقد القران هربت ... إنت إيه؟

يصدر صوت من ركن الحانة يقول : « صب له كأساً ، يا تيشا[16]، دعه يشرب على حسابى »

ميريك : (يرمى بقوة الميداليون على الأرض) يا لها من ملعونة! (يمشى بسرعة إلى مكانه ويرقد واضعا وجهه تجاه الحائط).

تسود الحانة حالة من الهرج

بارتسوف : ما هذا ؟ ما الذى حدث؟ (يلتقط الميداليون) كيف تجرؤ على هذا يا حيوان ؟ بأى حق تفعل هذا؟ (باكيا) هل تريد أن أقتلك؟ هه؟ يا فلاح ! يا جاهل!

تيخون : لا تغضب أيها السيد النبيل ... فالميداليون لم تنكسر فهى ليست من الزجاج ... اشرب كأسا آخر، ونم ... (يصب له الخمر) أنا هنا كى أطيعكم وأقوم على خدمتكم. كان لزاما علىّ منذ وقت طويل أن أغلق باب الحانة . (يتجه إلى الباب ويوصد الباب الخارجى)

بارتسوف : (يشرب) كيف يجرؤ؟ هذا الأحمق! (ثم يتحدث إلى ميريك) هل تفهم ؟ إنك شخص أحمق ، حمار!

سافا : ياشباب ! يا محترمون! عليكم بالتزام الصمت! ما الفائدة من إحداث هذا الصخب ؟ دعوا الناس تنام! .

تيخون : هيا ارقدوا ، هيا ارقدوا ...! سيصمتون ويجعلونك تنام ! (يذهب وراء الطاولة ويغلق الصندوق ، الذى به إيراد اليوم) حان الآن وقت النوم!

فيديا : حان وقت النوم (يرقد) أحلاما سعيدة ، يا إخوانى!

ميريك : (ينهض ويقوم بترتيب معطف قصير من الفرو على الدكة) تعال ، أيها السيد النبيل ، ونَم هنا .

تيخون : وأين ستنام أنت ؟

ميريك : فى أى مكان ... حتى ولو على الأرض ... (يفرش التلفيحة على الأرض) بالنسبة لى سيان (يضع بالقرب منه البلطة) أما بالنسبة له ، إذا نام على الأرض فسيتألم ... فقد تعوَد هو على الحرير وعلى القطن ...

تيخون : (مخاطبًا بارتسوف) اتفضل ، يا صاحب السعادة ! نَم. سوف تتطلع إلى الصورة فيما بعد (يطفئ الشمعة) اتركها الآن!

بارتسوف : (وهو يترنح) أين من المفروض أن أنام؟

تيخون : نَم مكان هذا المتسكع! يبدو ، كما سمعت ، إنه ترك لك المكان!

بارتسوف : (يقترب إلى المكان الذى تركه له) أنا ... يبدو أننى سكرت ... ما هذا؟ هل سأنام هنا؟ هه؟

تيخون : هنا ، هنا ، لا تخف ، نَم .. (يتمدد على طاولة الحانة)

بارتسوف : (يرقد للنوم) أنا ... سكران ... كل شيء حولى ... (يفتح الميداليون) هل عندك شمعة صغيرة ؟

وقفة قصيرة

: أنتِ يا ماشا مخلوقة رائعة الجمال ... أنتِ تتطلعى إلىّ من خلال هذا البرواز الصغير وتضحكين... (يضحك) وأنا سكران! وهل من الممكن الاستهزاء من السكران؟ أنتِ تستهزئى بى، عليكِ أن تحبينى ، حتى ولو كنت سكرانًا، كما يقول تشستليفيتس[17] ، أحبى السكران.

فيديا : يا لها من رياح شديدة تعوى ! فظيعة !

بارتسوف : (يضحك) يا لك من امرأة ... هل من المعقول أن تكونى قد ضليتى الطريق ؟ لا أحد يستطيع العثور عليك !

ميريك : إنه يهذى . يستمتع بالنظر إلى الصورة . (يضحك) يا ناس الموقف مُحرج! أيها السادة المتعلمون ، لقد اخترعتم العديد من الآلات والأدوية ، ولم يظهر بعد الإنسان الذكى الذى يبتكر دواءً ضد الجنس الناعم... يبحثون ، وكما لو كانوا قد عالجوا كل الأمراض ، أما هذا الدواء فمن الواضح أن أحداً لم يهتم به ولذا فإن عدد الذين يهلكون من الشعب بسبب النساء أكثر من ضحايا الأمراض... كم أنتم ماكرون ، حريصون على جمع المال ، قساة القلوب ، عديمو البصيرة ... فأم الزوج تُهلك زوجة الابن ، وزوجة الابن تسعى فى أن تغش زوجها لو استطاعت ... وهكذا بلا نهاية...

تيخون : يبدو أن النساء قد جذبته من شعره توبيخًا ، فها هو شعره ينتفش .

ميريك : لست أنا الوحيد ... فمنذ الأزل وإلى أن ينتهى العالم ، سيظل الناس تشكو ... فليس عبثًا وليس سدى أنه فى الحكايات والأغانى أن النساء ترتكب الخطايا ولهذا تساوت بالشيطان... هذه حقيقة حتى ولو نصفهن هكذا ، فهى حقيقة ...

وقفة قصيرة

ها هو السيد النبيل يقع فى حيص بيص ، أما أنا فهل أصبحت متشردًا فاقد العقل بعد أن هجرت أبى وأمى؟

فيديا : بسبب النساء؟

ميريك : وهكذا أصبحت مثل السيد النبيل ... وسرت كالشيطان، مسلوب العقل تمامًا ، أتظاهر بالسعادة... وكنت أعيش ليل نهار فى نار ، إلى أن جاء الوقت ، وفتحت عينى ... وأدركت بأن هذا لم يكن حبًا ، بل كان هذا شيئًا واحدًا فقط وهو الخداع ....

فيديا : ماذا فعلت بها ؟

ميريك : ليس هذا من شأنك ..

وقفة قصيرة

هل تعتقد بأننى قتلتها؟ لا حول لى ولا قوة ... إنها لا تستحق القتل ، ليست المسألة فى قتلها ، ولكن فى أن تشفق عليها ... تمنيت لها أن تعيش ... وأن تكون ... سعيدة! لم تر عيناى إلا أنتِ فقط ، ليتنى أنساكِ ، أيتها الحية الغدارة!

طرق على الباب

تيخون : : تبًا للشيطان الذى أرسلكم ... مَنْ الذى هناك؟

طرق

: مَنْ الطارق ؟ (ينهض ، ويقترب من الباب) مَنْ يطرق الباب؟ امشِ ، المكان مغلق!

(صوت من وراء الباب)

: «اسمح لى بالدخول ، يا تيخون ، لو سمحت لقد انكسر زنبرك عربة الخيول! ساعدنى وحياة أبوك! ولو نربطها بحبل صغير حتى نصل بأى طريقة ... »

تيخون : من هو المسافر معك ؟

(صوت من وراء الباب)

: «زوجة صاحب الأملاك تسافر من المدينة إلى فارسانوفييفا... لم يبق فقط سوى خمس فيرسات ... ساعدنى اعمل معروفا»!

تيخون : اذهب وقل للسيدة ، إذا أعطتنى عشرة روبلات ، سيكون هناك الحبل وسيتم إصلاح الزنبرك ...

(صوت من وراء الباب)

إنت اتجننت ولا إيه؟ عشرة روبلات! «يا لك من كلب مسعور! تفرح فى مصائب الناس!»

تيخون : وكن فى علمك ... أن لم تُرِد ، مش ضرورى ...

(صوت من وراء الباب)

حسنًا ، انتظر

وقفة قصيرة

: السيدة قالت «حسناً»

تيخون : أهلاً وسهلاً ! (يفتح الباب ويسمح للحوذى بالدخول) .

IV

نفس الشخصيات بالإضافة إلى الحوذى

الحوذى : مرحبًا يا أتباع المذهب الأرثوذكسى! هيا اعطنى الحبل! بسرعة ! يا شباب مَنْ الذى سيقوم بمساعدتى؟ وسوف يأخذ بقشيشًا!

تيخون : ليس هناك حاجة للبقشيش ... دعهم ينامون ، سوف نقوم بإصلاحها نحن الاثنان معًا.

الحوذى : أف ، إننى فى غاية التعب! الدنيا برد ، الطريق موحل بعد المطر ، لا يوجد مكان واحد جاف ... هناك شيء آخر ، يا عزيزى ... هل يوجد عندك هنا حجرة صغيرة ، لأن السيدة فى حاجة إلى الدفء لبعض الوقت ؟ وعربة الخيول مالت على جنبها ، ولا يمكن الجلوس فيها بأى حال من الأحوال...

تيخون : ليه السيدة فى حاجة إلى غرفة ؟ دعها تتدفأ هنا ، إذا كانت تشعر بالبرد الشديد ... سنجد لها مكانًا . (يقترب من بارتسوف ويقوم بتنظيف مكان بالقرب منه) من فضلك انهض ، من فضلك انهض! سيادتك سوف ترقد حوالى ساعة على الأرض ، حتى تتدفأ السيدة (مخاطبًا بارتسوف) لو سمحت انهض يا صاحب السعادة! اجلس هنا قليلاً (وينهض بارتسوف) ها هو مكانك.

الحوذى يخرج

فيديا : ها هى زبونة قد أحضرها لك الشيطان! لن تنام الآن حتى طلوع النهار.

تيخون : واأسفاه ليتنى طلبت منها خمسة عشر روبلاً ... وكانت ستعطينى إياها ... (يقف أمام الباب فى ترقب) كونوا أناسًا مهذبين ... ولا تتفوهون بكلمات ...

تدخل ماريا يجورفنا ومن خلفها الحوذى

V

نفس الشخصيات بالإضافة إلى ماريا يجورفنا والحوذى

تيخون : (وهو ينحنى احترامًا) أهلاً وسهلاً ، يا صاحبة السيادة! دارنا قروى به صراصير فلا تشمئزى !

ماريا يجورفنا : إنى لا أرىٰ شيئًا هنا ... إلى أين يجب علىَ أن أذهب؟

تيخون : إلى هنا ، يا صاحبة السيادة! (يقودها إلى مكان بالقرب من بارتسوف) إلى هنا ، أهلاً وسهلاً ! (ينفخ فى المكان لإزالة التراب عنه) معذرة ليس عندى حجرة مستقلة ولكن ، سيادتكم ، أرجو ألا ينتابكم أدنى شك : إن هؤلاء الناس طيبون ، ومسالمون ...

ماريا يجورفنا : (تجلس بالقرب من بارتسوف) يا له من جو خانق! افتحوا على الأقل الباب!

تيخون : سمعًا وطاعة يا سيدتى ! (يجرى ويفتح الباب على مصراعيه)

ميريك : الناس ترتجف من البرد ، وهم يفتحون الباب على مصراعيه! (ينهض ويغلق الباب بعنف) مَنْ هذه التى تعطى الأوامر ؟ (يرقد للنوم) .

تيخون : لا تؤاخذينى ، يا صاحبة السيادة ، عندنا واحد أحمق ... ، إنه عابر سبيل غريب الأطوار ... لكن لا تخافى سيادتك، لن يسيء إليكِ ... فقط لا تؤاخذينى ، يا سيدتى ، فأنا لم أوافق على أن آخذ عشرة روبلات ... بل خمسة عشر روبلاً ، إذا كان هذا ممكنًا.

ماريا يجورفنا : حسنًا ، ولكن على أن يكون بسرعة .

تيخون : حالاً ... سوف نقوم بعمل كل شيء في لمح البصر ... (يسحب من وراء الطاولة قطعة من حبل) . لحظة واحدة...

وقفة قصيرة

بارتسوف : (يمعن النظر فى ماريا يجورفنا) مارى ... ماشا[18]...

ماريا يجورفنا : (ناظرة إلى بارتسوف) فيه إيه تانى؟

بارتسوف : مارى ... أأنت مارى؟ من أين جئت؟

عندما تعرفت ماريا يجورفنا على بارتسوف ، أطلقت صيحة عالية ثم وثبت فى منتصف الحانة.

: (ويسير خلفها قائلاً) ماري ، ها هو أنا ... أنا (يقهقه) زوجتي! ماري! لست أدري أين أنا؟ يا ناس ، بصيصًا من النور!

ماريا يجورفنا : ابتعد من هنا! إنك تكذب ، إنه لست أنت! مستحيل! (تخفي وجهها بكلتا يديها) هذا كذب ، وغباء!

بارتسوف : الصوت ، الحركات ... ماري ، إنه أنا ! الآن سوف أكف.... أنا سكران ... أشعر بدوخة في رأسي.. يا إلهي! مهلاً ، مهلاً ... أنا لا أفهم أي شيء . (يصرخ) إنها زوجتي! (يركع تحت قدميها وينتحب)

يتجمع بالقرب من الزوجين لفيف من النزلاء

ماريا يجورفنا : ابتعدوا بعيداً ! (ثم تخاطب الحوذي) يا دنيس ، لابد وأن نرحل! لا أستطيع أن أبقى هنا أكثر من ذلك!

ميريك : (وثب وأخذ يمعن النظر في وجهها ، بنظرة ثاقبة) الصورة! (يمسكها من يدها) يا ناس هي نفسها! آه ، إنها زوجة السيد النبيل!

ماريا يجورفنا : اغرب بعيدًا عني ، يا فلاح ! (تحاول أن تخلص يدها منه) يا دنيس ، مالك ، تنظر هكذا ولم تفعل شيئًا ؟

دينيس وتيخون يهرعان إليها ويتأبطا ميريك

: هذا وكر لصوص! اترك يدي! أنا لا أخاف ... ! ابتعد عن هنا!

ميريك : انتظرى ، سوف أتركها الآن ... بل دعينى أقول لك كلمة واحدة فقط ...كلمة واحدة ، كى تفهمى ... مهلاً ... (وهو يلتفت إلى تيخون ودينيس) ارفعوا أيديكم عنى، أيها الأجلاف ، لا تمسكانى ! لن أتركها ، حتى أقول كلامى! مهلاً ... الآن (يضرب جبينه بقبضة يده) لا ، الرب لم يعطنى عقلاً! لا أستطيع أن أجد الكلمة التى تتناسب مع هذه الورطة!

ماريا يجورفنا : (تخلص يدها منه) اذهب من هنا حالاً! سكارى ... هيا نرحل من هنا يا دينيس! (وهى تريد أن تذهب صوب الباب).

ميريك : (يحجب عنها الطريق) . هيا ، انظرى إليه ولو نظرة واحدة! عامليه بلطف حتى ولو بكلمة حنان واحدة ، أستحلفك بالله!

ماريا يجورفنا : ابعدوا عنى هذا ... المجنون .

ميريك : فلتذهبى إلى الجحيم ، أيتها الملعونة ، تبا لك! (يلوح بالبلطة)

يحدث اضطراب شديد . ينتفض الجميع من أماكنهم بالضجيج وصيحات الفزع ويقف سافا ما بين ميريك وماريا ...

ويدفع دينيس بكل قوة ميريك بعيداً وتخرج السيدة النبيلة من الحانة . ثم بعد ذلك يقف الجميع صامتين دون حركة وتستمر وقفة لمدة طويلة .

بارتسوف : (يمسك الهواء بيديه) مارى ... أين أنت ، يا مارى!



"بارتسوف" مع "ماريا يجورفنا" - زوجته الهاربة - بعد أن تعزف عليها

نازيروفنا : يا إلهى ، يا إلهى ... عذبتم روحى أيها القتلة! يا لها من ليلة ملعونة!

ميريك : (يخفض يده بالبلطة) قتلتها أم لا؟

تيخون : احمد ربنا ، بأن رأسك مازالت سليمة ...

ميريك : كان ولابد وأن أقتلها ... (يتمايل ، ويذهب إلى سريره) لم يمهلنى القدر أن أقتلها بالبلطة المسروقة... (ويسقط على فرشه ويجهش بالبكاء) . يا لها من كآبة ! . يا لها من كآبة شريرة تنتابنى! فلتشفقوا علىّ ، يا أتباع الكنيسة الأرثوذكسية !

تسدل الستار

* * * * * *

(الهوامش)

1. فيديا : صيغة التدليل لاسم فيودر . (المترجم)

2. الكادريل : رقصة لها أشكال متعددة ظهرت فى القرن الثامن عشر وظلت مشهورة حتى القرن التاسع عشر ويقوم بتنفيذها أربعة أو ثمانية راقصين وراقصات . (المترجم)

3. البولكا : تعد إحدى أشهر الرقصات التشيكية الشعبية من منتصف القرن التاسع عشر وذاع صيتها فى جميع أنحاء العالم . (المترجم)

4. فولاجدا : مدينة روسية ، وهى مدرجة ضمن المدن التاريخية فى روسيا ولها قيمة تاريخية كبيرة ، ومن معالمها كاتدرائية صوفيا وكاتدرائية المخلص ودير المخلص وغيرها ... وتبعد عن العاصمة موسكو حوالى 500 كيلو متر . (المترجم)

5. زادونسك : مدينة روسية تقع على نهر الدون وتتمتع بتقاليد روحانية متعلقة بالديانه المسيحية ، ويوجد بها العديد من الكنائس ، والأديرة ، وأيضاً كاتدرائية... ويوجد بها كنيسة تحمل اسم القديس تيخون زادونسكى (1724-1783) . (المترجم)

6. كوبان : منطقة بالجزء الشمالى لمنطقة القوقاز . (المترجم)

7. سافوشكا : اسم التدليل لسافا . (المترجم)

8. المسلفة : آلة تسوى بها الأرض للزراعة وغيرها . (المترجم)

9. عيد سباس : هو عيد التجلى عند المسيحيين وأيضاً عيد شعبى يحتفل به السلاف الشرقيون ، فى بداية الخريف وجرى العرف أن يحتفل به بعد ليلة 19 أغسطس ، حيث تبدأ برودة الجو ، وقبل هذا التاريخ لا يسمح بأكل التفاح أو الأطباق التى تحتوى على ثمرة التفاح . وفى يوم العيد يتم جنى محصول التفاح ويتم تقديمه للأقارب ولمن لا يمتلك شجر التفاح ، وتقدم فطائر التفاح ، ويقام الاحتفال بعد غروب الشمس بإنشاد الأغانى . (المترجم)

10. ميداليون : قلادة فى العنق من الذهب يوضع بداخلها صورة للذكرى . (المترجم)

11. فيرست : وحدة قياس قديم للأطوال يساوى 1060 متراً تقريباً . (المترجم)

12. ماديرا : نوع من الخمر ينسب إلى جزيرة ماديرا البرتغالية فى الجزء الشمالى للمحيط الأطلنطى الشمال الغربى لإفريقيا . (المترجم)

13. الديسياتينا : وحدة قديمة للمساحة فى روسيا تعادل 1.09 هكتار . (المترجم)

14. سينيا : اسم تدليل لسيمن . (المترجم)

15. بالتافا : مدينة روسية ، وبعد تفكك الاتحاد السوفيتى عام 1991 تقع الآن ضمن جمهورية أوكرانيا ، على ضفاف نهر فورسكلا . (المترجم)

16. تيشا : اسم التدليل لتيخون . (المترجم)

17. تشستليفيتس : أحد أبطال مسرحية «الغابة» (1870) للأديب ا. ن. استروفسكى (1828 ـ 1886) .

18. ماشا : اسم التدليل لماريا . (المترجم)

О ВРЕДЕ ТАБАКА

(1886)

عن مضار التبغ

(1886)

مشهد – مونولوج فى فصل واحد

ترجمة

نادية سلطان

عن مضار التبغ

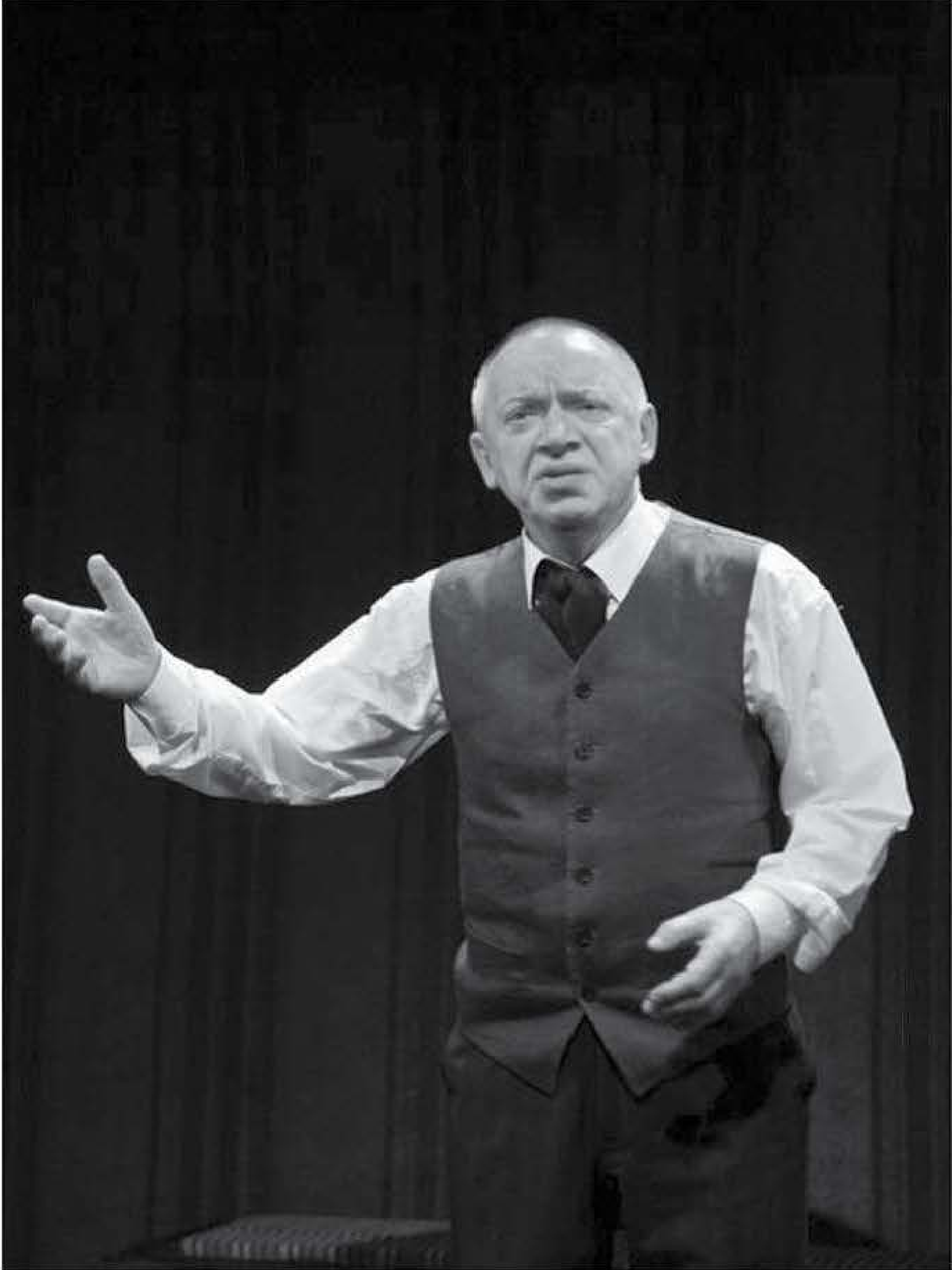
مشهد - مونولوج

شخصية المسرحية

ماركيل إيفانيتش نيوخين : زوج الست ، صاحبة مدرسة داخلية للبنات .

مشهد يعرض على خشبة مسرح أحد نوادى الأقاليم . يدخل نيوخين بعظمة ، يؤدى التحية با نحناءة ، ويهندم الصديرى الذى يرتديه ويبدأ المونولوج متصنعا العظمة

السيدات العزيزات ، والسادة الأعزاء! بناءً على طلب من زوجتى ، كان لابد أن ألقى محاضرة عامة هنا بقصد العمل الخيرى . فسعةُ إطلاعى المكتسبة فى الحقيقة متواضعة، ولا يحتاج التنويه إلى ذلك ، وحيث إنْ زوجتى قد وافقت على تحقيق هذا الهدف - فها أنا ذا أقف أمامكم . أنا لست بأستاذ جامعى . كما أننى بعيد كل البعد عن الدرجات العلمية، ولكن لا أستطيع أن أخفى سرًا على أحد منكم ، فأنا....فأنا... (يتردد وبسرعة يلقى نظرة على قطعة ورق صغيرة أخرجها من جيب الصديرى)... فأنا منذ أكثر من ثلاثين عاما لم أتوقف عن أن أضحى بصحتى من أجل خدمة الصالح العام ، وأناقش بدقة موضوعات ذات خصائص علمية وأحياناً أنشر مقالات علمية فى دورية محلية .... منذ أيام قدمت مقالة متميزة ذات حجم كبير إلى إدارة تحرير إحدى الصحف بعنوان «عن مضار مادة الكافين المنبهة الموجودة فى الشاى والقهوة على جسم الإنسان». وقد اخترت اليوم موضوع محاضرتى عن الضرر الذى يصيب البشرية لاستخدامها التبغ . وبالتأكيد إنه من الصعب تناول هذا الموضوع المهم بصورة مستفيضة فى محاضرة واحدة، ولكنى سأحاول أن أكون موجزاً ، فسوف أتحدث فقط عن أشياء ذات أهمية ... وكعدوٌ لمبدأ التبسيط ، سأتبع منهجاً علمياً دقيقاً . وأقترح عليكم أيضاً ، أيها السادة المستمعون ، بأنه لابد وأن تشعروا بشكل



بطل مسرحية "عن مضار التبغ"

عميق بأهمية الموضوع ، وعليكم أن تنصتوا إلى محاضرتى الآتية بمزيد من الاهتمام .... فمَنْ منكم لا يتمتع بعقل راجح ، ومَنْ يخاف جفاء ودقة الكلام العلمى ، فبإمكانه ألا يستمع إلى هذه المحاضرة وعليه أن يغادر المكان ... (يقوم بحركة إيمائية تدل على العظمة وهو يهندم الصديرى) . إذن ، سأبدأ...

أرجو الانتباه ... وبخاصة أرجو انتباه السادة الأطباء الحاضرين هنا الذين يمكنهم أن يستمدوا من محاضرتى هذه الكثير من المعلومات المفيدة ؛ لأن التبغ على الرغم من تأثيراته الضارة إلا أنه يُستخدم أيضاً فى الطب . وهذا ما حدث بالضبط . ففى العاشر من شهر فبراير من عام ألف وثمانمائة وواحد وسبعين وُصِفَ لزوجتى على شكل حقنة شرجية (وهو ينظر فى الوريقة) . فالتبغ هو مادة عضوية . يمكن الحصول عليها ، فى اعتقادى ، من نبات Nicotine Tabacum [1] ، الذى ينتمى إلى عائلة الصولانين Solaneae [2] . وهو ينمو فى أمريكا. ويدخل سم النيكوتين المهلك والمريع فى الجزء الرئيسى من تكوين التبغ . فهو كيميائيا ، فى اعتقادى ، يتكوّن من عشر ذرات من الكربون ، وأربع عشرة ذرة من الهيدروجين و... واثنتين ... من ذرات ... النتروجين ... (ينهج ويمسك بصدره ، وفى اللحظة نفسها تسقط الوريقة من بين يديه) . إنى فى حاجة إلى هواء! (وحتى لا يسقط على الأرض ، حافظ على توازنه بيديه وقدميه) . آه! الآن! دعونى ألتقط أنفاسى... الآن... فى هذه اللحظة... أستطيع بقوة الإرادة أن أوقف هذه النوبة... (وهو يضرب صدره بقبضة يده). كفى! أف!

يتوقف لمدة دقيقة ، وأثناء ذلك يمشى على خشبة المسرح وهو ينهج .

منذ فترة طويلة ... وأنا أُعانى من نوبات اختناق ... من داء الربو ... ظهر عندى هذا المرض فى الثالث عشر من سبتمبر عام ألف وثمانمائة وتسعة وستين ، ... فى ذات اليوم الذى وضعت فيه زوجتى ابنتها السادسة فيرونيكا[3]... فلدى زوجتى تسع بنات بالتمام .... وليس عندها أولاد – حتى ولو ولد واحد ، مما جعل زوجتى فى قمة السعادة ، كما أن وجود أولاد فى مدرسة داخلية للبنات يصبح فى كثير من الأحيان أمرًا غير مريح ... فى هذه المدرسة الداخلية لا يعمل فيها سوى رجل واحد ـ هو أنا .... ومع ذلك فإن العائلات المرموقة والتى تحظى باحترام كبير ائتمنت زوجتى على مستقبل أطفالهن ، وبالنسبة لى أيضًا تستطيع أن تكون مطمئنة عليهن تمامًا ... وعلى أية حال ... ونظرًا لضيق الوقت ، فلن أستطيع أن أخرج عن موضوع المحاضرة ... حسنًا ، أين توقفت . أف! نوبة داء الربو كانت سببًا فى توقفى عن الكلام أثناء حديثى عن نقطة مهمة جدًا . ولكن رب ضارة نافعة . فبالنسبة لى ، وبالنسبة لكم ، وبالنسبة لجميع الحاضرين هنا من السادة الأطباء خاصة ، فهذه النوبة من الممكن أن تكون بمثابة درس عملى رائع . ففى هذا العالم الذى نحياه ليس هناك

أحداث دون سبب ... فلنبحث إذن سبب النوبة التى حدثت لى اليوم.... (يضع إصبعه على جبينه ويفكر).

حسنًا! فالوسيلة الوحيدة للعلاج من داء الربو هو – الامتناع عن أكل الطعام الدسم والمنبهات ، فقبل مجيئى إلى هنا لإلقاء هذه المحاضرة، فقد سمحت لنفسى بالاسراف إلى حد ما فى الأكل . والجدير بالذكر، عليكم أن تعرفوا ، أن فى هذه المدرسة الداخلية التى تمتلكها زوجتى كان سيتم اليوم تقديم شرائح من البلينى[4] ، ولكن بدلاً من أن تأكل كل فتاة طبقاً لما هو متبع من وجبة ساخنة أثناء وجبة الغداء، سوف تعطى لكل منهن فطيرة واحدة . فأنا زوج الست ، وعلى ما يتراءى لى ، لم أقصد عنوة أن أثنى على هذه الشخصية النبيلة ، ولكن أقسم لكم ، أنه لا يوجد فى أى مكان آخر يقدم فيه طعام بطريقة مفيدة ، وصحية ، ومناسبة مثلما يحدث فى المدرسة التى تمتلكها زوجتى. فأنا شخصياً أستطيع أن أشهد على هذا ، لأن مدرسة زوجتى الداخلية ، والتى يشرفنى بأن أكون رئيسا إدارياً للشؤون الاقتصادية ، فأنا الذى أشترى المواد الغذائية ، وأراقب الخادمة للتأكد من أعمالها ، وأقدم كل مساء ملف حساب لزوجتى ، وأخيط الكراسات ، كما يجب على أيضا شراء المبيدات الحشرية ، وأطهر الهواء برش مبيد الحشرات ، وأحصى المفروشات، وأتابع كيف أن فرشة أسنان واحدة لا تستخدمها أكثر من خمس تلميذات، ومنشفة واحدة لا تستخدمها أكثر من عشر بنات . واليوم دخل فى نطاق واجباتى أن أعطى بكل دقة الطاهية كمية الدقيق والزيت بالقدر الذى يتناسب مع عدد النزيلات فى المدرسة الداخلية. وعلى هذا النحو تم اليوم طهى شرائح فطائر البلينى . ينبغى عليكم أن تعرفوا ، أن شرائح الفطائر هذه خصصت لنزيلات المدرسة فقط .

أما فيما يتعلق بأفراد اسرة زوجتى فقد تم طهى طبق من الطعام الساخن ، يتكون من المؤخرة الخلفية من لحم البتلو، تلك التى كانت محفوظة فى القبو[5] منذ يوم الجمعة الماضى . فقد قررت أنا وزوجتى ، ضرورة طهى هذا الفخذ من اللحم اليوم ، لأنه إذا ترك إلى الغد فمن الممكن أن يفسد ولن يصلح للأكل. لم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل إلى أبعد من ذلك . فهلا استمعوا إلى ما حدث فيما بعد! فعندما تم الانتهاء من تجهيز شرائح الفطائر وإحصاء عددها ، أرسلت إلىَ زوجتى فى المطبخ تقول: بأن خمس تلميذات قد تم معاقبتهن لسلوكهن السيء وذلك بحرمانهن من شرائح الفطائر .

وبهذه الصورة اتضح بأنه تم طهى خمس فطائر زائدة . ما العمل ؟ ، وما عساى أن أفعل بها؟ وكيف أتصرف بشأنها؟ هل أعطيها لبناتى؟ ولكن زوجتى تمنعهن من أكل العجائن . حسنًا ، ماذا تعتقدون ؟ كيف أتصرف فى هذه الفطائر؟ (يتنهد ويهز رأسه) آه يا قلبى! يا لطيف! قالت زوجتى : «فلتأكل أنت شرائح الفطائر هذه ، يا ماركيشا[6]!». طبعًا! أكلتها ، وقد شربت كأسا من الفودكا مسبقاً . هذا هو سبب النوبه التى أصابتنى

Da ist der Hund begraben[7]، ولكن ، ومع ذلك ... (ينظر إلى ساعته) لقد أفرطنا فى الكلام ، وانحرفنا قليلاً عن لب الموضوع ... سوف نكمل الآن .... هكذا فإن النيكوتين كيميائيًا يتكون من ... من... (يفحص بعصبية فى جيوبه ويبحث بعينه عن الوريقة) إنى أقترح عليكم أن تتذكروا هذه الصيغة.... الصيغة الكيميائية – التى ستكون بمثابة النجم الهادى لكم ... (عندئذ يرى الوريقة على الأرض فيرمى عليها منديلاً، ثم يرفع الوريقة والمنديل معًا.) لقد نسيت أن أخبركم ، أن فى المدرسة الداخلية التى تمتلكها زوجتى بالإضافة إلى رئاستى للشؤون الاقتصادية ، فقد ألقىَ على عاتقى تدريس المواد التالية : الرياضة ، والفيزياء ، والكيمياء، والجغرافيا ، والتاريخ ، واستخدام وسائل بصرية للتعلم . بالإضافة إلى هذه العلوم ، ففى مدرسة زوجتى يتم تدريس كل من اللغات: الفرنسية ، والألمانية ، والإنجليزية ، ومادة الديانة المسيحية ، وشغل الإبرة ، والرسم، والموسيقى ، والرقص ، وفن آداب السلوك.

كما ترون أن هذه الدروس مجتمعة تعد أكثر من تلك التى تدرس فى المدارس الثانوية، بالإضافة إلى الاهتمام بالطعام! وإلى قضاء وقت الراحة! والذى يدعو إلى الدهشة ، أن كل هذا إزاء أجر زهيد جداً ! فالنزيلات التى تتمتعن بالإقامة الكاملة تدفعن ثلاثمائة روبلاً ، والتى بنصف إقامة – مائتين روبلاً ، والتى بدون إقامة – مائة روبلاً . وفيما يخص مصروفات أنشطة الرقص ، والموسيقى والرسم فتُدفع منفصلة وذلك بالاتفاق مع زوجتى... يا لها من مدرسة داخلية رائعة! وهى تقع على ناصية شارع كاشاتش وعطفة بيتيسابتشى بمنزل الملازم أول ماماشيتشكين . ومَن يرغب فى التحدث مع زوجتى فمن الممكن أن يجدها فى أى وقت فى المنزل ، ويباع أيضاً برنامج المدرسة الداخلية لدى البواب مقابل خمسين كابييكا للنسخة الواحدة . (ينظر فى الوريقة) . ولذا ، فإنى أدعوكم إلى أن تتذكروا هذه الصيغة!. بأن النيكوتين يتكون كيميائياً من عشر ذرات من الكربون ، وأربع عشرة ذرة من الهيدروجين وذرتين من النيتروجين . فلتتفضلوا بتدوين ذلك . فالنيكوتين هو عبارة عن سائل عديم اللون ذى رائحة أمونيومية . فى الحقيقة ، إنه من المهم بالنسبة لنا هو التأثير المباشر للنيكوتين (وهو ينظر إلى علبة النشوق) على المراكز العصبية وعضلات القناة الهضمية . آه يا إلهى! مرة أخرى قمن بملئ علبة النشوق بشيء ما! (يعطس) . آه ، ماذا يجب عمله تجاه تلك الصبايا الصغيرات المزعجات ، الخبيثات ؟. بالأمس وضعن بودرة الزينة فى علبة النشوق ، التى أصبحت اليوم ذات رائحة حادة (يعطس ثم يحك أنفه) . إيه كم هى كريهة ! لا أعرف ماذا يفعل بى هذا المسحوق فى أنفى . برررر!... كم هن مزعجات، مقرفات! فربما ترون فى هذا السلوك قصورًا فى الانضباط الصارم فى مدرسة زوجتى الداخلية . لا ، أيها السادة الأعزاء ، ليس هنا خطأ المدرسة الداخلية . لا! لكن هذا هو خطأ المجتمع! إنه خطؤكم أنتم! فالأسرة يجب أن تسير جنبًا إلى جنب مع المدرسة ، وفى هذه الأثناء ماذا نرى؟ (يعطس) . ولكن ، ما علينا ، سننسى هذا الموضوع! (يعطس) . سننساه .

فالنيكوتين يؤدى إلى حالة تشبه تشنج بالمعدة والأمعاء ، أى ما يسمى بالتيتانوس[8].

وقفة قصيرة

على كل ، فأنا ألاحظ الابتسامات تعلو الوجوه . ويبدو ، أن ليس كل المستمعين يقدرون جيداً الأهمية الكبرى لهذه المحاضرة المثيرة للاهتمام . وهناك أيضاً هؤلاء الذين يعتبرون أن الذى يقال من أعلى المنصة والذى يتضمن حقائق تكشف عن علم دقيق من الممكن أن يكون مضحكا . (يتنهد) . طبعاً ، أنا لا أجرؤ أن ألومكم... ولكن دائمًا ما أقول لبنات زوجتى هكذا: «بناتى لا تتهكمن على شيء ، ولا تتعدين حدود الضحك!» (يعطس) . فلدى زوجتى تسع بنات . أكبرهن هى آنا ، وتبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً ، وأصغرهن فى السابعة عشرة . أيها السادة الأعزاء! إن كل السمات الإيجابية الموجودة فى هذا العالم كالجمال والنقاء والنبل ، من الممكن أن تجدها مجتمعة فى تلك الصبايا العفيفات التسع ، فهن مخلوقات طاهرات ، لا شائبة عليهن . اعذرونى لهذا الاضطراب ، وتلك الرجفة التى فى صوتى : وكما ترون يقف أمامكم أحد أسعد الآباء . (يتنهد) . فمن الصعب أن تتزوج الفتيات فى وقتنا هذا. إنه لأمر صعب للغاية ! فمن السهل أن تجد نقوداً إذا قمت برهن ثلث عقارك عن أن تجد زوجا ولو لإحدى البنات . (يهز رأسه) . آه ، يا شباب ، يا شباب! وبعنادكم هذا ، ونزعاتكم المادية تحرمون أنفسكم من أحلى متعة ، ألا وهى متعة الحياة الأسرية! ما أروع هذه الحياة ! لقد عشت مع زوجتى ثلاثة وثلاثين عاماً ، وأستطيع أن أقول ، إنها أفضل سنوات عمرى . لقد مرت هذه السنون وكأنها أسعد لحظات حياتى مرت كلمح البصر . (يبكى) . كثيراً ما كنت أكدر صفو حياتها بضعفى ! يا لها من مسكينة! على كل حال نلت العقاب باستكانتى لها ، ولكن كيف أستطيع أن أعوضها بما تسببت لها من غضب؟

لم تتزوج بنات زوجتى بعد وستبقى هكذا لمدة طويلة . وذلك يرجع لأنهن شديدات الحياء ، وأيضاً بسبب أن الشباب لا يجدون الفرصة لرؤيتهن . فزوجتى لا تستطيع أن تقيم الحفلات ، ولا تستطيع أن تدعو أحداً لتناول الغداء ، ولكن .... أستطيع أن أفشى لكم سراً (يقترب من أضواء المسرح الأمامية ويهمس): ولكن من الممكن أن تروا بناتى فى الأعياد الكبيرة عند الخالة ناتاليا سيميونافنا زافيرتيوخينا ، التى تعانى من داء الصرع ، وهمها الوحيد هو جمع العملات النقدية القديمة . وهناك أيضاً توجد المقبلات . ولكن نظراً لضيق الوقت ، فلن نبتعد عن لب الموضوع . لقد توقفت عند التيتانوس . على أية حال (ينظر إلى الساعة) ، إلى اللقاء فى المرة القادمة! (يهندم الصديرى وبعظمة يغادر المسرح).

*****

(الهوامش)

1. Nicotine Tabacum : النوكتين : مادة سامة فى التبغ . (المترجم)
2. Solaneae : الصولانين : مادة شبه قلوية سامة . (المترجم)
3. فيرونيكا : اسم زهرة . (المترجم)
4. البلينى : رقائق فطائر من اللبن والدقيق تحمر فى الزبدة وتحشى بالجبن أو المربى والعسل وأشباهه . (المترجم)
5. القبو : مخزن تحت الأرض تنخفض حرارته فى الصيف فيحفظ فيه الجبن والزبد والفواكه وغيرها . (المترجم)
6. ماركيشا : صيغة التدليل لاسم ماركيل . (المترجم)
7. Da ist der Hund begraben : باللغة الألمانية ، وتعنى هنا بيت القصيد . (المترجم)
8. التيتانوس (tetanus) : الكزاز : مرض التقلص العضلى المستمر . (المترجم)

ЛЕБЕДИНАЯ ПЕСНЯ
(КАЛХАС)
(1887)

أنشودة البجعة
(كالخاس)
(1887)

ترجمة
نادية سلطان

أنشودة البجعة

(كالخاس)[1]

مشهد درامى فى فصل واحد

شخصيتا المسرحية

فاسيلى فاسيليتش سفيتلافيدوف : ممثل كوميدى ، رجل عجوز يبلغ من العمر ثمانية وستين عامًا

نيكيتا إيفانيتش : ملقن فى المسرح ، رجل مسن

يجرى الحدث على خشبة مسرح ريفى ، ليلاً ، بعد انتهاء المسرحية . مسرح ريفى خال غاية في البساطة . على اليمين ممر به أبواب مرصوصة مدهونة على نحو غير متقن ، تؤدى إلى غرف الماكياج والملابس بالمسرح ، وعلى اليسار من وسط المسرح تتناثر القمامة . ويوجد وسط خشبة المسرح كرسى مقلوب بلا مسند أو ذراعين .ـ حل الليل . يسود الظلام .

I

(يرتدى سفيتلافيدوف ملابس كالخاس وفى يده شمعة صغيرة ، وهو يخرج من غرفة الماكياج بالمسرح ، وينفجر من الضحك) .



"فاسيلى سفيتلافيدوف" بطل مسرحية "أنشودة البجعة"



"فاسيلى سفيتلافيدوف" مع "نيكيتا إيفانيتش" الملقن

سفيتلافيدوف : إيه الحكاية ! يا عينى علىّ ، إيه الموضوع ! يبدو أنّ النعاس قد غالبنى فى غرفة الماكياج ! فالمسرحية انتهت منذ فترة طويلة ، وانصرف الجميع من المسرح ، بينما أنا أطلق الشخير بهدوء وعلى وتيرة واحدة . آه ، يبدو أننى أصبحت رجلاً ضعيفًا ، عجوزًا خرفًا ! يا لنى من كلب عجوز! هذا يعنى ، بأننى سكرت، وغالبنى النعاس عندما كنت جالساً ، أثنى على نفسى وأدعى بأننى ذكى! آه يا إلهى .. (ينادى على شخص يدعى يجوركا) يجوركا! يجوركا، إيه اللى جرى للدنيا ! ثم ينادى على، بتروشكا، يبدو أن الشيطانين قد ناما . هل أصابكما الخرس كما فى حكايات مئات الشياطين وساحرة واحدة ، عليكما اللعنة! يا يجوركا! (يرفع الكرسى من على الأرض ، ويضعه فى الوضع الصحيح) يجلس عليه ويضع الشمعة على الأرض ولا يسمع شيئًا قط... سوى صدى الصوت ... يجوركا وبتروشكا أخذا منى اليوم بعد جهد جهيد ثلاثة روبلات – لقد اختفيا ولن تجد لهما أثرًا ... خرجا، وربما الوغدان قد أغلقا المسرح ... (وهو يهز رأسه) يبدو أننى ثـمل! أف! كم بذلت اليوم مجهودًا من أجل حفل التكريم الذى أقيم من أجلى ، فمرة أشرب الخمر وأخرى أحتسى البيرة ، يا إلهى ! كل جسمى يحترق بسبب شرب الخمر ، وكأن حربًا ضروساً قد باتت فى فمى ... وتفوح من فمى رائحة كريهة ... يا له من شيء مقرف ...

فترة صمت

يا لها من حماقة ... يبدو أننى سكرت ، يا لنى من رجل عجوز أحمق ، ولا أعرف سبب السعادة التى تنتابنى ... أف ، يا الهى ! أشعر بوجع أسفل ظهرى، وأن رأسى ينفجر من شدة الألم ، وبقشعريرة فى كل جسمى ، وكأن الحمى قد أصابتنى ، أما فى أعماق نفسى أشعر بظلمة الدنيا وبرودة الجو كما لو كنت فى القبو . فإن كنت قد أفرطت فى صحتى، فيا ليتنى أرحم شيخوختى... يا لك من مهرج يا إيفانيتش ...

فترة صمت

آه من الشيخوخة ... مهما راوغت وتظاهرت بالشجاعة ومهما تغابيت أوعانيت من الحياة فقد بلغت من العمر الثامنة والستين... يا للاّ خلاص ، على الدنيا السلام! لن تستطيع العودة إلى الوراء ... شربت جل قنينة الخمر ولم يبق فيها سوى القليل جدًا فى قاع الزجاجة ... هكذا ـ تسير الأمور يا فاسيوشا[2] ... رغبتُ ـ أم لم أرغب ، فقد حان الوقت لإجراء بروفات على دور الميت . فالموت ليس ببعيد ، يا ربى .... (ثم نظر أمامه) على الرغم من أننى مثلت على خشبة المسرح هذه خمسة وأربعين عامًا إلا أننى الآن أرى المسرح ليلاً ، وكأننى أراه للمرة الأولى ... نعم ، للمرة الأولى ... أليس من العجيب أن يفترسك المسرح كما يفترس الذئب الشاة ... (يقترب من أضواء المسرح الأمامية) لا يرى شيئًا ... حسنًا ، ها هى كمبوشة الملقن التى من الصعب رؤيتها ... وها هى المقصورة الأمامية فى المسرح ، وها هو حامل النوتات ... أما الظلام فيغطى الأشياء الأخرى!

ها هى حفرة سوداء لا قرار لها ، تشبه القبر تمامًا ، حيث يختبئ فيها الموت ... برررر ! ... يا له من جو قارس البرودة!.... إننى أشعر بالبرد! الهواء يهب من القاعة ، كأنما يهب من ماسورة المدفأة الحائطية... هذا هو المكان الحقيقى لتحضير الأرواح ! يا له من شيء مرعب ، يا نهار أسود ... بدنى يقشعر من الخوف ، لقد هربا ... (ينادى بصوت عال) يجوركا! بتروشكا! أين أنتم أيها الشياطين؟ ياربى ، ما هذا ، لماذا أذكر اسم الشيطان هذا؟ آه ، يا إلهى ، دعك من هذه الكلمات ، فلتكف عن شرب الخمر ، ها أنا أصبحت طاعنًا فى السن وقد حان الوقت لأفارق الحياة... عندما يبلغ الناس الثامنة والستون من العمر ، فإنهم يذهبون لتأدية صلاة الفجر ، يتأهبون لقضاء نحبهم ، أما أنت ... آه ، يا إلهى ، لماذا أقول تلك الكلمات الشريرة، ما هذا الوجه الدميم الثمل الذى وصل إلى أقصى حالات السكر ، ما هذا الثوب البهلوانى الذى أرتديه ... وببساطه من الأفضل ألا أنظر إلى نفسى ! سوف أذهب بأقصى سرعة... لأرتدى ملابس أخرى ...إننى أشعر بخوف عظيم !

يبدو أننى مكثت هنا طوال الليل ومن الممكن أن أموت من الخوف ... (ثم يمضى إلى حجرة الملابس) ، فى الوقت نفسه يظهر نيكيتا إيفانيتش مرتديًا ثوبًا أبيض اللون يخرج من داخل غرفة الملابس إلى وسط المسرح .

II

سفيتلافيدوف : (عند رؤيته نيكيتا إيفانيتش ، يطلق صرخة ويتراجع إلى الوراء) مَنْ أنت؟ لماذا؟ من أنت؟ (يضرب الأرض بقدميه) مَنْ أنت ؟

نيكيتا إيفانيتش : ها أنا يا سيدى !

سفيتلافيدوف : مَنْ أنت؟

نيكيتا إيفانيتش : (يقترب منه ببطء) إنه أنا يا سيدى! ... الملقن ، نيكيتا إيفانيتش... يا فاسيليى فاسيليتش إنه أنا يا سيدى! ...

سفيتلافيدوف : (جلس على الكرسى متعبًا من شدة الإعياء يتنفس بصعوبة وبدنه كله يرتعد) يا إلهى! مَنْ هذا؟ أنت ... أنت نيكيتوشكا[3] ...ل ... ما ... لماذا أنت هنا؟

نيكيتا إيفانيتش : أنا أقضى الليل هنا يا سيدى فى حجرة الملابس ... هلاَّ أسديت لى معروفاً من فضلك ، ألا تبلِّغ السيد ألكسى فاميتش ... فأنا لا أجد مكاناً آخر أقضى فيه الليل ، صدقنى والله يا سيدى ...

سفيتلافيدوف : إنه أنت نيكيتوشكا ... آه يا آلهى ! يا ربى ! قاموا بتحيتى ست عشرة مرة! وقدموا لى ثلاث باقات من الزهور هدية ، وأشياء أخرى كثيرة... لشدة إعجابهم بى ، ولكن لم يكن هناك أحد ما يوقظ هذا الرجل العجوز الثمل ويحمله إلى البيت ... أنا أصبحت رجلاً عجوزًا ، يا نيكيتوشكا ... وبلغت من العمر ثمانية وستين عامًا... عليلاً ! أصبحت إنسانًا بلا إرادة (يرتمى على ذراع نيكيتوشكا ويجهش بالبكاء) ... لا تذهب عنى وتتركنى يا نيكيتوشكا ... لقد أصبحت عجوزًا ضعيفًا ، ينبغى أن أموت ... أنا خائف ، أنا خائف!..

نيكيتا إيفانيتش : (بكل رقة واحترام) الآن عليكم الذهاب إلى المنزل يا سيدى فاسيليى فاسيليتش !

سفيتلافيدوف : لن أذهب إلى المنزل ! ليس لدى منزل ، ـ لا ، لا ، لا !

نيكيتا إيفانيتش : يا ربى! يبدو أنكم نسيتم ، أين تعيشون!

سفيتلافيدوف : لا أريد الذهاب إلى هناك، لا أريد ! كنت أعيش بمفردى... لا يوجد أحد لدىَ هناك يا نيكيتوشكا ، ليس لدى أقارب، ولا توجد هناك حتى زوجة عجوز ، ولا أطفال صغار... فأنا وحيد ولا أنيس لى ... وعندما أموت لن يتذكرنى أحد ... أشعر بالخوف من وحدتى في المنزل... هناك لا تجد مَنْ يواسينى أو يحيطنى بالعناية والرعاية ، أو يضعنى وأنا الثمل فى الفراش ... لمن أنا؟ مَنْ يحتاج إلى؟ مَنْ يحبنى؟ لا أحد يحبنى ، يا نيكيتوشكا!

نيكيتا إيفانيتش : (من خلال الدموع) الجمهور يحبك يا سيدى ، يا فاسيليى فاسيليتش!

سفيتلافيدوف : الجمهور انصرف ، والآن هو نائم ، ونسى تمامًا مهرجه ! لا ، لا يحتاج إلى أحد ، ولا أحد يحبنى ... ليس لدى زوجة ، ولا أبناء صغار ...

نيكيتا إيفانيتش : ياه ، ما الذى يحزنك ...

سفيتلافيدوف : أليس أنا بإنسان ، أعيش وأحيا ، وتجرى في عروقى دماء وليس ماء . أنا أنتمى لطبقة النبلاء - أنا نبيل ، يا نيكيتوشكا ، من أصل كريم طيب ، ... وحتى قبل أن أسقط فى هذه الحفرة ، كنت أؤدى الخدمة العسكرية، فى سلاح المدفعية ... كم كنت بطلاً شجاعًا ، فتى جميلاً وسيمًا ، كم كنت رجلاً جسورًا أمينًا ، مقدامًا، مفعمًا بالقوة والحيوية ! يا الله ، كيف ذهب كل هذا يا نيكيتوشكا ، ثم بعد ذلك كم كنت ممثلاً رائعًا، آه ؟ (ينهض ، مستندًا على ذراع الملقن) أين ذهب كل هذا، أين تلك الأيام ؟ يا إلهى! الآن وقد ألقيت نظرة على هذه الحفرة - وتذكرت كل شيء ، كل شيء! هذه الحفرة التهمت من عمرى خمسة وأربعين عامًا، يا لها من حياة كانت ، يا نيكيتوشكا ، أنظر إلى الحفرة الآن وأرى كل شيء بالتفصيل ، مثلما أرى وجهك الآن. كانت أيامًا مفعمة بالإعجاب ، وحيوية الشباب ، والثقة ، والحماسة وحب النساء! وما أدراك ما النساء ، يا نيكيتوشكا!

نيكيتا إيفانيتش : حان وقت ذهابكم إلى الفراش ، يا سيد فاسيليى فاسيليتش .

سفيتلافيدوف : أذكر عندما بدأت ممثلاً شابًا ، حينها كانت تسيطر علىَ شدة الحماس ، أحبتنى فتاة لحسن أداء دورى الذى كنت ألعبه على خشبة المسرح – كانت فتاة رشيقة، ممشوقة القوام ، تشبه شجرة الحور[4] ، فى ريعان الشباب، بريئة ، طاهرة ، متوهجة ، كفجر ليلة صيف ، فلا تستطيع أيه ظلمة ليل أن تصمد أمام نظرة عينيها الزرقاوتين ، وابتسامتها الساحرة . وإذا كانت أمواج البحر تتحطم عند اصطدامها بالحجر ، فأمام شعرها المتجعد تنكسر الصخرة والجليد ، مهما كانت كتلة الجليد كبيرة . أتذكر الآن عندما وقفت أمامها، مثلما أقف أمامك الآن ... كانت فى هذه المرة رائعة الجمال ، أكثر من أى وقت مضى ، نظرتْ إلىَ بعينيها هكذا ، لن أنسى هذه النظرة حتى وأنا فى قبرى ... لطيفة ، ناعمة ، رصينة ، فى عز الشباب ! وأنا ملىء بالفرح والسرور ، وتغمرنى سعادة حتى الثمالة فجثوت على ركبتى أمامها ، طالبًا السعادة ... (يواصل حديثه بصوت حزين) ولكنها ... تقول لى : اترك المسرح ! إ ـ ع ـ ت ـ ز ـ ل ال ـ مسر ـ ح ! أنت فاهم؟ هى تستطيع أن تحب ممثلاً، ولكن أن تصبح زوجة له – فهذا من المستحيل ! أتذكر، فى ذلك اليوم الذى كنت ألعب دورًا... دورًا حقيرًا، دور البهلوان ... مثلت الدور وأيقنت حقيقة الأمر وتفتحت عيناى ... حينئذ ، أدركت أنه لا يوجد فن مقدس، وأن كل شيء هراء ، وخداع ، وأننى – عبد ، بهلوان ، مهرج ألعوبة فى أيد غريبة عديمة الجدوى! عندئذ فهمت الجمهور! منذ ذلك الحين لا أصدق التصفيق ، ولا باقات الزهور ، ولا الإعجاب... نعم ، يا نيكيتوشكا ! الجمهور يصفق لى ، ويشترى صورتى الفوتوغرافية بروبل ، ولكن أنا عنه غريب ، أنا بالنسبة له – قذارة ، كبنات الهوى! ... إنه يسعى للتعرف علىَ ، من أجل التفاخر ولم يحقر من نفسه بأن يزوجنى أخته ، أو ابنته ... إنى لا أثق فيه ! (يسقط جالسًا على الكرسى) إنى لا أثق فيه!

نيكيتا إيفانيتش : وشك راح لون وجه لون من شدة الانفعال يا فاسيلى فاسيليتش! لقد ألقيت الرعب فى قلبى أنا أيضاً ... عليك أن تذهب إلى البيت ، كن رفيقاً بنفسك !

سفيتلافيدوف : عندئذ قد انقشعت الغمامة عن عيني وأدركت حقيقة الأمر ... لقد كلفتنى هذه الحقيقة ثمناً غالياً ، يا نيكيتوشكا ! بعد هذه الحكاية ... ، وبعد حكاية الفتاة هذه ... كنت أتسكع هنا وهناك ، وأصبحت حياتى بلا معنى ولم أكترث بشيء عن المستقبل ... لعبت أدوار البهلوانات ، والساخرين المتهكمين ، ودور المهرج ، وأفسدت العقول ، ولكن كم كنت فناناً رائعاً، موهوباً ! دفنت موهبتى ، وامتهنت لغتى وشوهتها، فقدت شخصيتى ... وقللت من شأنى وهلم جرا ...

إن هذه الحفرة السوداء ابتلعتنى ، واستنزفت كل قواى! لم أشعر بذلك من قبل ، ولكن اليوم فقط ... عندما أفقت ، ألقيت نظرة إلى الوراء ، إلى ثمان وستين عامًا . والآن فقط أدركت مدى تقدمى فى السن ! إنها الشيخوخة! انتهى دورى دون رجعة وولت السنون (استرسل في النحيب) . وولت السنون!

نيكيتا إيفانيتش : فاسيليى فاسيليتش! يا إلهى ! هدئ من روعك يا عزيزى... رحماك يا إلهى! (ينادى بصوت عال) بتروشكا! يجوركا!

سفيتلافيدوف : أى موهبة ، وأى قوة! لا تستطيع أن تتخيل مدى ما يبذل من جهد لإيضاح النطق، يا لها من مشاعر وأحاسيس ، يا لها من رشاقة الوقفة والمشية ، كم من أوتار اهتزت في صدرى هذا! (يضرب صدره بيده) من الممكن أن تختنق!... استمع إلى أيها الشيخ ... مهلاً ، دعنى ألتقط أنفاسى ... إليك على سبيل المثال مشهد من "جادونوف"[5]

ناداني طيف جروزني[6] بصوت عالٍ
من ضريحه يا ديميتري معلناً
إعجابه بالتفاف الشعب حولي
فقد كنت ضحية لباريس والذي حكم عليّ بالهلاك
كفى ، أنا ابن القيصر . كم أشعر بالخجل
أمام شعب بولندا العظيم

آه ، أهذا شيء سيء؟. (بحيوية). مهلا ، إليك هذا المشهد من مسرحية "الملك لير"[7] أنت تعرف عندما تكون السماء سوداء ، والمطر يهطل ، والرعد يدوي ... ، والبرق يومض! - فإن السماء تبدو وكأنها مضاءة ، وهنا..

ثوري يا رياح! واعصفي ، إلى أن تتشقق الوجنات!
وأنت ، يا مياه الأمطار أهطلي بعواصفك ،
واغمري الأبراج بالماء الغزير ، وأغرقي ديك الرياح[8]!
وأنت أيتها النيران الرمادية السريعة ،
لست سوى نذير سهام رعدية موجعة ،
مدمرة أشجار البللوط ،
وتتطايري مباشرة فوق رأسي الأشيب! أيها الرعد السماوي ،
كل شيء مذهل ، حطم الطبيعة جمعاء ،
وسوي سطح الكرة الأرضية فورًا
وانثر عن طريق الرياح بذورًا ،
تنبت أناسًا أخساء !

(بلهفة.) وبسرعة أسعفني بالكلام يا مهرج! (يضرب الأرض بقدميه) ذكرني بسرعة بكلمات مهرج! فليس لدي وقت!

نيكيتا إيفانيتش : (يمثل دور المهرج). " ماذا بك يا عزيزى؟ إننى أرى ، أليس من الأفضل لك أن تعيش حياة هادئة مستقرة في دارك بدلا من أن تتسكع تحت وابل الأمطار؟ فى الحقيقة ، يا عمى العزيز ، من الأفضل أن تتصالح فى هذه الليلة مع بناتك . فهذا شيء سيء لكل منكما الصائب والمخطئ !"

سفيتلافيدوف : زمجرى أيتها العاصفة بكل ما لك من قوة!
واعصفى ودوى واحرقى وانهمرى أيتها الأمطار
فمن ذا الذى يرحمنى؟ فالنار والرياح
والرعد والمطر- ليسوا ببناتى!
أنا لا ألومكن فى فظاعتكن:
ولم أعطكن الحكم إبان حياتى ،
ولم أسمح لنفسى بأن أطلق عليكن بناتى .

لدى القوة! والموهبة ! والقدرة على التمثيل ! وأشياء أخرى ... وأشياء أخرى من هذا القبيل ... هكذا أستطيع أن أستعيد أيام الشباب ... أيكفى (ينفجر ضاحكاً من شدة السعادة) من "هاملت"! حسنا ، سأبدأ ... ما هذا؟ هيا ... (يمثل دور هاملت)[9] "هيا يا عازفى الناى! أعطونى واحدًا منها! (يتحدث إلى نيكيتا إيفانيتش) يبدو لى ، أنكم تلاحقوننى أكثر مما يجب".

نيكيتا إيفانيتش : " صدقنى ، يا مولاى الأمير ، أن سبب كل ذلك يرجع إلى حبى لك وعملى الدؤوب لجلالة الملك"

سفيتلافيدوف : " أنا لا أفهم بعض ما تقول . أعزف أى قطعة موسيقية على هذا الناى!"

نيكيتا إيفانيتش : " لا أستطيع ، يا مولاى الأمير"

سفيتلافيدوف : " اعمل معروفاً ! "

نيكيتا إيفانيتش : " فى الحقيقة ، أنا لا أستطيع ، يا مولاى الأمير ! "

سفيتلافيدوف : " أستحلفك بالله ، اعزف ! "

نيكيتا إيفانيتش : " لكننى لا أستطيع العزف على آلة الناى ، إطلاقًا "

سفيتلافيدوف : " إن العزف عليه سهل ، مثل الكذب. امسك الناى هكذا ، زم شفتيك هنا ، وضع أصابعك هناك - سوف تبدأ العزف!"

نيكيتا إيفانيتش : " أنا لم أتدرب على ذلك إطلاقاً "

سفيتلافيدوف : " الآن احكم بنفسك: من تحسبنى؟ إنك تود أن تلعب على أوتار أحاسيسى ، فى الوقت الذى لم تستطع فيه أن تعزف شيئًا على هذا الناى . هل أنا أسوأ ، وأقل شأنًا ، من آلة الناى؟ أطلق علىَ ما شئت: أنت تستطيع أن تعذبنى، ولكن لن تستطيع أن تلعب بى (ينفجر ضحكًا ، ويصفق) برافو! أحسنت! برافو! أية شيخوخة هنا ، فلتذهب هذه الشيخوخة إلى الجحيم أنا لا أحس بالشيخوخة، إنه كلام فارغ ، هذا هراء! ها هى القوة تتدفق فى كل عروقى كالنافورة – هذا هو – الشباب ، النضارة ، الحياة! وحيثما توجد الموهبة ، يا نيكيتوشكا ، فلا مكان للشيخوخة! هل انفعلت للغاية ، يا نيكيتوشكا؟ هل فقَدْت الصواب؟ على رسلك ، أعطنى فرصة كى

أفيق وأصحى من غشيتى ... رحماك يا ربى! هيا اسمع ، يا لها من رقة ، ويا لها من رهافة الحس ، يا لها من موسيقى مهلا هس... صه!

ليلة أوكرانية هادئة[10].

وسماء صافية ، و نجوم تتلألأ .

والهواء العليل حال دون أن يغالبنى النعاس .

وبالكاد تهتز أوراق شجر الحور الفضية ...

(يسمع خبط الأبواب المفتوحة)

ما هذا؟

نيكيتا إيفانيتش : ربما جاء بتروشكا و يجوركا... إنها الموهبة ، يا فاسيليى فاسيليتش! إنها الموهبة!

سفيتلافيدوف : (ينادى صوب طرق الأبواب) . تعالا إلى هنا أنتما الفتيان الشجعان! (ثم يتحدث إلى نيكيتا إيفانيتش) فلنذهب ونرتدى الملابس ... فلا مكان هنا للخوف ، كل هذا هراء ، ولغو وهذر ... (يضحك بفرح ومرح) ما خطبك ولماذا تبكى؟ لمَ تسترسل فى البكاء أليس هذا هو الولع بالمسرح؟ آه ، شيء سيء ! هذا أمر غير مقبول! حسنًا، حسنًا ، يا صديقى العجوز ، انظر كيف تبدو! ، ما الذى يدعوك أن تبدو هكذا؟ آه ! يا للعجب ... (يعانقه من خلال الدموع) لا ينبغى أن تبكى ... فحيثما يوجد فن، وموهبة ، فلن يكون هناك خوف ، ولا عزلة ، ولا مرض ، وها قد أشرفنا على الموت ... (يبكى) . ليس أمامنا وقت فالسنون مرت . هل أنا موهوب؟ إننى شخص منهوك القوى، هزيل مثل ليمونة معصورة ، أو مثل لوح هش رقيق من الجليد ، مثل مسمار أصدأ ، أما أنت – جرذ مسرحى عجوز، ملقن ليس إلا ... هيا بنا !

يذهبان

هل أنا ممثل موهوب؟ فى المسرحيات الجادة كنت أصلح فقط لدور أحد أفراد حاشية فورتينبراس ... نعم لقد أصبحت عجوزاً حتى لهذا الدور... نعم ... أتتذكر هذا الدور فى "عطيل"[11] ، يا نيكيتوشكا

وداعاً للسكينة ، وداعاً للطمأنينة !
وداعاً للقوات الحربية والمعارك البطولية
التى تتجسد فيها الشجاعة والعزة
وداعاً لكل شيء!

وداعاً للحصان ذى الصهيل المميز ، ـ
ولصوت النفير ، وقرع الطبول ،
وصفير البوق ، والراية الملكية ،
وداعاً للمجد والعزة والعظمة ،
والمعارك الضارية للحروب المجيدة .

نيكيتا إيفانيتش : يا لك من موهوب ! يا لك من موهوب!

سفيتلافيدوف : وإليك هذا أيضاً:

فلأخرج من موسكو ! ولن أعود إليها بعد الآن[12]
ولأهرب ، دون أن ألتفت إلى الوراء ، وسأجوب العالم
حيث يبحث المهان عن ملجأ يطمئن إليه
إئتونى بعربة ، بعربة !

يخرج مع نيكيتا إيفانيتش .

تسدل الستار ببطء

****

(الهوامش)

1. كالخاس : كاهن وعراف ، وهو أحد أفراد جيوش أجامينون أثناء حرب طروادة - " شخصية تتنبأ بالمستقبل ، تعرف ما يحدث وما سيحدث وما حدث" كما جاء فى ملحمة الشاعر الإغريقى الأسطورى القديم هوميروس (القرن التاسع والثامن قبل الميلاد) (الإلياذة) . ويعد كالخاس أحد شخصيات الأوبريت "هيلينا الرائعة" التى ألفها الموسيقار الفرنسى المبدع جاك أوفينباخ (1819 – 1880) - الذى يعد مؤسسا لفن الأوبريت الفرنسى الكلاسيكى فى القرن التاسع عشر ، والذى لم يهتم فيها بالأحداث العسكرية ، وإنما تغنى بقصة الحب بين باريس و هيلينا سواء فى الغناء المنفرد أو الثنائى أو الجماعى. (المترجم)
2. فاسيوشا: صيغة التدليل لاسم فاسيلى . (المترجم)
3. نيكيتوشكا: صيغة التدليل لاسم نيكيتا . (المترجم)
4. شجر الحور (باللاتينية –Populus ، وبالإنجليزية Poplar) جنس شجرى من الفصيلة الصفصافية ، تستعمل فى صناعة الأثاث ، يصل ارتفاعها إلى ثلاثين متراً، تقاوم الرياح وتتحمل حرارة الصيف وبرودة الشتاء . (المترجم)
5. "باريس جادونوف" ملحمة شعرية للشاعر الروسى ا. س. بوشكن (1799 - 1837) ، كتبها أثناء تواجده فى المنفى فى ميخاليوفسكى ما بين 1824 - 1825 . وتم نشرها فى عام 1831 ، وعرضت على المسرح عام 1831. وهذه القصيدة تعبر عن حب واحترام الشاعر للشعب الروسى ، وتحكى ليس بالدرجة الأولى عن القيصر باريس جادونف (1552 –1605) وإنما عن دور الشعب الروسى فى التاريخ ، وآرائه ، وأمانيه ، وحبه وكرهه للسلطة ، ودوره فى الحياة السياسية والاجتماعية.
6. إيفان جروزنى (1530 – 1584) : أحد القياصرة فى روسيا ، يتمتع بمكانة بارزة فى تاريخ روسيا . (المترجم)
7. مسرحية " الملك لير" (1605 - 1606) للأديب الإنجليزى وليم شكسبير وقدمت على المسرح عام 1608. (المترجم)
8. ديك الرياح : أداة على شكل ديك لإظهار اتجاه الريح. (المترجم)
9. مسرحية "هاملت" (1603) للأديب الإنجليزى وليم شكسبير . (المترجم)
10. مقطع من قصيدة "بالتافا" (1829) للشاعر الروسى ا. س. بوشكن - التى صور فيها الموقعة الحربية (1709) والتى انتصرت فيها القوات الروسية بقيادة القيصر بطرس الأول على جيوش الملك السويدى كارل الثانى عشر ، والتى وضعت نهاية لسيطرة السويد على أوروبا . (المترجم)
11. تراجيديا "عطيل" (1604) للأديب وليم شكسبير . وقد نشرت عام 1622 بعد وفاة الكاتب . (المترجم)
12. قصيدة "البلية من العقل" (1824) للأديب الروسى ألكسندر سيرجييفيتش جريبايبدف (1795 – 1829) . (المترجم)

ПРЕДЛОЖЕНИЕ
(1888)

طلب يدها للزواج
(1888)

ترجمة
محمد طلحة

طلب يدها للزواج

فكاهة فى فصل واحد

شخصيات المسرحية

- ستيبان ستبيانفيتش تشوبكوف : إقطاعى
- نتاليا ستبا نفنا : ابنته 25 سنة
- إيفان فاسيليفيتش لوماف : جار تشوبكوف ، إقطاعى ، قوى البنية ، بدين ، ولكنه مريض جداً بالوسواس

الأحداث تجرى فى منزل تشوبكوف الريفى

(غرفة الجلوس فى منزل تشوبكوف)

I

تشوبكوف ولوماف

(يدخل لوماف مرتديًا سترة السهرة وجوانتى أبيض)

تشوبكوف : (يتوجه نحوه لاستقباله) يا عزيزى ، مَنْ أرى! إيفان فاسيليفيتش ! أنا سعيد للغاية ! (يصافحه) حقًا هذه مفاجأة، يا إلهى... ، كيف حالك ؟

لوماف : أشكرك – وكيف حال سيادتكم ؟

تشوبكوف : الأمور تسير بشكل هادئ ، يا ملاكى ، بدعواتك وما إلى ذلك . أرجو أن تتفضل بالجلوس، ... حقًا إن نسيان الجيران أمر سيء، يا إلهى . يا عزيزى ، لماذا ترتدى زيًا رسميًا ؟ سترة السهرة، وجوانتى وخلافه . هل أنت ذاهب لمكان ما يا عزيزى ؟

لوماف : لا ، لا أنوى ، أيها السيد المحترم ستبان ستبانيتش ، لقد جئت إليك خصيصا .

تشوبكوف : إذن لماذا ترتدى هذه السترة الجميلة بالضبط كالتى ترتديها وقت الزيارة بمناسبة حلول العام الجديد ؟!

لوماف : تعرف ، ما المسألة . (يأخذ يديه تحت ذراعه) ستيبان ستيبانيتش المحترم ، لقد أتيت إليك ، لكى أزعجك بطلب واحد . وأكثر من مرة حظيت بشرف مساعدتك ، وأنت دائمًا ، إن صح التعبير.... ولكن أنا معذرة أشعر بالاضطراب . سأشرب بعضًا من الماء ، أيها السيد الموقر ستيبان ستيبانفيتش . (يشرب الماء)

تشوبكوف : (أشاح بوجهه إلى الناحية الأخرى) أتى من أجل طلب نقود ! لن أعطيه ! ثم (يقول له): ما الأمر أيها الوسيم؟

لوماف : تعرف ، أيها المحترم ستيبانيتش ، أخطأت ، ستيبان ستيبانيتش المحترم ... أقصد ، أنا مضطرب جدًا ، لو تكرمت بمعرفة ... باختصار ، أنت فقط الذى تستطيع مساعدتى ، على الرغم طبعاً من أننى لا أستحق أى شيء ... ولا أملك الحق أن أعتمد على مساعدتك ....

تشوبكوف : آه ، لا داعى للمراوغة ، يا إلهى ! تكلم بسرعة ، ماذا؟

لوماف : الآن ... فى هذه اللحظة . المسألة أننى جئت لطلب يد ابنتك نتاليا ستيبانفنا .

تشوبكوف : (مسروراً) يا إلهى ! إيفان فاسيليفيتش ! كرر ما قلته مرة أخرى ، ـ أنا لم أسمع!

لوماف : أتشرف بطلب ...

تشوبكوف : (يقاطعه) يا عزيزى ... أنا سعيد جدًا ، حقًا ... وهو كذلك (يعانقه ويقبله) منذ زمن وأنا أتمنى ذلك . هذا أملى الدائم (يدمع) أنا دائما أحبك ، يا ملاكى ، مثل ابنى . أدعو الله أن يرزقكما النصح والحب وما إلى ذلك ، أنا دائمًا كنت أتمنى... لماذا أقف كالأبله؟ مذهولاً من السعادة ، مذهولاً جداً ! أوه ، من كل قلبى .... سأذهب لاستدعاء ناتاشا[1] إلى آخره .

لوماف : (متأثر فى عواطفه) . كيف تعتقد ، أيها السيد الموقر ستبان ستبانيتش ، هل سأنال موافقتها ؟

تشوبكوف : هكذا بالتأكيد أيها الوسيم ـ و.... ومن المحتمل ألا توافق ! فهى عاشقة مثل القطة وخلافه ... الآن !

(ينصرف)

II

لوماف (منفردًا)

لوماف : أشعر بالبرد ... كل جسمى يرتعش ، كما لو كنت أمام امتحان . المهم ـ قبل كل شيء أتخذ قراراً . لو ترددت ، وفكرت طويلاً ، وتحدثت كثيراً ، أو انتظرت الزوجة المثالية أو الحب الحقيقى ، فلن أتزوج أبدًا .... بررر! برد! نتاليا ستيبانفنا ربة منزل ممتازة ، ذكية ، متعلمة ... ما الذى أريده أكثر من ذلك؟ بدأت أشعر بطنين فى أذنى نتيجة الاضطراب (يشرب الماء) . ولكن لابد أن أتزوج ... أولاً ، أبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا، وكما يقال هذه مرحلة حرجة من العمر .

وثانيا، أحتاج إلى حياة مستقيمة ، منظمة ، فأنا أعانى من علة قلبية وضربات مستمرة فى القلب ، كما أنى سريع الغضب ، ودائما شد`يد القلق .... ها أنا الآن شفتاى ترتعشان، وجفنى اليمين يرتعش ، وأعانى كثيرا قبل النوم ، عندما أرقد فى الفراش ، وأبدأ فى النوم ، أشعر برعشة فى جنبى الأيسر ! وضربات فى الكتف والرأس ... أقفز كالمجنون ، أتمشى قليلاً ، ثم عندما أرقد مرة أخرى فى الفراش وأبدأ فى النوم ، تبدأ الرعشة فى جنبى مرة أخرى ! وهذا يتكرر تقريبا عشرين مرة.....

III

نتاليا ستيبانفنا ولوماف

نتاليا ستيبانفنا : (تدخل) ما هذا ، حسنا ، هذا أنت ، أبى قال لى : اذهبى لمقابلة تاجر يرغب فى شراء بضاعة . مرحباً ، يا سيد إيفان فاسيليفيتش !

لوماف : مرحباً بك ، أيتها المحترمة نتاليا ستيبانفنا !

نتاليا ستيبانفنا : معذرة ، أنا غير مهندمة وأرتدى مريلة المطبخ ... فنحن نقوم بتنظيف البازلاء وإعدادها للتجفيف . لماذا لم تزرنا منذ فترة طويلة ؟ تفضل بالجلوس .....

يجلسان

هل ترغب فى تناول الإفطار؟

لوماف : لا ، أشكرك ، لقد أكلت .



حوار بين "نتاليا ستيبانفنا" و " إيفان لوماف" فى مسرحية "طلب يدها للزواج"

نتاليا ستيبانفنا : يمكنك التدخين ... ها هو الكبريت ... الطقس رائع ، أما بالأمس فكان المطر شديدًا لدرجة أن العمال لم يعملوا طوال اليوم . كم حصدت من الأكداس؟ أنا ، تخيل ، طمعت وقمت بحصد الحديقة بأكملها والآن أنا غير سعيدة ، خائفة ، فقد تصاب الأعشاب بالتعفن . الأفضل لو أنني قد انتظرت . ولكن ما هذا؟ أنت ترتدى سترة السهرة ! الحكاية إيه !هل أنت ذاهب إلى حفلة؟ ومع ذلك تبدو أكثر جمالاً ... فى الحقيقة لماذا أنت شديد التأنق هكذا ؟

لوماف : (مضطربًا) تعرفى ، أيتها المحترمة نتاليا ستيبانفنا ... الأمر أننى أرجو منك أن تسمعينى ... بالطبع ستندهشين ، ومن المحتمل أن تغضبى ، ولكن أنا ... (أشاح بوجهه إلى الناحية الأخرى).... أشعر بالبرد القارس!

نتاليا ستيبانفنا : ما الأمر؟

وقفة قصيرة

ماذا؟

لوماف : سأحاول أن أختصر الحديث . أيتها الموقرة نتاليا ستيبانفنا ، أنت تعرفين أننى منذ الطفولة أتشرف بمعرفة عائلتك ، المرحومة عمتى وزوجها اللذين ورثت عنهما الأرض ، كانت تجمعهم علاقة حميمة مع والدك والمرحومة والدتك . كما أن آل لوماف وآل تشوبكوف دائمًا على علاقة ودية ، حتى إنه يمكن القول إنها علاقة قرابة . وعلاوة على ذلك ، لو تكرمتى بمعرفة أن أرضى مرتبطة بشكل وثيق بأرضكم . وبعد إذنك ، ولو تذكرين أن أرض برارى الثيران التى أمتلكها تحد أشجار البتولا التابعة لكم .

نتاليا ستيبانفنا : عفواً ، سأقاطعك فى الحديث . أنت تقول إن «برارى الثيران» ... ملكك ، فهل هى ملكك ؟

لوماف : ملكى يا سيدتى ...

نتاليا ستيبانفنا : ماذا ! لم يبق سوى هذا! «برارى الثيران» ملكنا نحن وليست ملكك !

لوماف : لا ، ملكى ، أيتها السيدة الموقرة نتاليا ستيبانفنا .

نتاليا ستيبانفنا : هذه معلومة جديدة بالنسبة لى . من أين هى ملكك ؟

لوماف : كيف من أين؟ أنا أتحدث عن برارى الثيران التى تقع بين أشجار البتولا التابعة لكم والمستنقع المحترق .

نتاليا ستيبانفنا : نعم ، نعم... هى ملكنا ...

لوماف : لا أنت مخطئة ، أيتها المحترمة نتاليا ستيبانفنا ، ـ إنها ملكى أنا .

نتاليا ستيبانفنا : ذكرنى ، يا سيد إيفان فاسيليفتش ! أمنذ فترة طويلة وهذه الأرض أصبحت ملككم؟

لوماف : كيف من فترة طويلة ؟ منذ أن صرت مدركًا وأنا أعرف أنها دائمًا ملكنا .

نتاليا ستيبانفنا : ماذا إذن ، ولنفترض ، معذرة !

لوماف : هذا مثبت بالأوراق ، أيتها الموقرة نتاليا ستيبانفنا . براري الثيران كانت موضوع نزاع - هذا حقيقي ، ولكن الآن أصبح معروفًا للجميع أنها ملكي ولا داعي للجدال . ولو تكرمتي بمعرفة أن جدة عمتي أعطت هذه الأرض لفلاحين جد أبيك دون مقابل ولفترة غير محددة ، وذلك نظير قيامهم بإحراق الطوب لها . وهؤلاء الفلاحون استخدموا هذه الارض دون مقابل حوالي أربعين سنة ، واعتبروها ملكًا لهم ، وبعد ذلك ظهر قانون ....

نتاليا ستيبانفنا : الأمر ليس كما تقول! جدي ووالده اعتبروا أن أرضهم تمتد حتى المستنقع المحترق وهذا يعني أن براري الثيران ملكنا نحن، فلِمَا الجدال ؟ لا أفهم . حتى إن هذا مؤسف !

لوماف : سأطلعك على الأوراق ، أيتها المحترمة نتاليا ستيبانفنا !

نتاليا ستيبانفنا : لا ، أنت ببساطة تمزح أو تريد أن تستفزيني ... يا لها من مفاجأة! نمتلك الأرض حوالي ثلاثمائة عام ، وفجأة يقولون إنها ليست ملكنا ! يا سيد إيفان فاسيليفتش ، سامحني ، ولكن حتى الآن لا أصدق أذني ... براري الثيران ليست غالية بالنسبة لي . على الرغم من أن مساحتها خمسة ديسياتينا[2] لا غير وأن سعرها حوالي ثلاثمائة روبل ، ولكنني أستاء من الظلم . قل ما تشاء ، لكنني لا أستطيع تحمل الظلم .

لوماف : انصتي إلىّ ، أتوسل إليك! فلاحو جد أبيك ، كما تشرفت بأن قلت لك ، قاموا بحرق الطوب لمصلحة جدة عمتي ذلك لأنها رغبت أن تسعدهم ...

نتاليا ستيبانفنا : جد ، جدة ، عمة ، ... لا أفهم شيئًا مما تقول! أرض براري الثيران ملكنا ! هذا كل ما هناك .

لوماف : بل هي ملكي أنا يا سيدتي !

نتاليا ستيبانفنا : ملكنا نحن ! حتى ولو حاولت إثبات ذلك يومين ، أو إمتلكت خمس عشرة سترة ، فهى ملكنا ، ملكنا ، ملكنا ! ... لا أريد اغتصاب شيء منك . كما أننى لا أريد أن أتنازل عن شيء يخصنى ... وافعل ما تشاء !

لوماف : نتاليا ستيبانفنا ، لست فى حاجة إلى هذه الأرض ، ولكنها مسألة مبدأ . ولو ترغبين ، اسمحى لى ، أن أقدمها لكى هدية !

نتاليا ستيبانفنا : أنا التى أستطيع أن أقدمها إليك هدية ، فهى ملكى ! ... هذا كل شيء ! وعلى الأقل شيء غريب ، يا سيد إيفان فاسيليفيتش ! نحن حتى الآن نعتبرك جارًا حسنًا ، وصديقًا ، وفى العام الماضى أعطينا لك آلة الدراسة الخاصة بنا ونتيجة لذلك اضطررنا لطحن القمح فى شهر نوفمبر ، وأنت تتعامل معنا كما لو كنت تتعامل مع الغجر . تهدينا أرضنا ، معذرة ، هذا ليس من آداب الجيرة ! من وجهة نظرى هذه وقاحة منك ، ولو تشاء ....

لوماف : حسب ما تقولين إننى مغتصب أراضى ؟ يا سيدتى ، أنا لم أقم فى وقت ما باغتصاب أراضى الآخرين ، ولا أسمح لأحد أن يتهمنى بذلك... (يسرع للدورق ويشرب الماء) . إن برارى الثيران ملكى !

نتاليا ستيبانفنا : هذا ليس حقيقى ، إنها ملكنا نحن !

لوماف : ملكى أنا !

نتاليا ستيبانفنا : لا ، هذا بعيد عن الحقيقة ! سأريك ! اليوم سأرسل الحصادين إلى الأرض !

لوماف : ماذا يا سيدتى؟

نتاليا ستيبانفنا : اليوم سيكون هناك حصادون من طرفنا !

لوماف : سأطردهم شر طردة !

نتاليا ستيبانفنا : لا تجرؤ!

لوماف : (يمسك قلبه) إن برارى الثيران ملكى ! هل تفهمى؟ ملكى !

نتاليا ستيبانفنا : من فضلك ، لا ترفع صوتك ! تستطيع أن تصرخ وتزجر فى بيتك، أما هنا فالزم حدودك!

لوماف : يا سيدتى ، لولا ضربات قلبى المؤلمة والفظيعة ، ونفر عروق وجهى ، لتحدثت معك بشكل آخر ! (يصرخ) برارى الثيران ملكى!

نتاليا ستيبانفنا : ملكنا!

لوماف : ملكى!

نتاليا ستيبانفنا : ملكنا!

لوماف : ملكى!

IV

ينضم إليهما تشوبكوف

تشوبكوف		(يدخل) ما هذا ؟ لماذا تصرخان؟
نتاليا ستيبانفنا	:	أبى ، اشرح من فضلك لهذا السيد أن أرض برارى الثيران : لمَنْ تتبع ؟ لنا أو له؟
تشوبكوف	:	(له) ... يا كتكوت إنها ملكنا نحن !
لوماف	:	أتوسل إليك ، يا سيد ستيبان ستبانيتش ، من أين هى ملككم ؟ فلتكن إنسانًا حسن التقدير! جدة عمتى أعطت هذه الأرض لفلاحين جدك ، بدون مقابل ولفترة مؤقتة. وهؤلاء الفلاحون استخدموا هذه الأرض لمدة أربعين عامًا ، وتعودوا على أنها ملكهم ، ولكن عندما ظهر قانون...
تشوبكوف	:	لو سمحت ، يا عزيزى ... أنت نسيت أن الفلاحين لم يدفعوا المال مقابل الأرض لجدتك ، لأنها كانت موضوع نزاع وما إلى ذلك... أما الآن فكل كلب يعلم أن برارى الثيران تتبع لنا . وهذا يعنى أنك لم تطلع على التخطيط !
لوماف	:	سأثبت لكم أنها ملكى !
تشوبكوف	:	لن تستطيع أن تثبت ذلك يا حبيبى .
لوماف	:	لا سأثبت لكم !

تشوبكوف : يا إلهى ! لماذا تصرخ هكذا؟ بالصوت العالى لن تثبت شيئا . أنا لا أريد منك شيئا وليس لدى النية أن أتنازل عن شيء أمتلكه. وعلى أى أساس؟ انتهينا ، وإذا كنت تنوى ، يا عزيزى ، النزاع على هذه الأرض وغير ذلك من الأمور ، فسوف أهديها على الفور للفلاحين وليس إليك . هكذا بالفعل !

لوماف : أنا لا أفهم ! بأى وجه حق تريد إهداء شيء لا يخصك ؟

تشوبكوف : هل لى أن أعرف ، أنت الذى ستخبرنى عن حقوقى! أيها الشاب، أنا لم أتعود أن يتحدث معى أحد بهذه الطريقة وخلافه ، أيها الشاب ، أنا ابلغ من العمر ضعف ما تبلغه ، ولذلك أرجو أن نتحدث سويا بدون هياج وما شابه ذلك .

لوماف : لا ، أنت تعتبرنى مغفلاً وتسخر منى! تقول إن أرضى ملكك، وتريد منى أن أتصرف معك ببرود ، وأن أتحدث معك بشكل إنسانى! الجيران لا يتصرفون هكذا ، يا سيد ستيبان ستيبانيتش ! أنت لست جارا ولكنك مغتصب أراضى!

تشوبكوف : ماذا قلت يا سيد ؟

نتاليا ستيبانفنا : أبى أرسل الآن الحصادين إلى الأرض وبسرعة!

تشوبكوف : (للوماف) ماذا قلت ، أيها السيد الكريم ؟

نتاليا ستيبانفنا : برارى الثيران ملكنا لن أتنازل عنها ، لن أتنازل ، لن أتنازل !

لوماف : سنرى! سأثبت لكم عن طريق المحكمة أنها ملكى !

تشوبكوف : بالمحكمة ؟ يمكنك الذهاب إلى المحكمة ، أيها السيد الكريم ، وأكثر من ذلك تستطيع فعله ! أنا أعرفك ، تنتهز أى فرصة للتقاضى إلى غير ذلك ... ! فمن طبيعتك حب الوشاية ! جميع أهلك محبون للنزاع والمقاضاة ! جميعهم!

لوماف : أرجو عدم توجيه الإهانات لأهلى! الجميع فى آل لوماف يتحلون بالشرف فلم يذهب أحد منا للمحكمة من أجل ابتزاز الأموال مثلما كان يفعل عمك !

تشوبكوف : الجميع فى آل لوماف مجانين !

نتاليا ستيبانفنا : الجميع ، الجميع ، الجميع !

تشوبكوف : عمك كان عربيدًا ، وخالتك الصغرى ناستاسيا ميخايلوفنا هربت مع المهندس وغير ذلك من الأمور....

لوماف : وأمك كانت عرجاء (يمسك بقلبه) جنبى يرتعش ... صداع فى رأسى ... يا إلهى!... أريد بعضًا من الماء!

تشوبكوف : أما أبوك فكان مقامراً ومفجوعاً!

نتاليا ستيبانفنا : والعمة كانت واشية من نوع نادر!

لوماف : قدمى اليسرى شلت ... وأنت مدبر للمكائد ... آه ، قلبى! .... ولم يعد سراً على أحد أنك قبل الانتخابات تحت....آه ... زغللة فى عينى ... أين القبعة؟

نتاليا ستيبانفنا : سفالة ! غش وخداع ، خبث !

تشوبكوف : إنك شخص ماكر _ خبيث ، منافق يا سيد !

لوماف : ها هى القبعة ... قلبى....من أين الخروج؟ أين الباب؟ آه ! ... إنى أموت ، ... يبدو .. قدماى تتعثر ... (يذهب صوب الباب)

تشوبكوف : (يلاحقه) إياك أن تخطو بقدمك إلى بيتنا مرة أخرى !

نتاليا ستيبانفنا : اذهب إلى المحكمة ! سوف نرى !

لوماف يخرج ، مترنحًا .

V

تشوبكوف ونتاليا ستيبانفنا

تشوبكوف : فليذهب للجحيم ! (مضطربًا)

نتاليا ستيبانفنا : أهو وغد ؟ كيف نأتمن بعد ذلك الجيران الطيبين!

تشوبكوف : يا له من وغد ! خيال مآته !

نتاليا ستيبانفنا : يا له من قبيح ! لا يغتصب أرض الغير فحسب ، بل ويسبهم أيضا .

تشوبكوف : كما أن هذا الجن المصاب فعلا بالعمى النهارى يتجرأ ويطلب الزواج وما إلى ذلك! آه ؟ يريد الزواج !

نتاليا ستيبانفنا : أى زواج ؟

تشوبكوف : طبعًا ! لقد جاء ليطلب يديك .

نتاليا ستيبانفنا : يطلب الزواج منى؟ لماذا لم تقل لى من قبل؟

تشوبكوف : ولذلك جاء مرتديًا سترة السهرة! يا له من نحيف ! ضئيل الجسم !

نتاليا ستيبانفنا : منى؟ طلب يدى؟ آه! (تقع على الكرسى وتتنهد) أرجعه! أرجعه! آه! أرجعه!

تشوبكوف : أرجع مَنْ؟

نتاليا ستيبانفنا : بسرعة ، بسرعة ! يا للحماقة ! أرجعه ! (فى حالة هستيرية) .

تشوبكوف : ما هذا؟ ماذا بكِ؟ (يمسك رأسه بيده) أنا إنسان تعيس! سأقتل نفسى بالرصاص! سأشنق نفسى! عذبتمونى!

نتاليا ستيبانفنا : إنى أموت ! أرجعه!

تشوبكوف : تفو! الآن ، لا تنتحبى! (يجرى)

نتاليا ستيبانفنا : (وحدها ، تتأوه) ماذا فعلنا! أرجعه! أرجعه!

تشوبكوف : (يدخل مسرعًا) سيأتى الأن وهلم جرا ، فليذهب للجحيم! أف ! تحدثى أنت معه ، أما أنا فلا أريد ...

نتاليا ستيبانفنا : (تتأوه) أرجعه!

تشوبكوف : (بصوت عال) قلت لك إنه سيعود ، أصعب شيء يمكن أن تأخذه على عاتقك هو أن تكون أب لابنة ناضجة! سأنتحر! حتمًا سأنتحر! شتمنا وطردنا وفضحنا الرجل ، وأنت السبب فى كل ذلك ... أنت !

نتاليا ستيبانفنا : لا ، بل أنت السبب!

تشوبكوف : أنا حقًا مذنب !

يظهر لوماف عند الباب

تحدثى معه ! (يخرج)

VI

نتاليا ستيبانفنا ولوماف

لوماف (يدخل ، ويبدو عليه الإعياء) قلبى يخفق ... بشكل فظيع ... قدمى نملت ... جنبى يرتعش...

نتاليا ستيبانفنا : معذرة لقد فقدنا أعصابنا يا سيد إيفان فاسيليفيتش... أنا الآن تذكرت : برارى الثيران فى واقع الأمر ملكك .

لوماف : قلبى يدق بشدة .... أرض الثيران ملكى ... عيناى ترف ......

نتاليا ستيبانفنا : ملكك ، ملكك ، تفضل بالجلوس ...

يجلسان

لم نكن على حق .

لوماف : إنها مسألة مبدأ ... الأرض ليست غالية بالنسبة لى ، ولكن المبدأ غالى ...

نتاليا ستيبانفنا : فعلاً مسألة مبدأ ... هيا نتحدث عن شيء آخر

لوماف : علاوة على ذلك ، عندى إثباتات . فجدة عمتى أعطت هذه الأرض لفلاحين جد أبيك ...

نتاليا ستيبانفنا : سيكون، سيكون هناك حديث عن ذلك .... (أشاحت بوجهها إلى الناحية الأخرى) لا أعرف من أين أبدأ .... (تنظر إليه) هل تنوى قريبًا الذهاب للصيد؟

لوماف : بمناسبة صيد الطيور البرية ، أفكر فى ذلك بعد موسم الحصاد ، أيتها المحترمة نتاليا ستيبانفنا. آه ، علمتى بالمصيبة التى حلت بى؟ كلبى أوجاداى الذى تكرمت بمعرفته ، بدأ يعرج.

نتاليا ستيبانفنا : يا للأسف ! وما السبب؟

لوماف : لا أعرف .. ضرورى ، أنه تعرض لمزق أو عضته الكلاب الأخرى... (يتنهد) أحسن كلب ، المسألة ليست مسألة نقود ! ولكن دفعت مقابله مائة وخمسة وعشرين روبلاً للسيد ميرانوف.

نتاليا ستيبانفنا : دفعت الكثير مقابل هذا الكلب ، يا سيد إيفان فاسيليفيتش !

لوماف : أعتقد أنَّ ثـمنَه رخيص . فالكلب رائع .

نتاليا ستيبانفنا : أبى اشترى كلبنا أتكاتاى مقابل خمسة وثـمانين روبلاً ، وبالتأكيد أتكاتاى أحسن بكثير من كلبك أوجاداى!

لوماف : أتكاتاى أحسن من أوجاداى؟ ماذا بك؟ (يضحك) أتكاتاى أحسن من أوجاداى!

نتاليا ستيبانفنا : طبعًا أحسن! فى واقع الأمر ، إن أتكاتاى ما زال صغيرًا ، ولم ينضج بعد ، ولكنه بالنسبة للمعاشرة فلن تجد أفضل منه ولا حتى عند السيد فولتشانييتسكى.

لوماف : لو تكرمت يا سيدتى نتاليا ستيبانفنا ، بالتأكيد أنك نسيت أن كلبك عنده ضب ، ودائمًا الكلب الذى عنده ضب لا يستطيع الاصطياد !

نتاليا ستيبانفنا : ضب؟ أول مرة أسمع عن ذلك !

لوماف : أوكد لك أن فكه الأسفل أقصر من الأعلى .

نتاليا ستيبانفنا : هل قمت بقياسه؟

لوماف : نعم . فإنه يصلح للركض وراء الفريسة ولكن ، طبعًا ، عند الانقضاض عليها فإنه يكاد ....

نتاليا ستيبانفنا : أولاً كلبنا أتكاتاى من سلالة أصيلة ، وذو مزايا كثيرة ، فهو ابن زابريجاى وستاميزكا أما كلبك المخلط ، فلا يمكن تحديد سلالته ... كما أنه عجوز وقبيح مثل الفرس العجوز....

لوماف : عجوز ، أنا لا أقبل أن أبدله بخمسة من نوعية كلبك أتكاتاى.... وكيف ذلك؟ أوجاداى كلب ، أما أتكاتاى ... حتى إنه من المضحك أن نتجادل حوله ..... الكلاب التى من نوعية أتكاتاى عند كل صياد يستخدم الكلاب .. أكثر من الهم على القلب ، أعتقد أن خمسة وعشرين روبلاً سعر مثالي بالنسبة له .

نتاليا ستيبانفنا : اليوم يا سيد إيفان فاسيليفيتش يلبسك شيطان اسمه الجدال، فتارة تقول إن برارى الثيران ملكك ، وتارة أخرى إنَّ أوجاداى أحسن من أتكاتاى . أنا لا أحب الإنسان الذى يتحدث عكس ما يعتقد . فأنت تعرف جيدًا أن أتكاتاى أحسن مائة مرة من كلبك .. الغبى أوجاداى . فلماذا تقول عكس ذلك ؟

لوماف : أنا أعتقد يا سيدة نتاليا ستيبانفنا ، أنك تعتبريننى أعمى أو أحمق . أرجو أن تفهمى أن كلبك عنده ضب!

نتاليا ستيبانفنا : ليس حقيقياً.

لوماف : عنده ضب !

نتاليا ستيبانفنا : (تصرخ) ليس حقيقياً !

لوماف : لماذا تصرخين ، يا سيدتى؟

نتاليا ستيبانفنا : لماذا تقول هذه الحماقات؟ هذا مثير للاستياء! فقد حان الوقت لضرب كلبك بالرصاص ، وأنت تقارنه بكلبى أتكاتاى!

لوماف : معذرة ، لا يمكن أن أستمر فى هذا الجدال فأنا أعانى من سرعة ضربات القلب .

نتاليا ستيبانفنا : أنا لاحظت أن الصيادين الذين يجادلون كثيرًا أقل فهمًا من غيرهم .

لوماف : أرجو منك ، يا سيدتى ، أن تصمتى ... فقلبى يؤلمنى ... (يصرخ)... اسكتى!

نتاليا ستيبانفنا : لن أسكت ، حتى تعترف أن أتكاتاى أحسن مائة مرة من أوجاداى !

لوماف : بل أسوأ مائة مرة ! كلبك أتكاتاى يجب أن يموت ! أصداغى... عينى ... كتفى ...

نتاليا ستيبانفنا : أما كلبك فليس هناك حاجة لموته ، لأنه ميت طبيعى !

لوماف : (يبكى) اصمتى ! قلبى يتقطع !!

نتاليا ستيبانفنا : لن أصمت !

VII

ينضم إليهما تشوبكوف

تشوبكوف : (يدخل) ماذا أيضًا ؟

نتاليا ستيبانفنا : أبى ، قل بصدق وضمير ، أى كلب أحسن كلبنا أتكاتاى أم كلبه أوجاداى؟

لوماف : أتوسل إليك يا سيد ستيبان ستيبانفيتش ، قل شيئًا واحدًا : كلبكم عنده ضب أم لا؟ نعم أو لا؟

تشوبكوف : وإن كان الأمر كذلك ؟ فهل هذا شديد الأهمية ! فلا يوجد فى المركز كله كلب أحسن من كلبنا وما إلى ذلك .

لوماف : ولكن كلبى أوجاداى أحسن ؟ حكم ضميرك !

تشوبكوف : لا تقلق ، يا عزيزى ... فلعل كلبك أوجاداى يتميز بصفات حسنة ... فهو من سلالة جيدة وأرجله صلبة ، وفخده قوى وخلافه ، ولكن ، أيها الشاب الجميل ، لو أردت أن تعرف ، فعند كلبك عيبان جوهريان : عجوز وعضته ضعيفة .

لوماف	:	معذرة ، قلبى يدق بسرعة ... وعلى أى حال فهناك وقائع ... لو تكرمت وتذكرت ، كنا فى حقل آل ما روسكين وكان كلبى أوجاداى يسير خطوة بخطوة مع الكلب رازماخاى التابع للكونت ، أما كلبك أتكاتاى فكان يتأخر عنهم بفرست[3] كاملة .
تشوبكوف	:	تأخر لأن خادم الكونت ضربه بالكرباج .
لوماف	:	فعل ذلك . بسبب أن كلبك أتكاتاى كان يضايق الخروف بأسنانه! بينما جميع الكلاب كانت تركض وراء الثعلب .
تشوبكوف	:	هذا ليس حقيقيًا! ... يا عزيزى ، أنا سريع الغضب ولذلك أرجو أن نتوقف عن هذا الجدال ، ضربه ، لأن الجميع كانوا يحسدونه ... نعم ! الجميع حاقدون ! حتى أنت ، أيها السيد، لا تخلى من الذنوب ! فعندما لاحظت أن هناك كلبًا أحسن من كلبك أوجاداى ، بدأ ينتابك نفس الشعور بالحقد والحسد وخلافه ... بالتأكيد أنا أذكر كل شيء !
لوماف :	:	وأنا أيضًا أذكر!
تشوبكوف (يغيظه)	:	أنا أذكر ... أما أنت فماذا تذكر ؟
لوماف	:	ضربات القلب ... قدمى شلت ... لا أتحمل .
نتاليا ستيبانفنا (تغيظه)	:	ضربات القلب ... أى صياد أنت؟ يجب عليك أن تجلس على الفرن فى المطبخ وتصطاد الصراصير لا الثعالب ! ضربات القلب ...

تشوبكوف : إنها الحقيقة ، فأي صياد أنت ؟ المفروض أن تجلس فى البيت بسبب ضربات قلبك ، ولا تفكر فى ركوب الخيل ، ولو كنت تستطيع الصيد لكان ذلك مقبولاً ، ولكنك تذهب من أجل الجدال وازعاج كلاب الغير وما إلى ذلك . أنا سريع الغضب ، فلننهِ هذا الحوار فإنك فى المجمل لست صياداً!

لوماف : وهل تعتقد أنك صياد ؟ أنت تذهب فقط لكى تتملق الكونت وتنشر الدسائس ... قلبى!... أنت دساس!

تشوبكوف : ما الذى تقوله يا سيد ، أنا دساس ؟ (يصرخ) اسكت !

لوماف : دساس !

تشوبكوف : طفل ! جرو!

لوماف : وأنت جرذ عجوز ! منافق !

تشوبكوف : اسكت ، وإلا قتلتك ببندقيتى القديمة مثل طائر الحجلة ! إنك ثرثار !

لوماف : الجميع يعرف ، ماذا ـ آه قلبى! إنَ المرحومة زوجتك كانت تضربك ... رجلى .. أصداغى . شرار من عينى .. سأسقط .. سأسقط ! ...

تشوبكوف : وأنت كنت ترتمى تحت قدمى خادمتك!

لوماف : ها هو ، ها هو..... قلبى تقطع! كتفى انخلع .. أين كتفى؟... إنى أموت ! (يقع على الكرسى) استدعوا الدكتور! (مغشيا عليه)

تشوبكوف : طفل! قليل الخبرة! ثرثار! سيغشى على ! (يشرب الماء) سيغشى على !

نتاليا ستيبانفنا : أى صياد أنت ؟ أنت لا تستطيع حتى الجلوس على الخيل! (لأبيها) بابا ! ماذا أصابه ؟ بابا انظر ، بابا ! (تصرخ) إيفان فاسيليفيتش ! لقد مات !

تشوبكوف : سيغمى على ! .. نفسى كُتِمَ ! ... هواء !

نتاليا ستيبانفنا : لقد مات ! (تشد لوماف من كمه) إيفان فاسيليفيتش ! إيفان فاسيليفيتش! ماذا فعلنا ؟ لقد مات ! (تسقط على الكرسي) دكتور ، دكتور! (فى حالة هستيرية)

تشوبكوف : آه ! ... ما هذا؟ ماذا بك؟

نتاليا ستيبانفنا : (تتأوه) لقد مات ! ... مات !

تشوبكوف : مَنْ الذى مات؟ (يلقى نظرة على لوماف) حقًا لقد مات! يا إلهى! ماء! دكتور! (يقرب كوبًا من الماء إلى فم لوماف) اشرب ! ... إنه لا يشرب ... هذا يعنى أنه مات وخلافه ... كم أنا إنسان تعيس! لماذا لم أضرب نفسى بطلقة فى جبينى؟ لماذا لم أقتل نفسى حتى الآن بالسكين ؟ ماذا أنتظر؟ أعطونى سكينًا ! أعطونى مسدسًا!

لوماف يتحرك

يبدو أنه ما زال حيًا ... اشرب الماء ! ... هكذا ...

لوماف : شرار .. ضباب فى عينى .. أين أنا ؟

تشوبكوف : تزوجا بسرعة ، وانسونى للأبد! ثم اذهبا إلى الشيطان! هى موافقة! (يشبك أيادى لوماف والابنة) هى موافقة وما إلى ذلك . أبارك زواجكما وما إلى ذلك ، فقط اتركونى وشأنى !

لوماف : إيه ؟ ماذا؟ (ينهض) من ؟

تشوبكوف : إنها موافقة ! إيه ؟ هيا تبادلا القبلات و... ولتذهبا إلى الجحيم!

نتاليا ستيبانفنا : (تتأوه) ما زال حيًا ... نعم ، نعم ، أنا موافقة ...

تشوبكوف : هيا تبادلا القبلات!

لوماف : ماذا؟ من؟ (يتبادلان القبل) شيء رائع .... لو تكرمتم ، ما المسألة؟ آه ، نعم ، أنا أفهم .. قلبي .. شرار .. أنا سعيد يا سيدتي نتاليا ستيبانفنا ... (يقبل يديها) قدمي شُلّت ..

نتاليا ستيبانفنا : أنا .. أنا أيضا سعيدة ...

تشوبكوف : أزيح حمل ثقيل عن عاتقي ... أف ؟

نتاليا ستيبانفنا : ولكن ... على أي حال ، فلتتفق معي الآن : أوجاداي أسوأ من أتكاتاي .

لوماف : أحسن!

نتاليا ستيبانفنا : أسوأ!

تشوبكوف : هيا ، لقد حانت السعادة الزوجية! شمبانيا!

لوماف : أحسن!

نتاليا ستيبانفنا : أسوأ! ، أسوأ! أسوأ!

تشوبكوف : (محاولاً أن يغطى على صوتهم) شمبانيا! شمبانيا!

تسدل الستار

****

(الهوامش)

1. ناتاشا : تصغير من اسم نتاليا (المترجم)
2. ديسياتينا: وحدة روسية قديمة للمساحة تعادل 1.9 هكتار. (المترجم)
3. الفرست: وحدة روسية قديمة للقياس تعادل 1060 مترًا . (المترجم)

ТРАГИК ПОНЕВОЛЕ
(1889)

حزين رغم أنفه
(1889)

ترجمة
وليد طلبه

حزين رغم أنفه

(صورة من حياة الضيعة)

(فكاهة فى فصل واحد)

شخصيتا المسرحية

إيفان إيفانفتش تالكاتشوف : رب أسرة .

ألكسيى ألكسيفيتش موراشكين : صديقه .

تدور الأحداث في مدينة سانت بطرسبورج ، في شقة موراشكين . غرفة مكتب موراشكين . أثاث وثير . يجلس موراشكين خلف مكتبه . ويدخل تالكاتشوف يمسك بيده غطاء زجاجيا للمصباح ، ولعبة أطفال على شكل دراجة ، وثلاثة صناديق من القبعات النسائية ، ولفافة قماش كبيرة بها ملابس ، وكيساً به زجاجة بيرة والكثير من اللفائف الصغيرة . يحلق عينيه في الغرفة كالمجنون ، ويسقط على الأريكة في إعياء .

موراشكين : مرحبا يا إيفان إيفانيتش! كم أنا سعيد لرؤيتك . من أين أتيت ؟

تالكاتشوف : (وهو يتنفس بصعوبة) يا صديقى الحميم والعزيز... لى عندك رجاء ... أتوسل إليك أن تسدي لي معروفا في أن تعيرني مسدسا حتى الغد . ساعدني ؛ فأنت صديقي!

موراشكين : لماذا أنت في حاجة إلي مسدس ؟



مسرحية " حزين رغم أنفه"

تالكاتشوف : أنا في حاجة شديدة إليه ... آه ، يا إلهى ! ... أعطني بعض الماء ... بسرعة!... أنا بحاجة لبعض الماء ... يجب على السير ليلاً عبر الغابة المظلمة وأن... على كل حال . أعرني إياه! اسدِ لى معروفًا!

موراشكين : ما هذا ؟ ما هذا الهراء يا إيفانيتش! أي عفريت هذا الذي يسكن في الغابة المظلمة ؟ ربما تكون قد فكرت في شيء ؟ يبدو من قسمات وجهك أنك دبرت شيئًا سيئًا! ماذا بك ؟ أتشعر بسوء ؟

تالكاتشوف : مهلاً! دعني ألتقط أنفاسي ... واأسفاه يا إلهي . خارت قواي كالكلب . أشعر بوهن في جسدى ورأسي كما لو كانوا قد جعلوا من جسدي قطعة لحم مشوية . لا يمكننى الصبر أكثر من ذلك . كن صديقى الوفى ولا تسألنى ، ولا تدس أنفك فى أى تفاصيل ... أعطنى مسدسًا ! أتوسل إليك !

موراشكين : كفاك يا إيفانيتش ، لماذا كل هذا التخاذل ؟ ألا تخجل من نفسك ؟ أنت رب أسرة ومستشار مدني!

تالكاتشوف : عن أى رب أسرة تتكلم ؟ أنا معذب! كما لو كنت دابة مطية ، أجيراً ، عبداً ، وغداً لا يستطيع الحياة ولا يقدر على الموت . أنا كخرقة بالية ، أحمق وأبله ! لماذا أعيش؟ ومن أجل ماذا؟ (يقفز من مكانه) قل لى أنت ، لماذا أعيش؟ في سبيل أى شيء كل تلك المعاناة النفسية والبدنية التى لا تتوقف؟ نعم أدرك جيداً أنه من الجائز أن تتعذب بسبب فكرة معينة ، ولكن أن تتعذب ، بحق الجحيم ، بسبب التنورات النسائية وأغطية المصابيح ، أن تكون مثل الخادم المطيع فلا ولا ولا ، كفى! كفاكم!

موراشكين : لا تصرخ هكذا فالجيران يسمعون .

تالكاتشوف : دع الجيران يسمعون ، فبالنسبة لي لا يمثل ذلك أي أهمية ، وإذا لم تعطني المسدس سأجد شخصاً آخراً! سوف يعطيه لي . وسأكون بالفعل في عداد الأموات! هذا قرار لا رجعة فيه !

موراشكين : مهلاً ، لقد أفزعتنى بما تقول ، تكلم بهدوء ، فأنا لا أفهم ما الذي يعكر صفو حياتك؟

تالكاتشوف : أتسألنى ما الذى يعكر صفو حياتى ؟ ماذا ؟ اسمح لى سأحكى لك وأفصح عن كل شيء ! لعل هذا يهدئ من روعى قليلاً . لنجلس . إذًا ، استمع إلىّ ... يا إلهى! أشعر ببعض الضيق ! لنأخذ على سبيل المثال ما حدث اليوم . كما تعلم أننى أعمل فى الديوان بلا راحة من العاشرة صباحًا حتى الرابعة عصرًا ، حيث الضوضاء غير المحتملة ، ودرجة الحرارة العالية ، والذباب والحشرات الطائرة وقلة الهواء ، مجرد فوضى ، يا أخى بالإضافة إلى ذلك تجد أن السكرتير حصل على إجازة، وأن الموظف خرابوف سافر للزواج ، وأن معظم موظفى الديوان الصغار انشغلوا بالمصيف وقصص الحب والمسرحيات الرومانسية . الكل فى سُبات وخمول، الكل متعب وشاحب ، بحيث لا تنتظر منهم أى فائدة... ومَنْ يؤدى واجبات السكرتير هو عاشق وأصم فى أذنه اليسرى ، مقدمو الطلبات يبدون فى بلاهة تامة ، الكل يجرى ويسرع من مكان لآخر ، غاضبون، يهددون ، ـ كل هذا الهرج والمرج من حولك يجعلك تصرخ طلبًا للنجدة. أصبح العمل مليئًا بالضجيج والفوضى ، إنه عمل مضنى ويسير على نفس الوتيرة ، متكرر من قسم المراجعة للعلاقات العامة ويأخذ الدورة نفسها دون ثمة تغيير كموج البحر .

اعلم أنً بعد كل ذلك تغور عيناك ببساطة من تحت جبهتك . أعطنى بعض الماء من فضلك .... تخرج من العمل منهك وفى إعياء تام، ترغب فقط فى تناول الغذاء وتسلتقى على الفراش . ولكن لم تستطع ! تذكر أنك مقيم الآن فى المصيف، مما يعنى أنك عبد، شخص بغيض، معذب، إنسان متجمد الحس وعليه الآن فقط أن يسرع - لو تسمح لى - كالوغد لتنفيذ الأوامر . فهناك عادة معروفة فى مصايفنا : إذا ما ذهب المصطاف إلى المدينة، فإن أصغر مخلوق حقير هناك لدية السلطة فى فرض تكليفات كثيرة، هذا خلافاً لأوامر الزوجة، والتى تطلب منك الذهاب للخياطة من أجل توبيخها بسبب أن الصديرية كانت واسعة ولكنها ضيقة من الكتف . كما أن سونيا الصغيرة فى حاجة لتغيير حذائها وأخت زوجتى تريد تغيير الحرير القرمزى بآخر أقل بمقدار عشرين كابييك وبشريط طوله ثلاث أرشينات[1] ... نعم، انتظر، سأقرأ لك (ويخرج من جيبه قائمة ويقرأها) : وعاء مصباح ، رطل سجق من لحم الخنزير المقدد ، قرنفل ، قرفه بخمسة كابييك ، زيت خروع لميشا . عشرة أرطال من السكر المجروش، ويجب إحضار الوعاء النحاسى أو هون السكر من البيت، وحامض الكربوليك وبعضاً من مبيد الحشرات، وبودرة بعشرة كابييك ، وعشرون زجاجة بيرة وخل مركز وكورسيه للمودموازيل شانو مقاس 82 ... تباً لذلك ، ويجب أن تأخذ الحذاء المطاطى والمعطف الخريفى الخاص بميشا . تلك طلبات الزوجة والأسرة. والآن حان وقت طلبات الأصدقاء والجيران ، ليذهبوا جميعاً إلى الجحيم . فغداً تحتفل أسرة فلاسين بعيد ميلاد فالوديا ويجب شراء عجلة له ، كما أن زوجة العقيد فيخرين حبلى ؛ ولذلك فأنا مضطر للذهاب يوميا إلى القابلة لدعوتها للحضور . وهكذا دواليك. أحمل خمس قوائم فى جيبى والملابس كلها فى اللفائف . وهكذا يا صديقى . فى وقت الفراغ بين العمل وميعاد القطار تجرى وتركض هنا وهناك عبر المدينة مثل الكلب الذى يلهث من التعب وتلعن الدنيا .

تخرج من المحل إلى الصيدلية ومن الصيدلية إلى الخياطة ومن عند الخياطة إلى محل اللحوم المقددة، ومن ثم إلى الصيدلية من جديد. تتعثر فى المشى ، وتفقد أموالك ، وتنسى دفع النقود فى مكان ثالث ويطاردونك بالشجار من أجل ذلك، وفى مكان رابع تدوس على ذيل فستان سيدة ... تفو! وتخرج من هذه النزهة فاقدًا عقلك ومنهك لدرجة أن عظامك تظل تؤلمك طوال الليل كما لو كانت تنهشها التماسيح. وها هى الطلبات قد تم تنفيذها وتم شراء كل شيء ، والآن كيف تحزم كل تلك الأشياء سوياً؟ على سبيل المثال ، كيف يمكنك وضع الهون النحاسى ويد الهون مع وعاء المصباح وأن يكون الكاربوليك والشاى مع بعض؟ كيف يمكنك تجميع زجاجات البيرة وتلك العجلة مع بعضها؟ وضع صعب لا يُحتمل ، شيء يذهب العقل ! أحجية ليس إلا . ومهما لملمت شتات عقلك وحكمت ذكاءك فلا مفر من أن ينكسر أو يقع شيء ما ، وتقف على محطة السكك الحديدية وفى عربة القطار مشدوداً وباسطاً يديك مدعمًا أحد الحزم بذقنك وواقفا وسط الأكياس والكراتين والقمامة أيضا . ويتحرك القطار ويبدأ الناس فى إلقاء أمتعتك فى كل اتجاه فقد شغلت بأمتعتك أماكن الآخرين. عندما أصل إلى ضيعتى، من المفترض بعد هذا التعب الشديد أن أشرب حتى الثمالة وأن آكل حتى الشبع – أليس ذلك صحيحاً؟- ولكن تظهر مشكلة أخرى . زوجتى تنتظر منذ فترة، وبمجرد أن أحتسى الشوربة تبدأ فى تعذيب عبد الله الضعيف وتقول : هل لديك مانع بأن نذهب إلى مسرحية للهواة أو إحدى حلقات الرقص فى مكان ما ؟ وبالطبع لا يمكننى الاعتراض؛ فأنت- زوج وكلمة «زوج» فى الترجمة إلى اللغة الدنماركية تعنى حيوان مستكين يمكنك

امتطاءه ونقل ما تشاء من حمولة على ظهره بدون أى تخوف من تدخل جمعية الرفق بالحيوان . وفى النهاية تذهب وتحدق بعينيك فى «فضيحة فى عائلة نبيلة» أو فى بعض « الترهات » ، تصفق بأمر من زوجتك ويصيبك السقم والوهن والذبول ، تنتظر فى أى لحظة الإصابة بالشلل . تنظر حولك إلى من يرقصون وتبحث لزوجتك عن شخص يرقص معها ، وإن لم تجد ذلك الشخص فيجب أن ترقص رقصة الكادريل . بعد كل ذلك تعود من المسرح أو الحفل الراقص بعد منتصف الليل ولا تبدو إنسانًا وإنما تبدو كما لو كنت جيفة ، ولا فائدة . ولكنك فى النهاية وصلت إلى هدفك : تجردت من ملابسك واستلقيت فى الفراش. وما روعة أن تغلق عينيك وتنام ... حتى الآن كل شيء على ما يرام حيث الدفء والشاعرية ؛ ولا يُسمع صوتٌ للأطفال ولا يوجد أثر للزوجة وضميرى مرتاح جدًا ، ولا يوجد أفضل من ذلك . وما أن تغفو قليلاً حتى تسمع فجأة ... وفجأة صوت البعوض دززززززز ! ... (ينتفض من مكانه) إنهم ثلاث ، اللعنة ، اللعنة على البعوض! (يشد علىَ قبضته) البعوض ! إنه وضع لا يُحتمل ولا يُطاق ولا مفر منه ! وتظل البعوضة تصدر صوتها بحزن وألم كما لو كانت تطلب السماح ولكن بمجرد أن تقرصك تلك اللئيمة ، تظل ساعة كاملة تحك جسدك ، تدخن وتضربها وتغطى رأسك ، ولا سبيل للنجاة من هذا ! فى النهاية تبصق وتستسلم لها مثل الفريسة ، وتمتص حتى الشبع تلك الملعونة! وبمجرد أن تتعود على البعوض يبدأ عذاب من نوع آخر : تبدأ زوجتى فى الصالة غناء القصائد الشعرية الرومانسية عن ظهر قلب بصوتها الرجولى . فبالنهار ينامون وبالليل يستعدون لتلك الحفلات الغنائية المحببة . يا إلهى! يا له من غناء ، إنه عذاب لا يمكن أن يُقارن بعذاب البعوض . (يغنى) «لا تقل أن الشباب ولى ...» ، «أنا أقف أمامك اليوم من جديد ، مفتونًا ...» أيتها الملعونات!

إنكم أنهكتمونى! ومن أجل التخفيف من وطأة تلك الأشياء ولو حتى قليلاً ، أشرع فى خدعة : أظل أطرق بإصبعى على صدغى بالقرب من أذنى وأفكر، أظل أطرق حوالى أربع ساعات حتى تتلاشى . أوه ، أعطنى يا أخى بعض الماء ... لا أستطيع ... حسنًا ، بهذه الطريقة ما ألبث أن أنام حتى أستيقظ سريعًا فى السادسة صباحًا وبالخطوة السريعة أتوجه إلى محطة السكك الحديدية مسرعًا وأخشى أن أتأخر على القطار فى الوحل والضباب والبرودة ، أف! وبعد وصولى إلى المدينة تدور الدائرة من البداية . وها أنا ذا يا أخى أختصر تلك الحياة الفاسدة ، والتى لا تتمناها حتى لعدوك . أتعلم! مرضت كثيرًا ، أشعر بضيق تنفس وحرقة ، دائمًا أهاب شيئًا ما ، معدتى لا تهضم الطعام ، وعيناى زائغتان ... هل تصدقنى إذا قلت لك إننى أصبحت مريضًا نفسيًا ... (ينظر حوله) . وليبق هذا سرًا بيننا ... أنا بحاجة للذهاب إلى تشيتشوت أو ميرجييفسكى. ربما تجد يا أخى إبليسًا ما قد تجسد داخلى . فأنا هكذا وقت الغضب والتعب وعندما يَقْرصنى البعوض أو يقومون بالغناء تزوغ عيناي سريعًا ، وأقفز من مكانى فجأة وأجرى مثل المحروق عبر المنزل كله وأصرخ : « أتعطش للدماء! » وفى حقيقة الأمر أريد أن أطعن أحدًا بسكين أو أضرب أحدًا بكرسى فى رأسه. هذا ما تقودنى إليه حياة المصيف! ومع هذا لا أحد يأسف لحالك أو يتعاطف معك كما لو كان هذا شيء من الواجب القيام به ، لدرجة أنهم يضحكون. ولكن أفهم جيدًا ، على ما يبدو أننى حيوان ، أريد العيش! هذه ليست مسرحية كوميدية، إنها قصة تراجيدية! اسمع، إذا لم تعطنى مسدسًا ، فعلى الأقل أريد أن أشعر منك ببعض التعاطف!

موراشكين : أنا متعاطف معك .

تالكاتشوف : أرى مدى تعاطفك معي ... اسمح لى . سأذهب لشراء سمك الرنجة والسجق ... ويجب أيضًا شراء مسحوق تنظيف الأسنان ، وبعد ذلك سأذهب لمحطة القطار .

موراشكين : وأين تعيش فى المصيف ؟

تالكاتشوف : على ضفاف النهر الميت .

موراشكين : (بسعادة) اسمع ، أليس صحيحًا؟ أتعرف هناك إحدى المصيفات تُدعى أولجا بافلافنا فينبيرج؟

تالكاتشوف : أعرف ، فأنا على معرفة بها أيضًا .

موراشكين : ماذا تقول؟ يا لها من صدفه ! اسمع بالمناسبة ، من اللطيف منك أن ...

تالكاتشوف : ماذا تريد؟

موراشكين : يا عزيزي ، يا صديقى ، ألا يمكنك أن تسدي لى خدمة واحدة صغيرة! كن صديقًا وفيًا! أعطني كلمة شرف بأنك ستنفذها .

تالكاتشوف : ماذا تريد؟

موراشكين : ليس خدمة بل صداقة ! أتوسل إليك يا عزيزى .

أولاً: بلغ تحياتي لأولجا بافلافنا وقل لها إنني حيٌ وبصحةٍ جيدةٍ وأقبّل يدها .

ثانيا: قل لها شيئا آخر . فقد أمرتني أن أشتري لها ماكينة خياطة وأرسلها لها مع شخص ما ... خذها معك لها يا عزيزي ! وبالمناسبة ممكن أن تأخذ معك بالمرة هذا القفص، به عصفور كناريا ... ولكن كن حذراً وأنت تحمله حتى لا ينكسر الباب ... لماذا تنظر إليَ هكذا؟

تالكاتشوف : ماكينة خياطة ... قفص عصفور الكناريا ... عصافير ... شرشور[2]...

موراشكين : إيفان إيفانيتش ، ماذا حَلَّ بك؟ لماذا أنت غاضب هكذا؟

تالكاتشوف (يضرب الأرض بقدميه) : أحضر لى الماكينة إلى هنا! أين القفص؟ وامتطِ الجواد، اقتل الإنسان وعذبه ! واقض عليه ! (يحكم قبضته) أتعطش للدماء ! دماء ! دماءَ !

موراشكين : لقد فقدت عقلك !

تالكاتشوف : (يهجم عليه) أتعطش للدماء ! للدماء .

موراشكين : (فى هلع) . لقد جُن جنونه ! (يصرخ وينادى) : بتروشكا ! ماريا ! أين أنتم؟ أنقذونى يا ناس!

تالكاتشوف : (يطارده في الغرفة) . أتعطش للدماء! للدماء!

تسدل الستار

****

(الهوامش)

1. أرشين : مقياس طول روسى قديم يساوى سبعة عشر سنتيمتراً . (المترجم)
2. شرشور: طائر أوروبى صغير مغرد . (المترجم)

СВАДЬБА
(1889)

حفل زفاف
(1889)

ترجمة
نادية سلطان

حفل زفاف

مشهد فى فصل واحد

شخصيات المسرحية

يفدوكيم زاخاروفيتش جيجالاف	أمين سجل متقاعد .
ناستاسيا تيمافييفنا	زوجة جيجالاف .
داشينكا[1]	ابنتهما .
أبامينوند ماكسيمافيتش أبلومباف	خطيب الابنة .
فيودر ياكافليفيتش ريفونوفد كاراؤولاف	مقدم بحرى متقاعد .
أندريى أندرييفيتش نيونين	مندوب شركة تأمين
آنا مارتينفنا زميوكينا	داية ، تبلغ من العمر ثلاثين عامًا، وترتدى فستانًا قرمزى اللون.
إيفان ميخايلافيتش يات	عامل تلغراف .
خارلامبى سبيريدونافيتش ديمبا	حلوانى يونانى .
ديميترى ستيباناقيتش مازجافوى	بحار متطوع فى الأسطول البحرى.

أشابنه[2] ، راقصون ، خدم ... إلخ .

يجرى الحدث فى إحدى قاعات المناسبات بمطعم صغير والتى تحمل اسم أندروناف.

القاعة متوهجة بالأضواء. مائدة كبيرة مجهزة للعشاء.

بالقرب من المائدة يتحرك الخدم بملابسهم التقليدية. وراء الكواليس تُعزف موسيقى رقصة الكادريل[3].

زميوكينا، يات، وأشبين العريس يتحركون فوق خشبة المسرح.

زميوكينا : لا، لا، لا!

يات : (يمشى خلفها). ارحمينى! ارحمينى!

زميوكينا : لا، لا، لا!

أشبين العريس : (يجرى خلفهما) يا سادة، هذا مستحيل! إلى أين أنتم ذاهبون؟ ستبدأ

А гран – рон? Гран – рон, Силь-ву-пле![4]

يخرجون

تدخل كل من ناستاسيا تيمافييفنا وأبلومباف

ناستاسيا تيمافييفنا : تشغل بالى عباراتك المتعددة، من الأفضل أن تذهب سيادتك وترقص.

أبلومباف : أنا لست بسبينوزا[5] أيا كان الأمر، فأنا لا أتقن حركات قدمي ببراعة مثله. أنا إنسان إيجابى وبطبعى لا أرى أى متعة فى الملذات التافة. فالموضوع لا يرتبط بالرقص. أرجو المعذرة يا ماما، لا أفهم الكثير من تصرفاتك. فمثلاً، وعدتينى أن تعطينى بالإضافة إلى الأشياء الضرورية المنزلية، ورقتين اليانصيب الرابحتين من أجل الزواج من ابنتكم. أين هما؟

ناستاسيا تيمافييفنا : رأسى تؤلمنى ... من الممكن أن يكون بسبب هذا الجو الردئ ... فقد حلت فترة ذوبان الجليد ! .

أبلومباف : لا تصرفى النظر عن ما نتحدث فيه . أنا علمت اليوم إن حضرتك رهنتى تذكرتى اليانصيب . عفوًا يا ماما ، لا يتصرف هكذا سوى المستغلين . ولكن هذا ليس من مبدأ الأنانية – فأنا لست بحاجة إلى هاتين التذكرتين ولكن من حيث المبدأ ، لن أسمح لأحد أن يخدعنى. فأنا أعمل على إسعاد ابنتكم ، وإذا لم تعطنى اليوم هاتين التذكرتين ، فسوف تدفع ابنتك الثمن . فأنا إنسان لدى عزة نفس !

ناستاسيا تيمافييفنا : (متفحصة المنضدة ، تقوم بعَد أطقم المائدة الخاصة بالأكل) . واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ...

الخادم : الطباخ يود أن يعرف ، بماذا تأمرون سيادتكم ، هل تريدون أن يضيف إلى الآيس كريم مشروب الروم[6] ، أو ماديرا[7] ، أو بدون شيء؟.

أبلومباف : أضف إليه الروم . وأيضًا قُلْ لصاحب المطعم أنَّ زجاجات الخمر قليلة ، ودعه يأمر بوضع نبيذ جو- سوتيرينو[8] (ثم يوجه الكلام إلى ناستاسيا تيمافييفنا) . لقد وعدتينى أيضًا، حيث حدث بيننا اتِّفاق بموجبه أن يحضر جنرال على العشاء . أين هو يا ترى؟ .

ناستاسيا تيمافييفنا : يا إلهى ، لست أنا المخطئة فى هذا؟

أبلومباف : إذاً مَن المخطئ؟

ناستاسيا تيمافييفنا : هذه غلطة أندريى أندرييتش ... بالأمس كان موجوداً ووعد بإحضار جنرال حقيقى . (تتنهد) كان من المفروض أن يأتى به، لكنه لم يستطع العثور عليه فى أى مكان ... فإذا كان قد وجده ، لأحضره ... وهل نأسف لهذا؟ إننا من أجل ابنتنا لا نندم على شيء . فشخصية الجنرال ستظل لها أهمية . فالجنرال هو الجنرال ...

أبلومباف : ثم ماذا بعد ... فالجميع يعلم ، وبما فى ذلك حضرتك يا ماما ، إننى قبل أن أتقدم لطلب يد داشينكا للزواج ، كان يات ـ عامل التلغراف هذا يغازلها ، فلماذا دعوته على الحفل؟ ألا تعلمين ، أن هذا لا يطيب لى؟

ناستاسيا تيمافييفنا : واأسفاه ، ماذا بك؟ يا أبامينوند ماكسيميتش ، أنت لم تتزوجها بعد ولكنك كم ضايقتنى أنا وداشنكا بأحاديثك هذه . فما بالك ما الذى سوف يحدث بعد عام؟ يا لك من إنسان ممل ، يا للعجب ، أف ، فعلاً ممل!

أبلومباف : لماذا لا يعجبكِ سماع الحقيقة؟ آه ؟ لماذا ؟ عليكِ أن تسلكى سلوكاً نبيلاً . إنى أطلب من حضرتك طلبًا واحدًا فقط : أن تكونى إنسانه نبيلة !

تمر عبر القاعة ، ومن أحد الأبواب إلى آخر ثنائيات الراقصين لرقصة الجراند روند (grand ـ rond) ، الثنائية الأولى وتضم أشبين العريس مع داشنكا ، والثنائية الثانية تضم يات مع زميوكينا. أما الثنائية الثالثة تتأخر وتبقى فى القاعة . يدخل جيجالاف وديمبا ويتجها نحو المائدة .

أشبين العريس (بصوت عال) ، (من وراء الكواليس) : فليتفضل السادة الضيوف إلى القاعة .

يخرج ثنائيتا الراقصين

يات : (متحدثًا إلى زميوكينا) هلاَ ارحمينى! هلاَ ارحمينى! يا آنا مارتينفنا إنك لساحرة الجمال!

زميوكينا : آه ، يا لك من ... كما قلت لك ، إنَّ صوتى اليوم ليس فى حالة جيدة كى أغنى .

يات : أتوسل إليكِ ، فلتغنِ! غنى ولو مقطعًا واحدًا فقط ! رفقًا بى ! مقطعًا واحدًا فقط!

زميوكينا : لقد ضايقتنى . (تجلس وتلوح بالمروحة)

يات : لا ، إنك بكل بساطة قاسية القلب! أقول لهذا المخلوق قاسي القلب ، لو سمح لى بأن أعبر عن رأيى وأقول ، إن لديك صوت رائع، رائع! فبمثل هذا الصوت ، عفوًا ، عليك ألا تمارسى مهنة الداية ، بل مهنة الغناء فى الحفلات أمام الحشود الغفيرة من الجماهير! إن لديك نعمة من الله بان منحك صوتًا جميلاً ... هذا هو ... (وهو يغنى) «لقد أحببتك، والحب أيضًا عبث ...» رائع!

زميوكينا : (تغنى) «لقد أحببتك ، والحب ما زال كامنًا فى قلبى»[9]! ...تقصد هذه؟

يات : هذا ما أقصده بالضبط ! رائع !

زميوكينا : لا ، إن صوتى اليوم ليس فى حالة جيدة . فلتأخذ المروحة وهوِّ لى ... الجو حار! (ثم توجه حديثها إلى أبلومباف) أبامينوند ماكسيميتش ، لماذا تبدو هكذا كئيبًا ؟ أهكذا يكون العريس على هذا النحو؟ ألا تخجل من نفسك ، أنت مثير للاشمئزاز! فيم تفكر؟

أبلومباف : الزواج خطوة جادة! يجب التروى فى كل تفاصيله ، من جميع النواحى .

زميوكينا : كيف لك أن تشكك فى كل شيء لهذه الدرجة! أشعر وأنا بالقرب منك وكأننى أختنق ... اسمحوا لى باستنشاق قليل من الهواء! هل تسمعوننى؟ أعطونى قدرًا من الهواء! (بنغمة غنائية)

يات : رائع! . رائع! .

زميوكينا : من فضلك هوَى لي ، هوى ، فأنا أشعر بأننى سأصاب بسكتة قلبية . من فضلك قُل لى ، ما سبب شعورى بالاختناق؟

يات : هذا بسبب ، أنك تتصببين عرقًا يا سيدتى ...

زميوكينا : أُف ، يا لك من إنسان سوقى ! لا يحق لك أن تعبر بهذه الطريقة

يات : إنى مخطئ! ولا تؤاخذينى عن هذا التعبير الذى صدر منى ، طبعًا لقد تعودتى ، على المجتمع الأرستقراطى و ....

زميوكينا : آه ، اتركنى وشأنى! أنا فى حاجة لأسترسل بعضاً من أبيات الشعر وأن أشعر بقدر من البهجة ! هوى ، هوى ...

جيجالاف : (متحدثًا إلى ديمبا) . هل سنكرر ما قلناه مرة أخرى؟ (يصب الخمر فى الكأس) من الممكن أن تشرب الخمر كل دقيقة . لكن المهم ، يا خارلامبى سبيريدونيتش دون أن تنسى عملك. اشرب ، ولكن اتقن عملك ... أما فيما يتعلق بالشرب ، فلماذا لا يجوز شرب الخمر؟ من الممكن أن تحتسى الخمر ... هنيا فى صحتك! (يشربا سويًا) . هل عندكم فى اليونان يوجد نمور؟

ديمبا : يوجد .

جيجالاف : وهل يوجد أيضًا أسود؟

ديمبا : نعم ، ويوجد أسود أيضًا . هنا فى روسيا ما فيش[10] أى حاجة ، أما فى اليونان ففيها كل شئ . هناك أيضًا والدى ، وعمى ، وأشقائى ، أما هنا ما فيش حاجة أبدًا .

جيجالاف : ممم ... وهل يوجد حيتان ضخمة أيضًا فى اليونان؟

ديمبا : كل شئ موجود .

ناستاسيا تيمافييفنا : (تتحدث إلى زوجها) . ما هذا العبث الذى تفعله ، تشرب الخمر وتتناول المزة؟ فقد حان الوقت بأن يجلس الجميع الآن . ثم لا تغرز الشوكة فى الإستاكوزة ... فهى وُضعت خصيصًا من أجل الجنرال . وربما يأتى فى أى لحظة ...

جيجالاف : وهل يوجد إستاكوزة فى اليونان؟

ديمبا : يوجد ... هناك كل شىء موجود .

جيجالاف : ممم ... وهل يوجد أمناء سجل ؟

زميوكينا : أتصور كم هو الجو رائع فى اليونان!

جيجالاف : وأيضًا ، ربما تحدث حالات كثيرة من الاحتيال . فاليونانيون على ما أعتقد أن بعضهم من الأرمن أو من الغجر . فمنهم مَنْ يبيع لك الإسفنج[11] أو السمكة الذهبية[12] ، وتسعى بنفسك جاهدا ، ألا يأخذوا منك أكثر من الثمن المطلوب . هل سنكرر هذا وللاَّ إيه؟

ناستاسيا تيمافييفنا : لماذا تكرر عبثًا الشيء نفسه؟ حان الوقت بأن يجلس الجميع إلى المائدة . الساعة أصبحت الثانية عشرة ...

جيجالاف : اجلسوا ، هيا اجلسوا . أيها السادة ، أرجوكم كل الرجاء ، تفضلوا! (بصوت عال) هيا إلى العشاء ! أيها الشباب!

ناستاسيا تيمافييفنا : السادة الضيوف الأعزاء ، مرحبًا بكم! تفضلوا بالجلوس إلى المائدة!

زميوكينا : (أثناء جلوسها إلى المائدة) اسمحوا لى أن أسترسل بعضاً من أبيات الشعر!

أما هو فمتمرد ، يبحث عن عاصفة
وكأن فى العواصف يجد الطمأنينة [13]
أعطونى عاصفة!

يات : (يتجه جانباً) . امرأة رائعة! أنا عاشق! عاشق حتى أذناى!

يدخل كل من داشينكا ، مازجافوى ، أشابنة ، عدد من الشبان المرافقين للآنسات فى الرقص إلخ .

أقبل الجميع إلى المائدة للجلوس فى صخب ، وقفة قصيرة لمدة دقيقة ؛ تعزف الموسيقى لحنًا عسكريًا .

مازجافوى : (واقفاً) . أيها السادة! يجب أن أخبر حضراتكم بالآتى ... لقد تم الإعداد إلى العديد من النخوب والكلمات . لن ننتظر طويلاً وسنبدأ حالاً الآن . أيها السادة ، أقترح بأن نشرب نخب العروسين حديثى القران !

الفرقة الموسيقية تعزف تحية موسيقية أورا ![14] . صلصلة الكؤوس . جوركا[15]

الجميع فى صوت واحد جوركا! جوركا!

يقبل أبلومباف وداشينكا بعضهما بعضاً

يات : رائع! رائع! يجب علىَ أن أفصح لكم ، أيها السادة ، ينبغى علىَ أن أقول الحق ، بأن هذه القاعة والمبنى بوجه عام رائعان! كل شيء عظيم ، وساحر! فقط هل تعلمون ، ما الذى ينقص هذا الاحتفال المهيب؟ ينقصه الإضاءة الكهربائية ، أرجوكم المعذرة عن هذا التعبير ، عفواً ! فى جميع الدول تم تعميم الإضاءة الكهربائية إلا روسيا الوحيدة فقط المتخلفة .

جيجالاف : (متعمقًا فى التفكير) . الكهرباء ... ممم ... فى رأيى أنا ، أن الإضاءة الكهربائية – تعد فى حد ذاتها وسيلة للاحتيال ... لأنهم يضعون هناك قطعة صغيرة من الفحم معتقدين بذلك جذب أنظار الناس ! لا ، يا أخى ، إن أردت أن تحصل على إضاءة كهربائية فلا يكون باستخدام قطعة صغيرة من الفحم ، ولكن عن طريق شيء ما ذو قيمة ، شيء مميز ، إن أردت أن تحصل على نور طبيعى - هل تفهمنى؟ فالموضوع ليس فى حاجة إلى تفلسف ! .

يات : إذا رأيتم البطارية الكهربائية ، ممن تتكون ، فسوف نتناقش بطريقة أخرى .

جيجالاف : ولا أرغب فى رؤيتها . إنها ضرب من الاحتيال . إنهم يخدعون الشعب البسيط ... يبتزونه ويمتصون دمه ... نحن نعرف ، هؤلاء... وأنت أيها الشاب المحترم لماذا تدافع عن الاحتيال فمن الأفضل أن تحتسى الخمر وتصب للآخرين . هيا ، أحسنت !

أبلومباف : أنا معكم ، يا بابا ، متفق معكم تمامًا . إلى أين ستوصلنا هذه الأحاديث العلمية؟ أنا شخصيًا ليس ضد الحديث عن الاكتشافات المتنوعة بمفهومها العلمى ، ولكن الحديث عن هذا له وقت آخر! (متحدثًا إلى داشينكا) أى رأى تؤيدين، машер[16]؟

داشينكا : إنهم يرغبون فى إبراز سعة ثقافتهم ، ودائمًا يتحدثون عن أشياء غير مفهومة .

ناستاسيا تيمافييفنا : حمدًا لله بأننا عشنا عصرنا بدون تعليم ، وها هى ابنتنا الثالثة نزوجها لإنسان طيب . وإذا كنا ، حسب رأيكم ، بأننا غير متعلمين، فلماذا تأتون إلينا؟ فمن الأفضل لكم أن تذهبوا إلى أمثالكم المتعلمين!

يات : أنا ، يا ناستاسيا تيمافييفنا ، دائمًا احترم عائلتكم الموقرة ، أما فيما يتعلق بحديثى عن موضوع الإضاءة الكهربائية فلم يكن بغرض التفاخر . فى الواقع أنا أحتسى الخمر . وكم كنت أتمنى دائمًا ومن صميم قلبى أن تحظى داريا يفدوكيمافنا بعريس طيب . ففى عصرنا هذا ، يا ناستاسيا تيمافييفنا ، من الصعب الزواج من عريس صالح! فالآن كل واحد يسعى إلى أن يتزوج من أجل المصلحة ، أو من أجل مكتسبات مالية ...

أبلومباف : هذا تلميح !

يات : (وقد سيطر عليه الخوف) ليس هنا أى نوع من التلميح ... أنا لا أتحدث عن الحاضرين ... أنا أتحدث على وجه العموم ... عفوًا ! فالجميع يعرف ، بأنك تزوجت عن حب ... أما جهاز العروس فهذا شيء تافه .

ناستاسيا تيمافييفنا : لا ، ليس شيئاً تافهاً! تحدث يا سيد كما يحلو لك ، ولكن لا تتكلم بدون فائدة . لقد دفعنا ألف روبلاً عداً ونقداً ، بالإضافة إلى تقديم ثلاثة بلاطى ، سرير ، وباقى كل الأثاث . اذهب وابحث فى أى مكان آخر فلن تجد ما يماثل جهاز العروس الذى اشتريناه .

يات : أنا لا أقصد شيئًا .... حقًا الأثاث جيد و... أيضًا البلاطى ، طبعاً ، ولكن أنا أتحدث بخصوص ، أنهم مستاءون بما ذكرت .

ناستاسيا تيمافييفنا : أنت لم تلمح بأى شيء . نحن نحترمك من أجل والديك ، ولهذا دعوناك على حفل الزفاف ، أنت تتحدث فى موضوعات متنوعة. وإذا كنت تعلم أن أبامينوند ماكسيميتش يتزوج من أجل المنفعة فلماذا لزمت الصمت ، ولم تقل هذا من قبل؟ (تتحدث والدموع فى عينيها) . أنا قمت بتربية ابنتى ، وتهذيبها ، وتدليلها... قدر ما استطعت ... فكنت أحافظ عليها أكثر مما كنت أحافظ على مجوهرات الماس والزمرد ...

أبلومباف: : وحضرتك صدقتى كلامه؟ أشكرك شكرًا جزيلاً! والشكر كل الشكر لحضرتك! (ثم يتحدث إلى يات) وأنت يا حضرة السيد يات ، على الرغم من أنك تُعد من أحد معارفى ، لكن لن أسمح لك بأن تثير مثل هذه التصرفات المشينة فى بيت غريب عنك! من فضلك أخرج برَه!

يات : إلى هذا الحد ؟ كيف هذا ؟

أبلومباف : كنت أتمنى أن تكون رجلاً محترماً ، مثلى تماماً! ليس لدى سوى كلمة واحدة ـ اتفضل اغرب عن وجهى!

الموسيقى تعزف تحية موسيقية

الراقصون : (يتحدثون إلى أبلومباف) ما هذا! اتركه! وإلاّ ستنال جزاءك! . هل يستجوب الأمر كل هذا؟ إجلس! . اتركه وشأنه! .

يات : أنا لا بأس ... أنا من كل بد ... أنا فى الواقع لا أفهم.... اسمحوا لى سأخرج ... فقط أعطينى أولاً الخمسة روبلات ، التى قد أخذتها منى فى العام الماضى لشراء صديرى من الحرير ، لا تؤاخذنى . سوف أحتسى كأسًا مرة أخرى ثم أخرج ، فقط عليك أن توفى برد الدَين أولاً .

الراقصون : حسناً ، سيفعل ، سيفعل! كفىَ ! هل يستجوب ذلك كل هذه التفاهات؟

الأشبين : (بصوت عال) فى صحة والدىَ العروس ، فى صحة يفدوكيم زاخاريتش! ناستاسيا تيمافييفنا! .

الموسيقى تعزف تحية موسيقية . الجميع يهتف « أورا »



مشهد من مسرحية ”حفل زفاف“

جيجالاف : (متأثرًا فى عواطفه ، ينحنى محييًا الجميع فى كل الاتجاهات). أشكركم جميعًا! . الضيوف الأعزاء! أشكركم شكرًا جزيلاً ، على أنكم لم تنسونا ، وقد شرفتمونا ، ولم تعرضوا عن الحضور ! .... أما بالنسبة لى فلا تظنوا بأننى كنت بخيلاً أو محتالاً ، بل ببساطة مُجرَّد أحاسيس ! وبكل صراحة ومن صميم قلبى ! فأنا لا أبخل بشيء على خيرة الناس ! أشكركم شكرًا جزيلاً . (يرسل لهم قبلاته عبر الهواء) .

داشينكا : (لوالدتها) . ماما ، لماذا تبكين؟ أنا سعيدة للغاية !

أبلومباف : ماما قلقة بسبب الفراق القادم لكن أنا أنصحها بأنه من الأفضل أن تتذكر حديثنا الذى انتهينا منه مؤخرًا .

يات : ناستاسيا تيمافييفنا ، من فضلك ، لا تبكى هكذا! ألا تدركين: ما هى دموع الفرح؟ فأنت امرأة مرهفة الحس . ما هى إلاّ حالة نفسية لا أكثر ولا أقل !

جيجالاف : وهل لديكم المشروم أيضًا فى اليونان؟

ديمبا : يوجد . هناك كل شىء موجود .

جيجالاف : يتراءى لى بأنه لا يوجد عندكم جروزديف[17].

ديمبا : ويوجد أيضًا جروزديف . كل شىء موجود.

مازجافوى : خارلامبى سبيريدونيتش ، جاء دوركم كى تُلقى كلمة! لترفع النخب! أيها السادة ، دعُوه يلقى كلمته!

جميع الحاضرين : (إلى ديمبا) . هيا قُلْ كلمتك ! هيا قُلْ كلمتك! حان دوركم!

ديمبا : لماذا؟ أنا لا أفهم أن ... ما هذا ؟

زميوكينا : لا ، لا! لا يجب عليك أن ترفض! هذا دوركم! قم من فضلك!

ديمبا : (يقف ، مرتبكًا) أستطيع أن أقول ... هذه روسيا وهذه أثينا. والآن هؤلاء الناس فى روسيا وهؤلاء الناس فى أثينا ... الذين يسافرون بحرًا بـ КАРАВИЯ ، والتى تعنى باللغة الروسية سفن ، أما عن طريق البر فتوجد طرق متنوعة ، طرق مزروعة . أنا أفهم جيدًا... نحن اليونانيون ، وأنتم الروس ، وأنا لا أحتاج لأى شىء ... أنا أستطيع أن أقول هكذا... هذه روسيا وهذه أثينا.

يدخل نيونين

نيونين : توقفوا ، أيها السادة ، لا تأكلوا! انتظروا قليلاً! لحظة واحدة ، يا ناستاسيا تيمافييفنا! من فضلك تعال إلى هنا! (يقود ناستاسيا تيمافييفنا جانباً ، وهو يلهث) . استمعى إلىّ ... الآن سيحضر الجنرال... أخيراً عثرت عليه ... تعذبت للغاية ... جنرال حقيقى، إنه محترم ، كبير السن ، ربما يبلغ من العمر ثمانين عاماً ، أو ربما تسعين عاماً ...

ناستاسيا تيمافييفنا : ومتى سيحضر؟

نيونين : فى الحال ، ستكونى ممتنه لى طول حياتك . إنه ليس جنرالاً فقط ، هذا إنسان رائع ، كما أنه يشبه بولا نجى[18] ! فهو ليس قائدًا للمشاة ، ولا لسلاح الرماية ، وإنما هو قائد بحرى! برتبه مقدم بحرى ، وبحسب لغتهم البحرية إنها تساوى رتبة اللواء ، أو حسب جدول الترقيات المدنية مستشار دولة . بلا شك فالرتب كلها سواء . فى الواقع رتبته أعلى .

ناستاسيا تيمافييفنا : ألا تخدعنى ، يا أندريوشنكا[19]؟

نيونين : ما هذا ، هل تقصدين بأننى غشاش ؟ اطمئنى ولا تقلقى!

ناستاسيا تيمافييفنا : (متنهدة) . لا أود أن أنفقَ الفلوس سدى ، يا أندريوشنكا ...

نيونين : كونى مطمئنة! أنه ليس بجنرال ، بل شخصية ذو هيبة! (يتحدث بصوت مرتفع) عندما قلت له: « لقد نسيتمونا ، يا صاحب السعادة! وليس هذا بجيد ، يا صاحب السعادة ، أن تنسوا معارفكم القدامى! أقول لك ، إنَ ناستاسيا تيمافييفنا ، سوف تشعر بالإساءة من جانبكم! (يذهب إلى المائدة ، ويجلس) أما هو فيقول:«عفوًا ، يا صديقى العزيز ، كيف أذهب ، إذا كنت على غير معرفة بالعريس؟» ـ قلت : «آه ، لا عليك ، يا صاحب السعادة، أليس كلها شكليات ؟» . «ثم قلت له بأن العريس إنسان غاية فى الروعة ، وصريح . إنه يعمل مثمنًا فى بنك التسليف، ولكن لا تعتقدوا سيادتكم ، يا صاحب السعادة، أنه شخص حقير أو ضيق الأفق . الآن فى بنوك التسليف توجد سيدات تعملن وأيضاً على قدر كبير من الأخلاق» فربت على كتفى ، ودخَنا سويًا سيجار هافانا ، وهو الآن فى طريقه إلى هنا... انتظروا ، أيها السادة، لا تأكلوا ....

أبلومباف : ومتى سيحضر ؟.

نيونين : حالاً ، لحظات وسيصل . عندما خرجتُ من عنده ، كان قد ارتدى حذاءه الشتوى من اللباد . انتظروا ، أيها السادة ، لا تأكلوا ...

أبلومباف : ولذلك من الضرورى أن نعطى أمراً بعزف موسيقى المارش العسكرى...

نيونين : (بصوت عال) . هيا ، أيها السادة العازفون! فلتعزفوا المارش العسكرى.

الموسيقى تعزف مارش عسكرى لمدة دقيقة .

الخادم : (يعلن) . سعادة ريفونوف كاراؤولاف!

يهرع كل من جيجالاف ، وناستاسيا تيمافييفنا ، ونيونين لمقابلته . يدخل ريفونوف – كاراؤولاف .

ناستاسيا تيمافييفنا : (تنحنى تحية له) أهلاً وسهلاً ، يا صاحب السعادة ! إنه لشرف عظيم!

ريفونوف : شكرا جزيلاً .

جيجالاف : نحن ، يا صاحب السعادة ، لسنا أناسًا مشهورين ، ولسنا من علية القوم ، نحن من البسطاء ، فلا يجب أن تظنوا ، بأنه يوجد أى نوع من الاحتيال من جانبنا. فالناس الطيبون يشغلون المكانة الأولى لدينا ، ولا نبخل عليهم بشيء . مرحبًا بكم !

ريفونوف : أنا مسرور جدًا .

نيونين : اسمحوا لى أن أقدم لسيادتكم ، يا صاحب السعادة! العريس أبامينوند ماكسيميتش أبلومباف مع الشابة ... أى مع عروسه! إيفان ميخايلافيتش يات! الموظف فى مكتب التلغراف! وها هو الحلوانى الأجنبى الذى يدعى بخارلامبى سبيريدونيتش ديمبا! وهذا أسيب لوكيتش بابلمان- ديبسكى! وآخرون وآخرون ... أما الباقون فلا يستحقون التقديم . فلتتفضل بالجلوس ، يا صاحب السعادة!

ريفونوف : سعيد جدًا! عفوًا ، أيها السادة ، أريد أن أقول كلمتين لأندريوشا (يقود نيونين جانبا) أنا ، يا أخى ، مرتبك قليلاً ... لماذا تنادينى بيا صاحب السعادة؟ أنا لست بجنرال! أنا مقدم بحرى متقاعد – هذا حتى أقل من عقيد .

نيونين : (يحدثه فى أذنه ، كما لو كان أصمًا) أعرف هذا ، يا فيودر ياكافليفيتش ، من فضلك ، اسمح لنا أن ننادى سيادتكم بصاحب السعادة! ألا تعلموا أنَّ ، هذه العائلة تتبع نظام السلطة الأبوية[20] وتحترم الأكبر سنًا ، وتعشق عبادة الرتب العالية ، والاحترام الزائد لصغار الموظفين لرؤسائهم.

ريفونوف : حسناً ، إذا كان الموضوع هكذا فلا بأس ... (وهو يسير متجهًا صوب المنضدة) حسنًا جدًا !

ناستيا تيمافييفنا : فلتتفضل بالجلوس ، يا صاحب السعادة! من فضلك! فلتتفضل بتناول الطعام يا صاحب السعادة! واعذرنى ، فقد تعودتم فى بيتكم على عمل كل شيء بطريقة فخمة ، أما عندنا فكل شيء يتم ببساطة ، دون تكلف !

ريفونوف : (لم يسمع) . ماذا؟ ممم ... نعم ... نعم ... عاش الناس قديماً بكل بساطة ، وكانوا دائماً راضين . وأنا شخصياً ، تقلدت عدة رتب، لكنى ما زلت أعيش بكل بساطة ... اليوم جاء لى أندريوشا ودعانى إلى هنا لحضور حفل الزفاف . فقلت له ، كيف لى أن أذهب ، وأنا شخص غريب؟ إنه أمر غير لائق! لكنه قال لى: «إنهم أناس طيبون ، يتبعون نظام السلطة الأبوية ، ويسعدون بأى ضيف...» طبعًا! هذا أمر مفروغ منه ! فإذا كان الأمر كذلك .... فلماذا لا أحضر؟ إننى سعيد جدًا . فأنا أعيش وحيدًا فى البيت ، وأشعر بالملل ، وإذا كان حضورى حفل الزفاف هذا سيكون سببًا فى سعادة أحد فلابد وأن أقوم به وبهذا فإنى أقدم معروفًا ....

جيجالاف : أيعنى أنكم تفعلون هذا من صميم قلبكم ، يا صاحب السعادة؟ كل الاحترام لشخصكم ! فأنا شخصيًا إنسان بسيط، وكم احترم مثل هؤلاء الناس ، كما لا أميل إلى أىّ سبل الاحتيال . تفضل تناول الطعام ، يا صاحب السعادة! .

أبلومباف : وهل أُحلتم على التقاعد منذ فترة طويلة ، يا صاحب السعادة؟

ريفونوف : ماذا؟ . نعم ، نعم ... بالضبط . نعم ... ولكن اسمحوا لى ، ما هذا؟ لماذا تبدو الرنجة مُرة ... وأيضًا الخبز مُر . إنه من المستحيل تناول هذا الطعام!

الجميع : جوركا ! ، جوركا ! .

يقبّل أبلومباف وداشينكا بعضهما البعض .

ريفونوف : خى- خى- خى ... فى صحتكم .

وقفة قصيرة

ريفونوف : نعم .... قديمًا كان كل شيء بسيط ، وكان الجميع راضون... وأنا أحب البساطة ... أنا إنسان طاعن فى السن ، أحلت على التقاعد عام ألف وثمانمائة وخمسة وستين . والآن أبلغ من العمر اثنين وسبعين عامًا ... نعم . طبعًا ، لقد أحب الناس فى السابق إقامة مثل هذه المناسبات ، التى لم تكن تخلو من الفخامة ، ... ولكن ... (عند رؤيته لمازجافوى فى هذه اللحظة) هل حضرتك ذلك البحار الذى .... هل هذا يعنى؟

مازجافوى : هكذا بالضبط .

ريفونوف : أجل ... هكذا .... نعم ... إن الخدمة فى البحرية كانت دائمًا صعبة . فدائمًا تحتاج إلى التروى فى التفكير ، وقدح زناد الفكر . أى أن كلمة ضئيلة الشأن تحمل مغزى خاص! . بتعبير أدق لها سمة خاصة! فعلى سبيل المثال تلك التعبيرات البحرية: مجموعة بحارة شد حبال الصوارى تتوجه إلى الصارى الأمامى ، وإلى الشراع الرئيسى! ماذا يعنى هذا؟ على الفور البحار يفهم ! خى – خى . الدقة مطلوبة كما هى موجودة فى علم الرياضيات!

نيونين : فى صحة صاحب السعادة فيودر ياكافليفيتش ريفونوف - كاراؤولاف!

الموسيقى تعزف تحية موسيقية. الجميع يهتف « أورا »

يات : تفضلتم الآن يا صاحب السعادة ، بالقول فيما يخص صعوبات الخدمة فى الأسطول البحرى . وهل العمل فى مكتب التلغراف يعد أمرًا سهلاً؟ فالآن يا صاحب السعادة ، لا أحد يستطيع أن يعمل فى مكتب التلغراف دون أن يعرف القراءة والكتابة باللغة الفرنسية والألمانية . أصعب ما لدينا - هو إرسال برقية . إنه لشيء صعبٌ للغاية! لو تكرمتم استمع (يطرق بالشوكة على المنضدة ، محاكيًا جهاز البرق لإرسال التلغراف) .

ريفونوف : ماذا يعنى هذا؟ .

يات : هذا يعنى: أننى احترم سيادتكم ، يا صاحب السعادة ، لأنك إنسان تتمتع بدماثة الخلق . هل تعتقدون أن هذا يُعد أمراً سهلاً؟ وإليك المزيد . (يضرب على المنضدة) .

ريفونوف : من فضلكم بصوت أعلى ... لا أسمع ...

يات : هذا يعنى: يا سيدتى كم أنا سعيد ، وأنا أمسك بك وأحتضنك!

ريفونوف : عن أى سيدة تتحدث سيادتك ؟ حسنًا .... (متحدثًا إلى مازجافوى) إذا كنت تواجه ريح عاتية فيجب نصب الأشرعة العليا على الصوارى! وهنا يجب وأن تصدر الأوامر : تشد الأشرعة العليا وحبال الصوارى ... ففى الوقت الذى تنبسط فيها الأشرعة على عوارض الصوارى ، تبقى فى الأسفل حبال الشراع الرئيسى وبقية الأشرعة المختلفة الأخرى ...

الأشبين : (واقفاً) . السادة الأعزاء السادة الأعز ....

ريفونوف : (يقاطع كلامه) نعم يا سيدى ... هناك العديد من الأوامر ... نعم... تستخدم الحبال لرفع الأشرعة العليا والسفلى ! حسنًا؟ ولكن ماذا يعنى هذا وما مغزاه ؟ هذا شيء بسيط جداً ! هل تعرفون إنهم يرفعون الأشرعة العليا والسفلى عن طريق الحبال... كله فى آن واحد ! عند ذلك وأثناء الرفع يوازن البحارة بين حبال الأشرعة العليا والسفلى ، وفى الوقت نفسه ، يصوب النظر إلى درجة شد الحبال الخاصة بالأشرعة ، وعند الانتهاء من ذلك يجب وأن تكون جميع حبال الأشرعة مشدودة ، وترفع جميع الحبال إلى أماكنها ، وتنبسط جميع الأشرعة ويتم التحكم فى عوارض الأشرعة بما يتناسب وتتوافق مع اتجاه الرياح...

نيونين : (متحدثاً إلى ريفونوف) فيودر ياكافليفيتش ، إن السيدة المضيفة ترجو من سيادتكم أن تتحدث فى موضوع آخر . لأن الكلام الذى تقولونه غير مفهوم للضيوف وممل...

ريفونوف : ماذا؟ من ذا الذى يشعر بالملل؟ (متحدثاً إلى مازجافوى) يا سيدى الفاضل ! إذا كانت السفينة تسير فى اتجاه معاكس للرياح فعلى الفور لابد من تغيير اتجاهها من الجانب الأيمن ببسط جميع الأشرعة للدوران مع اتجاه الرياح عن طريق تغيير زوايا حبال الأشرعة . ما هى الأوامر التى يجب أن تصدر ؟ على هذا النحو : تنطلق الصفارة بدعوة الجميع للتوجه إلى سطح السفينة ، ويتم دوران السفينة بما يتفق مع سرعة الرياح ! ... خى - خى ...

نيونين : فيودر ياكافليفيتش ، كفى ! فلتتفضل بتناول الطعام .

ريفونوف : وعلى الفور يجرى الجميع ، والآن تصدر الأوامر: كى يتخذ كل فرد مكانه ، لدوران السفينة! آه ، يا لها من حياة! دنيا ! تأمر ، وبنفسك ترى ، البحارة مثل البرق ، يركضون إلى أماكنهم ويقومون ببسط الأشرعة . وهكذا فإنك لا تستطيع أن تصبر، بل تقول بصوت عالٍ : برافو عليكم يا شباب ! (يخفض من صوته ويسعل) .

الأشبين : (يسرع ، وينتهز فرصة توقف ريفونوف عن الكلام ، ويقول) فى يومنا هذا ، ذلك اليوم ، الذى يحضر فيه الكثير لتكريم حبيبنا ...

ريفونوف : (يقاطع كلامه) . نعم يا سيدى! يجب أن تتذكروا كل شئ! على سبيل المثال: جذب حبل الشراع الأمامى ، وحبل الشراع الرئيسى! ...

الأشبين : (مستاءً) . لماذا هو يقاطعنى؟ بهذه الطريقة لن نستطع أن نقول كلمة واحدة!

ناستاسيا تيمافييفنا : نحن أُناس جُهلاء ، يا صاحب السعادة ، لا نفهم أى شيء مما تقوله، الأفضل لكم أن تحكى لنا عن شيء ما يخصنا ...

ريفونوف : (لم يسمع) . لقد أكلتُ ، شكرًا لكم . حضرتك تقولين: الأوزة؟ شكرًا ... نعم . تذكرت الماضى ... ما أطيب ذلك ، يا سيدى الفاضل! عندما تسبح فى البحر، لا تشعر بكآبة ، و... (بصوت مرتجف) تتذكر تلك الفرحة عندما يقوم البحارة بالدوران واجتياز العارض! من من البحارة لم يتحمس عندما يتذكر هذه المناورة! وبمجرد أن يصدر الأمر بإطلاق الصفاره : الكل يجتمع أعلى سطح السفينة ، ويتم الدوران واجتياز العارض ـ وكأن شرارة كهربائية تسرى فى أبدان الجميع . بداية من القائد وحتى آخر بحار – فالجميع تخفق قلوبهم فرحًا .

زميوكينا : إننى أشعر بالملل! أشعر بالملل!

تذمر شامل

ريفونوف : (لم يسمع) . شكراً ، لقد أكلتُ . (بحماس) الكل كانوا على أهبة الاستعداد يوجهون أنظارهم نحو كبير الضباط ... الذى أصدر أوامره بأن تكون حبال الأشرعة الأمامية والرئيسة تتجه ناحية اليمين وحبال الأشرعة السفلى ناحية الشمال ، وفى لمح البصر يتم تنفيذ الأوامر ... تسحب حبال شراع الصارى الأمامى وحبل شراع المقدمة ... ويصدر الأمر لمسئول قيادة الدفة للدوران تجاه اليمين! . (ثم يقف) تندفع السفينة فى اتجاه الريح ، وأخيراً تبدأ الأشرعة فى الانبساط ، ثم يأمر كبير الضباط : من يمسك بحبال الصوارى عليه الانتباه واليقظة ، أما هو فيحدق النظر إلى الشراع الثانى من الأسفل . وعندما يتم انبساط هذا الشراع يعنى أن الدوران قد تم ، ثم يدوى أمر كالرعد يقول: فكوا حبال شراع الصارى الرئيسى ! وهنا كل شئ يطير ، وتسمع طقطقة – وتحدث جلبة! . هكذا تم تنفيذ كل شئ دون أخطاء . وبهذا نجح دوران السفينة !

ناستاسيا تيمافييفنا : (وهى محتدة) يا جنرال لا تسلك سلوكا مشينا ... ألاَ تخجل وأنت هكذا فى سن متقدمة ؟

ريفونوف : تقصدين شريحة كوستاليته ، لا ، لم أتناولها... أشكركم شكرًا جزيلا .

ناستاسيا تيمافييفنا : (بصوت عال) . أقول لك ، ألاَ تخجل وأنت هكذا فى سن متقدمة؟ ويقولون عنك بأنك جنرال وتسلك سلوكا مشينًا !

نيونين : (مرتبكا) . أيها السادة ، ... أمِنَ المعقول ذلك؟ حقا ...

ريفونوف : أولاَ ، أنا لست بجنرال ، أنا مقدم بحرى متقاعد ، وهذا وفق الجدول العسكرى للرتب يعنى مقدم.

ناستاسيا تيمافييفنا : إن كنت لست بجنرال ، فلماذا أخذتم النقود ؟ وهل دفعنا لكم هذه النقود حتى تسلك هذا السلوك المشين!

ريفونوف : (مذهولاَ) أية نقود ؟

ناستاسيا تيمافييفنا	:	معروف أية نقود. النقود التى حصلتم عليها عن طريق أندريى أندرييفيتش فقد أعطاك ورقة بخمسة وعشرين روبلاً ... (تتحدث إلى نيونين) هذه غلطتك يا أندريوشنكا! وأنا لم أطلب منك أن تستأجر مثل هذا الشخص!
نيونين	:	ماذا ... دعك من هذا! أمِنَ المعقول ذلك ؟
ريفونوف	:	استأجرتمونى ... دفعتم لى ... ما هذا ؟
أبلومباف	:	معذرة! أن .... ألم تحصلوا من أندريى أندريفيتش على خمسة وعشرين روبلاً؟
ريفونوف	:	أية خمسة وعشرون روبلاً؟ (متأملاً) هكذا إذن! الآن فهمت كل شيء ... يا له من شيء قبيح! يا له من شيء قذر!
أبلومباف	:	هل حصلتم على النقود؟
ريفونوف	:	أنا لم أحصل على أية نقود! اغرب عن وجهى ! (يهب من خلف مائدة الطعام) . يا له من شيء قبيح! شيء قذر! يا لها من إهانة لرجل كبير السن... خدم فى البحرية عن جدارة! لو هذا مجتمع مستقيم، لدعوت للمبارزة، وما الذى أستطيع فعله الآن؟ (مذهولا) أين الباب ؟ فى أى اتجاه أسير؟ فليساعدنى أحد كى يخرجنى من هنا ! (يمشى) يا لها من سفالة! يا لها من حقارة! (يخرج)
ناستاسيا تيمافييفنا	:	أندريوشنكا ، أين الخمسة والعشرون روبلاً ؟
نيونين	:	هل من المعقول الحديث عن مثل هذه التفاهات؟ أهم شيء ، إننا هنا جميعًا نسعد معًا ، وأنت لا تعرفين أى شيء على الإطلاق ... (يقول بصوت عالٍ) . فى صحة الشباب! هيا فلتعزف موسيقى ، مارش عسكرى! فلتعزف الموسيقى!

تعزف الموسيقى مارش عسكرى

: في صحة الشباب!

زميوكينا : أشعر بالاختناق! أفسخ لى فأنا محتاجة إلى الهواء! فلا أستطيع التنفس بالقرب منك .

يات : (فى سعادة) كم أنتِ رائعة! كم أنتِ رائعة!

ضوضاء

الأشبين : (محاولاً أن يغطى بصوته صراخ الحاضرين) . السادة الأعزاء السيدات العزيزات فى هذا اليوم من الممكن القول ، بأنه يوم ...

تسدل الستار

****

(الهوامش)

1. داشينكا : صيغة التدليل من اسم داريا . (المترجم)
2. أشابنة: جمع إشبين: عند المسيحين مَن يصاحب أحد العروسين فى جلوته أو كفيل المعمد (المترجم)
3. الكادريل: رقصة ظهرت فى نهاية القرن الثامن عشر، واشتهرت فى أوربا وروسيا حتى نهاية القرن التاسع عشر . يؤديها الراقصون فى صفين متقابلين. (المترجم)
4. هيا إلى رقصة Агран рон? гран – рон, сильвупле ، من فضلكم . (المترجم)
5. ليون سبينوزا (1825 ـ 1903) : راقص إسبانى مشهور ، قدَّم حفلات راقصة عديدة فى كل من إيطاليا ، وإنجلترا ، وألمانيا ، وسويسرا . جاء إلى روسيا وقدَّم عروضاً راقصة على مسارح المنوعات الموسيقية منذ منتصف عام 1860 ، ثم عمل ضمن فرقة مسرح البلشوى لمدة ثلاثة أعوام 1869 ـ 1972 (المترجم)
6. روم: شراب كحولى قوى . (المترجم)
7. ماديرا نوع من نبيذ معتق منسوب إلى جزيرة ماديرا فى البرتغال . (المترجم)
8. جو ـ سوتيرينو : نوع ممتاز من الخمر يستخرج من العنب . (المترجم)
9. شطر من قصيدة للشاعر ا. س. بوشكن (1797 ـ 1837) بعنوان «أحببتك....» (1829) (المترجم)
10. ديمبا يتثعثع : أى غلبت عليه فى كلامه الثاء . (المترجم)
11. الإسفنج: حيوان بحرى نباتى، رخو الجسم، وله مسام واسعة، ويستعمل هذا الإسفنج فى الاستحمام والتنظيف . (المترجم)
12. السمكة الذهبية: هى من أكثر الأسماك التى يشاع تربيتها فى الأحواض المنزلية وتنتمى إلى عائلة سمك الأشبوط . (المترجم)
13. من قصيدة «الشراع» (1832) ، كتبها الشاعر ميخائيل يوريفيتش ليرمانتف (1814ـ 1841) شاعر روسى كتب أيضاً فى النثر والمسرح . (المترجم)

14. أُورا: هتاف ابتهاج أو استحسان أو تشجيع عند الفرح أو النصر. (المترجم)

15. جوركا: هتاف يطلب فيه الضيوف من العروسين أن يقبلا بعضهما البعض. (المترجم)

16. macher: وتعنى عزيزتى بالفرنسية . (المترجم)

17. جروزديف: نوع من المشروم ينبت فجأة ويتكاثر بسرعة ، ذو سائل كاللبن . (المترجم)

18. بولانجى: (1837 – 1891) جنرال فرنسى وشخصية سياسية ، تزعم حركة النزعة الإنتقامية ضد النظام الجمهورى . (المترجم)

19. أندريوشنكا : صيغة التدليل لاسم أندريى . (المترجم)

20. نظام السلطة الأبوية : نظام اجتماعى يتميز بسلطة الأب المطلقة على الأسرة وبانتساب الأبناء إليه لا إلى أمه . ، كما يرتكز على العادات والتقاليد القديمة. (المترجم)

ЮБИЛЕЙ

(1891)

اليوبيل

فكاهة فى فصل واحد

(1891)

ترجمة

نادية سلطان

اليوبيل[1]

فكاهة فى فصل واحد

شخصيات المسرحية

شيبوتشين أندرييى أندرييفيتش	:	رئيس إدارة الاعتمادات المتبادلة فى بنك N، وهو شاب يافع، يستخدم مانوكل[2]
تاتيانا أليكسييفنا	:	زوجته، وهى فى الخامسة والعشرين.
خيرين كوزما نيكلايفيتش	:	محاسب فى هذا البنك، كبير فى السن.
ميرتشوتكينا ناستاسيا فيدروفنا	:	سيدة عجوز، ترتدى بالطو فضفاضا ذا فتحتين تخرج منهما اليدان.

أعضاء مجلس إدارة البنك.

موظفو البنك.

يجرى الحدث فى بنك N ـ للاعتمادات المتبادلة . مكتب رئيس الإدارة . على اليسار يوجد باب يؤدى إلى مكاتب الإدارة . ومكتبان من الخشب . والأثاث غاية فى الفخامة ويدل على البذخ : الأثاث وثير من القطيفة، زهور ، تماثيل ، سجاد ، تليفون. وقت الظهيرة .

خيرين (يقف بمفرده ، يرتدى حذاءً شتويًا من اللباد ذى رقبة طويلة) .

خيرين : (يصرخ بأعلى صوته صوب الباب) : أرسلوا بإحضار قطرة الفاليرن[3] من الصيدلية ، ذات الخمس عشرة كابييكا[4] ، وأمروا بإحضار كوب نظيف من الماء إلى مكتب المدير! . قلت لكم هذا مائة مرة! (وهو يتوجه نحو المكتب) . إننى أشعر بالتعب الشديد . لليوم الرابع على التوالى أواصل الكتابة ولم أذق للنوم طعمًا ، ولم تغمض لى عيناً . فأكتب منذ الصباح حتى المساء هنا ومن المساء إلى الصباح فى البيت . (تصيبه نوبة من السعال) وفى الوقت نفسه أصابنى التهاب ناخر فى جسمى كله . فجسمى يرتجف من الحمى ، حرارة، سعال ، لقد انهكت الحمى قدمي حتى لاحت فى عينى كل تلك الآلام... تصدر منه تأوهات . (يجلس) . مدير الإدارة هذا متكلف ، وغد ... سيلقى اليوم فى اجتماع عام تقريراً بعنوان: " بنكنا فى الحاضر والمستقبل" . يعتقد فى نفسه أنه جامبيتا[5]... (يكتب) . اثنين ... واحد... واحد... ستة ... صفر... سبعة... ثم ستة ... صفر... واحد ... ستة . لديه الرغبة الشديدة فى خداع الآخرين ، أما أنا فأجلس وأعمل لمصلحته مثل المحكوم عليه بالأشغال الشاقة!... الشيء الوحيد الذى سيفعله ، سوف يسترسل فى هذا التقرير بإلقاء الأشعار فقط وليس إلا ، أما أنا فأجلس طوال اليوم منذ طلوع الشمس حتى غروبها أحسب على العداد[6] ، لعنة الله عليه!... (ينقر على العداد) لقد نفد صبرى! يعنى واحد... ثلاثة... سبعة... اثنين... واحد... صفر ...وعدنى بأن يكافئنى على الأعمال الكثيرة التى أقوم بها .

فإذا تم اليوم كل شيء بسلام وعلى ما يرام واستطاع ذر الرماد في عيون الضيوف وخداعهم ... فسوف أحصل كما وعدني على نيشان من الذهب وثلاثمائة ... مكافأة لي ... سوف نرى (وهو يكتب) وإذا ما ضاعت كل أعمالي هباءً منثورًا ، فلا تؤاخذني يا أخي ... فأنا إنسان حاد الطبع ... وأستطيع يا أخي في حالة الغضب أن أرتكب جريمة... نعم!

من وراء الكواليس تتعالى الأصوات ويدوي التصفيق ، ويسمع صوت شيبوتشين وهو يقول : "أشكركم! أشكركم! كم هو مؤثر في العواطف للغاية !" . ويدخل شيبوتشين وهو يرتدي السترة الرسمية ، ورباط عنق أبيض ، ويحمل في يده ألبومًا قد أعطوه له إياه في التو واللحظة .

شيبوتشين : (واقفًا عند مدخل الباب ، موجهًا كلامه إلى موظفي إدارة البنك) : هديتكم هذه ، أيها الزملاء الأعزاء ، سوف أحتفظ بها حتى آخر يوم في عمري كذكرى عن أسعد أيامي التي عشتها ! نعم ، أيها السادة الأعزاء ! مرة أخرى أشكركم! (وهو يبعث بقبلة عبر الهواء ثم يتوجه إلى خيرين) قائلاً له: عزيزي كوزما نيكلايفيتش يا أعز الناس وأكثرهم عندي احترامًا !

وأثناء تواجده على خشبة المسرح ، يدخل الموظفون و يخرجون من وقت لآخر بالأوراق لتوقيعها .

خيرين : (ينهض واقفاً): يشرفني أن أهنئكم ، يا أندريي أندرييتش، بمرور خمسة عشر عامًا على إنشاء بنكنا هذا ، وأتمنى أن...

شيبوتشين : (يضغط بشدة على يده) أشكرك يا عزيزي ! شكرًا لك! ومن أجل هذا اليوم العظيم ، وبمناسبة الاحتفال باليوبيل أرى أنه من الممكن أن أقبلك!...

يُقبِّلُ كل منهما الآخر .

: إننى سعيد جداً ، جداً ! شكراً لك على ما تقدمه من خدمات فى العمل ... أشكرك على كل شيء ، على ما فعلت شكراً ! لى الشرف أن أكون مديراً لهذه الإدارة بالبنك ، وإذا كنت قد قمت بتحقيق شيء مفيد ، فهذا يرجع وقبل كل شيء إلى زملائى فى العمل فأنا مدين لهم بهذا . (يتنهد ويقول) نعم يا أخى العزيز خمسة عشر عاماً! خمسة عشرة عاماً لم أكن شيبوتشين هذا ، الذى تراه أمامك! (بلهفة) . إيه ، ماذا عن تقريرى؟ هل اكتمل إعداده؟

خيرين : نعم . لم يبق على الانتهاء من إعداده سوى خمس صفحات .

شيبوتشين : رائع . هذا يعنى أن التقرير سوف يكون جاهزاً قبيل الساعة الثالثة ؟

خيرين : إذا لم يقم أحد بمضايقتى فسوف أنتهى من إعداده . لم يبق سوى أشياء بسيطة تافة .

شيبوتشين : عظيم . رائع ، ده أنا شيبوتشين ! سوف ينعقد الاجتماع العام فى الساعة الرابعة ، فمن فضلك يا عزيزى ، أعطنى الجزء الأول من التقرير كى أتصفحه ... وأدرسه بإمعان، ناولنى إياه بسرعة ... (يأخذ التقرير) إننى أعلق آمالاً عريضة على هذا التقرير ... إنه profession de.foi[7] ، أو بالأحرى يمكن القول بإنى سوف أحدث فرقعة مدوية- كالألعاب النارية ... نعم كالألعاب النارية ، ده أنا شيبوتشين! (يجلس ويقرأ فى صمت التقرير) لقد تعبت ، وكأننى أعيش فى جهنم ... فقد حدث أن أصابتنى الليلة نوبة ألم مرض النقرس ، وانشغلت طول الصباح حتى قمة رأسى بمتابعة الكثير من المتاعب الخاصة بأعمال البنك ، ركضاً ذهاباً وإياباً ، ثم تلك الاضطرابات وهذه العاصفة من الهتاف والتصفيق ، والهرج والمرج... تعبت!

خيرين : (يكتب) اثنان ... صفر ... صفر ... ثلاثة ... تسعة ... اثنان... صفر ... لقد زغلت عيناى من كثرة الأرقام ... ثلاثة ... واحد... ستة ... أربعة ... واحد ... خمسة .... (وهو ينقر على العداد)

شيبوتشين : حدث صباح اليوم أيضا أمر مزعج ... فقد حضرت اليوم إلىَ زوجتك ، تشكو لى منك مرة أخرى . إذ قالت بأنك كنت تطاردها هى وأختها مساء أمس وتجرى وراءهما بالسكين. بالله عليك يا كوزما نيكلاييتش عن ماذا ينم هذا السلوك؟ ما هذا التصرف؟ عيب - عيب!

خيرين : (بكل صرامة) : أندريى أندرييتش ، هل يمكن من أجل اليوبيل ، أن أتجاسر وأتوجه إليكم برجاء ، وهو أن أرجوكم رجاء حارًا ومن أجل احترام الأعمال الشاقة التى أقوم بها ، ألا تتدخل سيادتكم فى حياتى العائلية . أتوسل إليكم!

شيبوتشين : (يتنهد) كوزما نيكلاييتش لديكم طبع لا يطاق! أنت إنسان رائع ، ومحترم ، ولكن سلوكك مع النساء كسلوك جاك[8] . فى الحقيقة ، أنا لا أفهم لماذا تبغضهن هكذا إلى هذه الدرجة؟

خيرين : وأنا لا أفهم : لماذا سيادتك تحبهن كثيرًا لهذه الدرجة؟

وقفة قصيرة

شيبوتشين : الآن قَدَّم لى الزملاء الموظفون بالبنك ألبوماً هدية ، أما أعضاء إدارة البنك ، كما سمعت ، فيريدون أن يقدموا لشخصى خطاب شكر وتهنئة بمناسبة اليوبيل ، وأيضا إبريقا من الفضة هدية... (وهويعبث بالمانوكل) . حسناً ، فأنا شيبوتشين! هذا ليس شيئًا زائدًا عن اللزوم ... فمن أجل سمعة البنك يلزم عمل بعض الفخفخة والأبهة المظهرية، يا عينى علىَ! أنت سندى الذى اعتمد عليه ، وطبعا يجب عليك أن تكون على علم ودراية بكل شيء ...

فأنا الذى ألفت وكتبت خطاب الشكر والتهنئة بمناسبة اليوبيل ، وإبريق الفضة أنا أيضًا الذى اشتريته بنفسى... نعم ، حتى غلاف خطاب الشكر والتهنئة فكلفنى خمسة وأربعين روبلاً ، فلن تستقيم الأمور بدون عمل هذا. وحتى الموظفون أنفسهم لم يفطنوا إلى هذا . (وهو يتلفت حوله بحذر) . هكذا هو الوضع! ماذا يعنى هذا الوضع! يقولون عنى بأننى إنسان اهتم بسفاسف الأمور ، وأن كل ما يهمنى ، أن تكون جميع أقفال الأبواب نظيفة ولامعة، ولابد وأن يرتدى الموظفون رباط العنق التى تساير أحدث صيحات الموضة ، وأن يقف حارس بدين عند مدخل البنك. لكن لا يا سادة . أقفال الأبواب ، وحارس بدين - ليست بالشيء التافه . أما فى البيت عندى فمن الممكن أن أكون بسيطاً لا أهتم إلا بتوافه الأشياء ، أتناول الطعام وأخلد إلى النوم على غرار حياة الخنزير وأدمن على شرب الخمر ....

خيرين : أتوسل ، من فضلك ، بدون أى تلميحات!

شيبوتشين : آخ ، ليس هناك من يلمح بالكلام! إن لديك طبعًا لا يطاق.... ها أنا أقول ، بإننى فى بيتى من الممكن أن أكون إنسانًا ضيق الأفق لا أهتم إلا بالتوافه ، parvenu[9]، وأستسلم إلى رغباتى ولكن كل شيء هنا يجب وأن يكون en grand [10] ، هنا بنك ! وهنا يجب الاهتمام بكل أمر بسيط كى يثير الإعجاب ، وخلاصة القول ، يجب أن يكون لكل شيء صدى مهيب (يلتقط من الأرض قصاصة من الورق ويلقى بها فى مدفأة الحائط) . الخدمة التى قمت بها تجاه البنك تنحصر فى أننى رفعت من سمعة البنك عاليًا!... إنه عمل عظيم - يضرب به المثل! عمل عظيم جداً ، ده أنا شيبوتشين . (يتلفت حوله وينظر إلى خيرين قائلاً:) يا صديقى العزيز ، من الممكن أن يأتى الوفد المفوض من أعضاء إدارة البنك ، بغتة بين لحظة وأخرى ، وسيادتك مازلت ترتدى هذا الحذاء الشتوى من اللباد وتضع هذه الكوفية... وترتدى هذا الجاكت الكالح ذا اللون القميئ ... كان بإمكانك أن ترتدى بدلة رسمية ، وفى نهاية الأمر ، عليك أن ترتدى السترة الرسمية السوداء ...

خيرين : بالنسبة لى فإن صحتى أهم من أعضاء إدارة بنك سيادتكم. إننى أشعر بالتهاب حاد فى كل جسمى.

شيبوتشين : (مضطرباً) : ولكنك توافقنى الرأى بأن هذا يعد إخلالاً بالنظام! وإنك بهذا تخالف تناغم فريق العمل!

خيرين : يمكننى أن أتوارى عن الأنظار إذا حضر الوفد المفوض. فليس هذا بكارثة فادحة ... (يواصل الكتابة) سبعة ... واحد ... سبعة ... اثنان ... واحد ... خمسة ... صفر ... وأنا شخصيًا لا أطيق الفوضى، سبعة ... اثنان ... تسعة ... (ينقر على العداد) أنا لا أطيق عدم النظام ! كان من الأفضل لسيادتكم عدم دعوة السيدات الهوانم على مأدبة الغداء بمناسبة الاحتفال باليوبيل ...

شيبوتشين : يا لها من سخافات ...

خيرين : أنا أعلم، بأن القاعة سوف تمتلئ بهن اليوم كى يكون الحفل فائق الجمال والأناقة، ولكن سوف ترى اليوم كم سيفسدن لكم الأمر كله. فلن يأتى منهن سوى الأذى والفوضى.

شيبوتشين : على العكس، فإن مجتمع النساء يضفى على الأجواء كل ما هو منعش، ويرفع المعنويات!.

خيرين: : نعم ... إن قرينة سيادتكم، تبدو، سيدة متعلمة، ولكنها فى يوم الاثنين من الأسبوع الماضى، قالت شيئًا فى عجالة دون ترو، مما جعلنى مذهولا قرابة يومين فيما بعد. ففجأة وأمام العملاء الغرباء تتساءل: "هل صحيح فى البنك عندنا، أن اشترى زوجى الكثير من أسهم بنك درياجسكا-برياجسكى التى هبطت أسعارها فى البورصة؟ آه، كم يقلق هذا الأمر زوجى جدًا!" حدث هذا فى وجود بعض العملاء الغرباء عن البنك! لماذا تتكلمون سيادتكم هكذا بصراحة تامة معها، أنا لا أفهم! هل ترتضون سيادتكم بأن يضعونكم فى موقف حرج؟

شيبوتشين : آه ، كفى ، كفى! سيكون هذا شيئًا كئيبًا للغاية بالنسبة لحفل اليوبيل . بالمناسبة ، ذكرتنى بشيء (ينظر إلى الساعة) . فمن المفروض أن تصل زوجتى الآن. وفى حقيقة الأمر كان ينبغى علىَ أن أذهب إلى محطة القطار ، لاستقبال تلك المسكينة ، ولكن ليس لدى وقت... بالإضافة إلى أنى متعب . واعترف بأننى لست سعيدا بها! أقصد بأنى سعيدًا ولكن من الأفضل لى أن تمكث يومين عند والدتها . فسوف تطلب منى أن أقضى معها اليوم المساء كله ، خاصة كان من المفترض اليوم أن يكون عندنا نزهة قصيرة بعد تناول الغداء . (وهنا أقشعرُ بدنه) . على أية حال بدأتُ أشعر برعشة عصبية . فلقد توترت أعصابى جدًا بما فيه الكفاية ، لدرجة اننى لأتفه الأسباب يمكن أن أجهش بالبكاء ! ولكن هذا لن يحدث إذ يجب أن أكون قويًا ، ده أنا شيبوتشين! .

تدخل تاتيانا أليكسييفنا ، مرتدية بالطو ووتريروف ، وتحمل على كتفها حقيبة سفر صغيرة

: آه، مَنْ أرى ؟ بنت حلال! للتو كنا نتحدث عنك !

تاتيانا أليكسييفنا : حبيبى! (تتجه بسرعة نحو زوجها وتقبله قبلة طويلة)

شيبوتشين : كنا نتحدث عنك حالاً ! ... (ينظر إلى ساعته)

تاتيانا أليكسييفنا : (وهى تلهث): وحشتك؟ هل أنت بصحة جيدة ؟ أنا لم أذهب إلى البيت بعد ، فقد جئت مباشرة من محطة القطار إلى هنا. إذ لابد وأن أحكى لك عن أشياء كثيرة ، كثيرة... لن أخلع البالطو ، لأننى لا أحتمل الانتظار، جئت لأتحدث معك لدقيقة واحدة (ثم تقول لخيرين) كيف حالك يا كوزما نيكلاييتش! (ثم تتوجه إلى زوجها) هل كل شيء عندنا فى البيت على ما يرام؟

شيبوتشين : كله تمام . لكنك خلال هذا الأسبوع امتلأ جسمك ، وأصبحت أكثر جمالا . قولى لى كيف كانت زيارتك؟

تاتيانا أليكسيفنا : كل شيء كان رائعا ، كله على أكمل وجه . ماما ، وكاتيا تبعثان بتحياتهما إليك . أيضًا فاسيلى اندريتش أوصانى بأن أقبلك . (وهنا تقبله) . خالتى أرسلت لك برطمانا من المربى ، والجميع غاضبون منك لأنك لا تكتب إليهم . وزينا أوصتنى بأن أقبلك . (تقبله) . آه لو علمت بما حدث! لو علمت بما حدث! كم أود أن أحكى لك عن شيء فظيع للغاية! آه ، لو عرفت بما حدث! ولكننى أرى فى عينيك بأنك غير سعيد بوجودى!

شيبوتشين : بالعكس ... يا حبيبتى ... (يقبلها)

خيرين يسعل بغضب

تاتيانا أليكسييفنا : (تتنهد) . يا لها من مسكينة كاتيا! مسكينة كاتيا! إننى حزينة عليها جدًا ، واآسفاه!

شيبوتشين : اليوم عندنا ، يا حبيبتى ، احتفال باليوبيل ، ومن المنتظر أن يحضر الوفد المفوض من أعضاء إدارة البنك بين لحظة وأخرى، وأنت ترتدين ثيابًا غير أنيقة لا تليق بهذه المناسبة .

تاتيانا أليكسييفنا: حقاً، اليوم الاحتفال باليوبيل! أهنئكم أيها السادة ... وأتمنى لكم ... هذا يعنى أن اليوم سوف يعقد اجتماع، وستقام مأدبة غداء ... إننى أحب هذا. أتتذكر خطاب الشكر الذى استغرقت فترة طويلة فى كتابته لأعضاء إدارة البنك؟ هل سوف يقرأونه لك اليوم؟

خيرين يسعل بغضب

شيبوتشين : (بارتباك) يا عزيزتى ... لا يجب التحدث عن هذه الأمور هكذا ... ومن الأفضل لو تذهبين إلى المنزل .

تاتيانا أليكسييفنا : الآن ، الآن . حسنًا ، سوف أحكى لك فى دقيقة واحدة وسأذهب . سأحكى لك كل ما حدث من البداية . حسنًا... تذكر يوم أن رافقتنى إلى محطة القطار ، وجلستُ بجانب سيدة بدينة وأخذتُ أقرأ ، فأنا لا أحب التحدث مع أحد فى عربة القطار . ومضيت أقرأ طوال ثلاث محطات ، كنت أقرأ وما تحدثت مع أحد بكلمة واحدة ... ، ثم حَلَّ المساء ، وخطر ببالى ، كما تعرف ، كل الأفكار الكئيبة! كان يجلس فى الناحية المقابلة شاب يافع ، لا بأس به ، ذو شعر أسود... حسنًا أخذنا نتجاذب أطراف الحديث ... ثم اقترب منا بحار ، وبعد ذلك انضم إلينا طالب ما ... (وهى تضحك) لقد أخبرتهم بأننى غير متزوجة ... عندئذ لا أستطيع أن أصف كيف كانوا يتوددون إلى! تكلمنا وتبادلنا أطراف الحديث حتى منتصف الليل ، حكى الشاب ذو الشعر الأسود نكات مضحكة ومسلية للغاية ، أما البحار فأخذ يغنى كل شيء ، إلى درجة أن قلبى آلمنى من الضحك . آه ، وعندما عرف البحار – آه من هؤلاء البحارة! عندماعرف بالصدفة أن اسمى تاتيانا ، أتعرف ماذا غنى؟ (غنى بصوت جهور) أنييجين[11] ، ولن أستطيع أن أخفى سرًا كم أحب تاتيانا لدرجة الجنون!. (تقهقه)

خيرين يسعل بغضب

شيبوتشين : ربما يا تانيوشا[12] ، نحن نزعج كوزما نيكلاييتش . فلتذهبى الآن إلى البيت ، يا حبيبتى ... فيما بعد...

تاتيانا أليكسييفنا : لا بأس ، لا بأس ، دعه هو الآخر يسمع أيضًا ، فهذا حديث ممتع للغاية . وسأنتهى الآن من هذا الحديث . خرج ورائى من المحطة سيريوجا[13]. وفجأة ظهر هنا شاب يعمل مفتشًا للضرائب ، وهو شاب ... لا بأس به ، ولكنه حسن الملامح، خاصة عيناه ... قدّمه سيريوجا لى ، وذهبنا جميعًا نحن الثلاثة معًا ... وكان الجو حينها رائع ...

من خلف المسرح تتعالى أصوات: " ممنوع ! ممنوع ! ماذا تريدون؟"

تدخل ميرتشوتكينا

ميرتشوتكينا : (عند الباب ملوحة بيديها رافضة) : كفى! لماذا تريدون الإمساك بى؟ شيء غريب! يجب علىَ أن أقابله بنفسى!: (تدخل متجهة إلى شيبوتشين) . أتشرف بأن أقدِّمَ نفسى لكم يا صاحب السعادة ... فأنا زوجة سكرتير المحافظة ناستيا فيدروفنا ميرتشوتكينا- يا سيدى

شيبوتشين : وماذا تريدين ؟

ميرتشوتكينا : اسمح لى ، يا صاحب السعادة ، النظر فى موضوعى - وهو أن زوجى ميرتشوتكين سكرتير المحافظة قد مرض منذ خمسة أشهر ، وما زال طريح الفراش بالبيت ويعالج ، وبدون أى سبب ، أحالوه إلى التقاعد ، يا صاحب السعادة ، وعندما ذهبت لأتسلم راتبه فوجدت ، لو سمحت لى ، أن تطلع لماذا استقطعوا وخصموا من راتبه أربعة وعشرين روبلاً وستَا وثلاثين كابييكا . فسألتهم : لماذا؟ قالوا "بأنه حصل عليه من صندوق الزمالة ، وبضمان من آخرين". كيف حدث هذا؟ فهو لا يستطيع أن يُقدم على هذا العمل دون موافقتى؟ فهذا مستحيل ، يا صاحب السعادة! أنا سيدة فقيرة ، وأقتات من مساعدة سكان المنزل الذى أقطن فيه ... وأنا سيدة ضعيفة ، ليس هناك مَنْ يحمينى ... وأتحمل الإهانة التى يوجهها لى الجميع ولا أسمع ولو حتى كلمة طيبة واحدة من أحد .

شيبوتشين : من فضلك ،... (يأخذ منها الالتماس ويقرأه واقفاً) .

تاتيانا أليكسييفنا : (متحدثة إلى خيرين) لابد وأن أحكى لك من البداية ... تسلمت فجأة من ماما خطابًا فى الأسبوع الماضى ، حيث أوضحت فيه ، أن شخصًا يدعى جريندليفسكى قد تقدُم يطلب يد أختى كاتيا . صحيح هو شاب رائع ، متواضع، ولكن ليس لديه أى موارد مادية ، ولا يشغل وضعًا اجتماعيًا مرموقًا. ويا لها من مصيبة ، تخيل إن كاتيا مغرمة به . هنا ما العمل؟ لذا ماما كتبت لى كى أسافر على وجه السرعة ، من أجل التأثير على كاتيا ...

خيرين	:	(بحدة) لو سمحتى، لقد اختلط والتبس علىَ الأمر! إنت، ماما، وكاتيا، لقد اربكتينى، وأنا لا أ فهم منك شيئاً...
تاتيانا أليكسييفنا	:	لا أهمية لذلك! عليك أن تصغى جيداً عندما تتحدث إليك سيدة! ثم لماذا تبدو اليوم غاضبًا هكذا ؟ هل وقعت فى الحب؟. (تضحك).
شيبوتشين	:	(موجهًا كلامه إلى ميرتشوتكينا). اسمحى لى، ما هذا؟ أنا لا أفهم شيئًا...
تاتيانا أليكسييفنا	:	(توجه كلامها إلى خيرين) أوقعتَ فى الحب؟ آه، ها هو وجهك قد أحمرّ خجلاً!
شيبوتشين	:	(لزوجته) تانيوشا، من فضلك يا حبيبتى اذهبى لدقيقة واحدة إلى الإدارة. أنا الآن...
تاتيانا أليكسييفنا	:	حسنًا. (تخرج).
شيبوتشين	:	أنا لا أفهم شيئًا. من الواضح يا سيدتى، أنك لم تصيبى الهدف وأتيتِ إلى المكان الخطأ وغير المناسب. لأن طلب سيادتك فى الحقيقة لا يمت لنا بأى صلة. فلتتفضلى باللجوء إلى المصلحة التى كان يخدم فيها زوج سيادتك.
ميرتشوتكينا	:	يا إلهى، أنا ذهبت إلى خمسة أماكن، ولم يقبل أحد منهم الالتماس حتى فقدت صوابى، ولكن شكرًا لزوج ابنتى بريس ماتفيتش، الذى نصحنى بأن أتوجه إليكم؛ حيث قال: "يا ماما، توجهى إلى السيد شيبوتشين، فهو شخصية ذات نفوذ، وفى مقدوره أن يفعل كل شيء" فأرجو مساعدتكم لى، يا صاحب السعادة.

شيبوتشين : نحن ، يا سيدتى ميرتشوتكينا ، لا نستطيع أن نفعل شيئًا لسيادتك . يجب عليك أن تفهمى : إن زوج سيادتك، حسبما استنتجت ، خدم فى المصلحة الطبية العسكرية ، أما مؤسستنا فهى مؤسسة تجارية خاصة ، فهذا بنك تجارى . كيف لا يمكن فهم هذا!

ميرتشوتكينا : يا صاحب السعادة ، زوجى كان وما زال مريضًا ، ومعى شهادة طبية تثبت ذلك ، ها هى ، لو تفضلتم سعادتكم بالإطلاع عليها ...

شيبوتشين : (بضجر) . شيء رائع ، أنا أصدق سيادتك ، ولكن أكرر ، بأن هذا الموضوع لا يمت لنا بصلة .

خلف خشبة المسرح تُسمع ضحكة تاتيانا أليكسييفنا ، ثم ضحكة لرجل ما .

(ينظر نحو الباب) أُلاحظ بأنها تضايق الموظفين هناك . (ثم يوجه الحديث إلى ميرتشوتكينا) إنه يبدو شيئًا غريبًا وأيضًا مثيرًا للضحك . هل زوج سيادتك لا يعرف إلى أين تتوجهين؟

ميرتشوتكينا : يا صاحب السعادة ، هو لا يعلم ما أقوم به من تصرفات . فهو دائمًا ما يردد شيئًا واحدًا فقط : " هذا الأمر لا يعنيكى ، اغربى عن وجهى! " هذا كل ما يردده فى الأمر ليس إلا...

شيبوتشين : دعينى أكرر لك يا سيدتى : زوج سيادتك خدم فى المصلحة الطبية العسكرية ، أما هنا بنك ، مؤسسة تجارية خاصة ...

ميرتشوتكينا : طبعًا ، طبعًا ، طبعًا .... أنا أدرك هذا ، يا إلهى . فى هذه الحالة ، يا صاحب السعادة ، أرجوكم أن تأمرهم بإعطائى ولو خمسة عشر روبلا! وأنا موافقة بأن يعطوها لى ولكن ليس دفعة واحدة .

شيبوتشين : (يتنهد) . أف!

خيرين : أندريى أندريتش ، بهذه الطريقة لن أستطيع الانتهاء من كتابة التقرير!

شيبوتشين : الآن (متحدثًا إلى ميرتشوتكينا) . إنك مازلت لا تفهمين. حسنًا يجب أن تفهمى ، لجوء سيادتك إلينا بمثل هذا الالتماس يُعد شيئًا غريبًا ، بالضبط مثلما تتقدمين على سبيل المثال بطلب الطلاق إلى الصيدلية أو إلى دائرة المُعايرة.

دقات على الباب . صوت تاتيانا أليكسييفنا تقول : " أندريى ، أتسمح لى بالدخول؟"

(يصرخ ، ويقول بصوت عال) انتظرى يا حبيبتى ، الآن! (ثم يتحدث إلى ميرتشوتكينا) إنهم دفعوا لك أقل من المطلوب، لكن ما لنا نحن حيال هذا الأمر؟ وبالمناسبة ، يا سيدتى، نحن اليوم نحتفل باليوبيل ومشغولون للغاية ... وربما أن تدخل الآن أى شخصية ما ... فأرجو المعذرة ...

ميرتشوتكينا : يا صاحب السعادة ، ارحمنى ، ارحم سيدة يتيمة ، فأنا امرأة ضعيفة ، وليس هناك مَنْ يحمينى ... انتابنى الضنك والضيق من كل شيء حتى إننى شرفت على الموت ... وعندى قضايا مع سكان البيت ، ومشغولة بعناية ورعاية زوجى ، ومشغولة جدًا بأعمال المنزل ، بالإضافة إلى أن زوج ابنتى عاطل بدون عمل .

شيبوتشين : يا ميرتشوتكينا هانم ، أنا ... لا ، معذرة ، أنا لا أستطيع التحدث مع سيادتك! فإن رأسى أصيب بدوار ... فسيادتك بذلك تعطلينا عن العمل وتضيعين الوقت سدى ... (يتنهد، جانبًا) . هذه بلاده ، ده أنا شيبوتشين! (متحدثًا إلى خيرين) يا كوزما نيكالاييتش ، اشرح من فضلك للسيدة ميرتشوتكينا ... (يلوح بيده ، و يخرج متوجهًا إلى الإدارة) .

خيرين : (يقترب من ميرتشوتكينا ، ويتحدث بحدة) ماذا تريدين ؟

ميرتشوتكينا : أنا امرأة ضعيفة ، وليس لدى مَنْ يحمينى ... يبدو من مظهرى الخارجى أننى قوية ، ولكن إذا تدبرت أمرى فلن تجد عندى عرقا واحدًا سليماً ! وبصعوبة شديدة أقف على قدمي، وفقدت الشهية . لدرجة أننى شربت اليوم فنجاناً من القهوة ، دون أن أشعر بأى لذة.

خيرين : إننى أسأل سيادتك ، ماذا تريدين؟

ميرتشوتكينا : يا إلهى ، أرجو من سيادتك أن تأمرون بإعطائى خمسة عشر روبلاً ، والباقى خلال شهر إنْ شئتم .

خيرين : لكن يهيأ لى أنهم قالوا لسيادتك باللغة الروسية : أنَّ هنا بنك!

ميرتشوتكينا : طبعًا ، طبعًا ... إن كان هذا ضروريًا ، فإننى أستطيع أن أقدم شهادة طبية .

خيرين : هل فى رأس سيادتك عقل تفكرين به ، أم ماذا؟

ميرتشوتكينا : يا عزيزى ، إننى أطالب بشيء شرعى وفقًا للقانون ، فأنا لست بحاجة إلى أخذ شيء لا يخصنى .

خيرين : إننى أسأل سيادتك يا مدام : فى رأس سيادتك عقل تفكرين به ، أم ماذا؟ أمرك طير عقلى ، حاجة تجنن ، ليس لدى وقت للتحدث مع سيادتك إطلاقًا ! فأنا مشغول جدًا (ويشير إلى الباب) من فضلك ، أرجوك!

ميرتشوتكينا : (متعجبة) . وماذا بخصوص النقود؟ ...

خيرين : خلاصة القول ، هل فى رأس سيادتك عقل تفكرين به ، أم ماذا .... (ينقر بأصبعه على المكتب ، ثم ينقر على جبينه) .

ميرتشوتكينا : (غاضبة) ماذا؟ لا داعى إلى ذلك ، ولا حاجة إلى ذلك... فبدلاً من أن تنقر لى بإصبعك هكذا فلتفعل هذا مع زوجتك وليس معى ... أنا سكرتيرة فى المحافظة ... وهذه الطريقة لن تجدى معى!

خيرين : (محتدًا وبصوت خافت) . اغربى عن وجهى!

ميرتشوتكينا : لكن ، لكن ، لكن ... ليس هذا بالشيء الحسن!

خيرين : (بصوت خافت) . إذا لم تخرجى فى التو واللحظة ، فسوف أستدعى لك الحارس ! هيا اغربى عن وجهى! (يضرب الأرض بقدميه) .

ميرتشوتكينا : لا داعى إلى ذلك ، ليس هناك ما يدعو إلى ذلك! فأنا لا أخاف! لأننا رأينا الكثيرين أمثالك ... يا لك من شخص سيء!

خيرين : يهيأ لى ، إننى لم أر فى حياتى كلها أسوأ منك ... أُف! كما وأن شيئًا ما ضرب رأسى ... (يتنفس بصعوبة) . مرة أخرى أقول لك ... هل تسمعين؟ أنت أيتها العجوز الشريرة ، إن لم تخرجى من هنا ، فسوف أزيلك من على وجه الأرض ! فلدى طبع حاد ، وأستطيع أن أصيبك بشلل يقعدك عن العمل طول حياتك! كما أستطيع أن أرتكب جريمة!

ميرتشوتكينا : لا يهمنى ما توجهه لى من شتائم بصوت عال ، دع الكلاب تعوى والقافلة تسير . فأنا لا أخاف . فقد مرَّ علينا الكثيرون أمثالك .

خيرين : (بتهور) . لا أحتمل رؤيتها! فأنا فى غاية الاستياء! لا أستطيع! (وهو يتوجه إلى المكتب ويجلس) لقد سمحوا بدخول النساء وقد امتلأ البنك بهن ، لا أستطيع أن أكتب التقرير! لا أستطيع!

ميرتشوتكينا : أنا لا أطالب بشيء لا يخصنى ، ولكن أنا أطالب بحقى وفقًا للقانون . آه يا لك من وقح! تعمل فى مكان رسمى مثل هذا وترتدى حذاءً من اللباد ... يا لك من فلاح ...

يدخل شيبوتشين وتاتيانا أليكسييفنا.

تاتيانا أليكسييفنا : (تدخل خلف زوجها) . ذهبنا إلى الحفلة التى أقامتها عائلة بيرجنيتسكى . وكانت كاتيا ترتدى فستانًا من الحرير سماوى اللون ، مزركشًا بالدنتيلا ، وبرقبة مفتوحة ... وكانت تسريحة شعرها على شكل شينيوه ، والتى أبرزت جمال وجهها، فأنا التى قمت بتسريح شعرها . كم كانت ملابسها فى منتهى الأناقة ، وتسريحتها رائعة ، فى منتهى البساطة ، حيث بدت فاتنة!

شيبوتشين : (يعانى من صداع نصفى) . أجل ، أجل ... فاتنة ... الآن من الممكن أن يأتوا إلى هنا.

ميرتشوتكينا : يا صاحب السعادة! ...

شيبوتشين : (مكتئبًا) . هل من شيءٍ آخر؟ ماذا تريدين؟

ميرتشوتكينا : يا صاحب السعادة! ... (تشير إلى خيرين) هذا الشخص ... هو الشخص نفسه الذى نقر بإصبعه على جبينه ، ثم نقر بإصبعه على المكتب ... سيادتك أمرته بالنظر فى حل مشكلتى ، لكنه استهزأ بى وتهكم علىَ بكل ما خطر على باله من كلمات. أنا امرأة ضعيفة ، ولا أحد يحمينى .

شيبوتشين : حسنًا ، يا سيدتى سوف أنظر فى الأمر ... وسأتخذ الإجراءات اللازمة ... اخرجى من فضلك ... بعدين! ... (يتجه جانبًا) لقد بدأت أحس بنوبه النقرس!..

خيرين : (وهو يقترب من شيبوتشين ، ويقول له فى هدوء) . أندريى أندريتش ، أرجو من سيادتك أن تأمرنى بإحضار الحارس ليطردها من هنا شر طردة ! ما هذا الذى يحدث؟.

شيبوتشين : (مذعورًا). لا ، لا! إنها ستصرخ والمبنى به العديد من الشقق .

ميرتشوتكينا : يا صاحب السعادة!

خيرين : (بصوت وكأنه يبكى) . يجب علىَ أن أنتهى من كتابة التقرير! لكن بهذه الطريقة لن أنتهى من كتابته! .. (يعود أدراجه إلى المكتب) لن أستطيع!

ميرتشوتكينا : يا صاحب السعادة ، متى سأحصل على النقود؟ فأنا فى حاجة شديدة لهذه النقود فى الوقت الحالى .

شيبوتشين : (يتجه جانبًا ، وهو يقول بامتعاض) ، حاجة غر ي به امرأة دنيئة ! (ثم تحدث إليها بلطف) سيدتى ، قلت لسيادتك هذا بنك ، مؤسسة تجارية خاصة ...

ميرتشوتكينا : أرجوك أن تسدى لى معروفًا ، يا صاحب السعادة ، كن أبًا عطوفًا ... وإذا كانت الشهادة الطبية غير كافية ، فأنا أستطيع أن أتقدم بشهادة أخرى من المركز . من فضلك أصدر لهم أمرًا بأن يعطونى النقود!

شيبوتشين : (يتنهد بصعوبة) أف!

تاتيانا أليكسييفنا : (متحدثة إلى ميرتشوتكينا) يا جدتى ، يقولون لسيادتك، بأنك تزعجيهم وتعوقيهم عن العمل . يا لك من إنسانة غريبة حقًا .

ميرتشوتكينا : ياغندورة يا إلهى ، عجبًا لك . إن أحدًا لم يقدم لى يد المساعدة. وعلى الرغم من كل ما أقوم به يتهموننى بالكسل وبأنى أشرب وآكل ، مع أننى شربت اليوم القهوة دون أى لذة .

شيبوتشين : (فى إعياء تام متحدثًا إلى ميرتشوتكينا) . كم تحتاجين من نقود؟

ميرتشوتكينا : أربعة وعشرين روبلاً وستًا وثلاثين كابييكا .

شيبوتشين : حسنًا!... (يخرج من المحفظة ٢٥ روبلاً ويعطيها إياها) إليك خمسة وعشرون روبلاً . خذيها ... واتفضلى اخرجى من هنا!

خيرين يسعل بغضب

ميرتشوتكينا : أشكركم للغاية، يا صاحب السعادة ... (وتخفى النقود)

تاتيانا أليكسييفنا : (تجلس بالقرب من زوجها) لقد حان الوقت للذهاب إلى البيت الآن... (وهى تنظر إلى الساعة) . ولكننى لم أنته من كلامى بعد ... سوف أكمل لك الحكاية فى دقيقة واحدة ثم أذهب ... ماذا حصل! آه ماذا حدث ! وهكذا ذهبنا لحضور هذه الأمسية عند بيريجنيتسكى ... كانت أمسية لا بأس بها ، كان يسودها جو من المرح ، ولكن ليس للغاية ... وبطبيعة الحال كان جريندليفسكى العاشق الولهان لكاتيا موجودًا ... وتحدثت مع كاتيا وبكيت لفترة وأثرت عليها . فى هذه الأمسية نفسها تكلمت كاتيا مع جريندليفسكى وصارحته برفضها طلب يدها للزواج . اعتقدت أن كل شيء قد تم على أحسن ما ينبغى . وطمأنت ماما، وأنقذت كاتيا ، وحينها أحسست بالاطمئنان ... تفتكر ماذا حصل فيما بعد؟ قبيل العشاء كنت وكاتيا نسيرفى ممشى الحديقة وفجأة ... (وهى مضطربة) . وفجأة سمعنا صوت طلقة رصاصة... لا ، أنا لا أستطيع أن أتكلم عن هذا ، فلم أتمالك نفسى! (تهوى بالمنديل) لا ، لا أستطيع!

شيبوتشين : (يتنهد) أُف!

تاتيانا أليكسييفنا : (تبكى) . جرينا صوب التعريشة ، وهناك ... كان يرقد المسكين جرينديليفسكى مستلقيا على الأرض ... ممسكًا مسدسًا بيده ...

شيبوتشين : لا ، لا أستطيع أن أتحمل هذا! لا أستطيع أن أتحمل! (يتحدث إلى ميرتشوتكينا) . هل تحتاجين إلى شيء آخر؟

ميرتشوتكينا : يا صاحب السعادة! هل من المستحيل أن يعود زوجى مرة أخرى إلى وظيفته ؟

تاتيانا أليكسييفنا : (وهى تجهش فى البكاء) أطلق الرصاصة مباشرة فى صدره ... وهنا فى اللحظة والتو سقطت كاتيا المسكينة على الأرض مغشية عليها ....أما هو نفسه فقد سيطر عليه الخوف... يرقد ويطلب استدعاء الطبيب بسرعة . فعلاً وصل الطبيب ... وأنقذ هذا التعيس ...

ميرتشوتكينا : يا صاحب السعادة ، هل من المستحيل أن يعود زوجى مرة أخرى إلى وظيفته ؟

شيبوتشين : لا ، لا أستطيع تحمل هذا! (يبكى) لا أستطيع تحمل هذا! (يبسط كلتا يديه نحو خيرين ، يائسًا) أخرجوها من هنا! أخرجوها ، أتوسل إليكم!

خيرين : (يدنو من تاتيانا أليكسييفنا) . اخرجى من هنا!

شيبوتشين : ليست هذه ، وإنما الأخرى ... هذه السيدة الفظيعة ها هى (مشيرًا إلى ميرتشوتكينا) هذه السيدة!

خيرين : (لا يفهمه ، ويتجه نحو تاتيانا أليكسييفنا) . اخرجى من هنا! (وهو يضرب الأرض بقدميه) اخرجى من هنا!

تاتيانا أليكسييفنا : ماذا بك؟ ما الذى حدث لك ؟ هل فقدت رشدك؟

شيبوتشين : يا للهول ، هذا أمر فظيع للغاية! كم أنا إنسان سيء الحظ! اطردوها! اطردوها!

خيرين : (يقول لتاتيانا أليكسييفنا) . اخرجى! سوف أحدث لك عاهة! سأشوهك! سوف أرتكب جريمة!

تاتيانا أليكسييفنا : (تجرى بعيدًا عنه ، وهو يجرى خلفها) كيف تجرؤ على هذا؟ يا لك من شخص وقح! (وهى تنادى) أندرييى! ألحقنى أنقذنى! أندرييى! (تصرخ)

شيبوتشين : (يجرى خلفهما) من فضلكما كُفا عن هذا! أتوسل إليكما! هُس! ارحمونى!

خيرين : (يجرى وراءِ ميرتشوتكينا) . اخرجى من هنا! أمسكوا بها! اضربوها قطعوها!

شيبوتشين : (يصرخ) . كفوا عن هذا! أرجوكم! أتوسل إليكم!

ميرتشوتكينا : يا إلهى ... يا إلهى ... (تصرخ) يا إلهى!...

تاتيانا اليكسييفنا : (تصرخ). أنقذونى! الحقونى! آه ، آه ... شيء فظيع! فظيع! (تقفز على الكرسى ، ثم تسقط على الكنبة وتتألم ، وكأنما قد فقدت الوعى) .

خيرين : (يجرى وراء ميرتشوتكينا) . اضربوها ! كسروها ! اذبحوها !

ميرتشوتكينا : آه ، آه ... يا إلهى ما هذا ، لقد أظلمت الدنيا فى عيناى! آه ! (تسقط بدون وعى على يدى شيبوتشين)

طرق على الباب ، وصوت من خلف المسرح : "الوفد المفوض !"

شيبوتشين : الوفد المفوض .... السمعة .... الوظيفة .



سقوط "تاتيانا اليكسييفنا" على الكنبة و "خيرين" يتعقبها

خيرين : (يضرب الأرض بقدميه) . لماذا أتى بى الشيطان إلى هنا ! (يشمر أكمامه) أعطونى إياها ! من الممكن أن أرتكب جريمة!

يدخل الوفد المفوض ويتكُون من خمسة أشخاص : وجميعهم يرتدون حلل السهرة الرسمية . أحدهم يمسك بكلتا يديه خطاب الشكر ذو الغلاف المبطن بالقطيفة، وآخر يمسك الإبريق الفضى . وينظر من باب الإدارة الموظفون ، ترقد تاتيانا أليكسييفنا على الكنبة ، و يحمل شيبوتشين بكلتا يديه ميرتشوتكينا ، والسيدتان تتأوهان بصوت خافت .

عضو إدارة البنك : (يقرأ بصوت عال) . سعادة العزيز المحترم أندريى أندرييفيتش! بإلقاء نظرة تأملية على الأحداث الماضية لإدارتنا المالية وبنظرة فاحصة لتاريخ النمو التدريجى للمؤسسة ، فقد ترك كل هذا فى نفوسنا انطباعا سارًا للغاية. حقيقة ، فى الفترة الأولى لإنشاء الإدارة كان مقدار رأس المال الأساسى صغير ؛ لم تكن هناك عمليات مالية جادة ، وعلى الرغم من غموض الأهداف وضعتم نصب الأعين فلسفة هاملت التى تقول : " أكون أو لا أكون " ، وفى وقت من الأوقات تعالت الأصوات التى تطالب بإغلاق البنك . ولكن ها هو سيادتكم أصبحتم رئيسا لهذه الإدارة. ولغزارة معرفتكم ، ولحماسكم الذى يتسم باللباقة والحصافة التى كانت سببا لهذا النجاح المنقطع النظير والازدهار الذى لا مثيل له . إن سمعة البنك...... (يكح) ... إن سمعة البنك......

ميرتشوتكينا : (تتأوه) . آه! آه!

تاتيانا اليكسييفنا : (تتأوه) أعطونى قليلاً من الماء! رشفة ماء!

عضو إدارة البنك : (يستمر فى القراءة) . إن سمعة ... (يكح) إن سمعة البنك ارتفعت بفضلكم إلى منزلة رفيعة ، جعلت إدارتنا تستطيع الآن أن تنافس أفضل الإدارات الأجنبية...

شيبوتشين : الوفد المفوض .... السمعة .... الوظيفة ... كان يسير صديقان وقت المساء ودار بينهما حديث جاد ... الحق معك ، لقد ضاع الشباب ، وتمزق إربًا إربًا بحماستى .

عضو إدارة البنك : (يستمر فى الارتباك) . وبعد إلقاء نظرة موضوعية على الحاضر ، نحن ، يا سعادة العزيزالمحترم أندريى أندرييفيتش (بصوت خافت) . فى حالة كهذه نحن فيما بعد ... نحن من الأفضل فيما بعد...

يخرجون فى حيرة وارتباك

تسدل الستار

****

(الهوامش)

1. اليوبيل : احتفال وابتهاج كبير بعيد أو مناسبة ، أو حادثة مهمة بانقضاء فترة زمنية مثل : اليوبيل الفضى بانقضاء خمسة وعشرين سنة ، اليوبيل الذهبى بانقضاء خمسين سنة ، اليوبيل الماسى بانقضاء خمسة وسبعين سنة . (المترجم)
2. مانوكل: نظارة أحادية العدسات . (المترجم)
3. دواء Valerian يستخرج من جذور نبات الناردين وهو من فصيلة الناردیات ، ذو زهر صغير أبيض أو قرنفلى ، عقار قوى الرائحة ، ويستخدم كمهدئ للأعصاب . (المترجم)
4. الكابيك: عمله روسية ، المائة الواحدة منها تساوى روبلاً واحدًا . (المترجم)
5. جامبيتا ليون ميشيل (1838 - 1882) من أبرز الشخصيات الفرنسية العاملين فى مجال السياسة ، عمل محامياً ، ومن أهم خطباء هذه المرحلة . (المترجم)
6. العداد : حاسب بدائى من الخشب لإجراء عمليات حسابية سريعة ، يشبه عداداً لتعليم الأطفال العد . (المترجم)
7. profession de.foi: بالفرنسية : هذا ملخص لوجهة نظرى . (المترجم)
8. جاك: يطلق عليه جاك السفاح الذى ظهر فى أحد أحياء مدينة لندن White chaple عام 1888 واشتهر بأنه قام بقتل العديد من النساء وأصبح أسطورة تجسد فى كثير من الأبحاث التاريخية والتراث الشعبى .(المترجم)
9. parvenu : بالفرنسية : حديث النعمة . (المترجم)
10. en grand : بالفرنسية: يعيش فى بحبوحة . (المترجم)
11. قصيدة يفجينى أنييجين (1833) ، كتبها الشاعر الروسى المعروف ألكسندر سيرجيفيتش بوشكن (1799 - 1837) وبطلتها تحمل اسم تاتيانا، لحنها فى شكل أوبرا (1878) بنفس العنوان الموسيقار الروسى بيوتر تشايكوفسكى (1840 - 1893) . (المترجم)
12. تانيوشا :صيغة التدليل لاسم تاتيانا . (المترجم)
13. سيريوجا: صيغة التدليل لاسم سيرجى . (المترجم)

О ВРЕДЕ ТАБАКА
(1902)

عن مضار التبغ
(1902)

مشهد ـ مونولوج فى فصل واحد

ترجمة
نادية سلطان

عن مضار التبغ

مشهد ـ مونولوج فى فصل واحد

شخصية المسرحية

إيفان إيفانافيتش نيوخين : زوج الست ، صاحبة مدرسة موسيقية ومدرسة داخلية للبنات .

مشهد يعرض على خشبة مسرح أحد نوادى الأقاليم

نيوخين (ذو سوالف طويلة ، بدون شارب ، يرتدى سترة (فراك)[1] رثة قديمة ، يدخل إلى خشبة المسرح بعظمة ، ثم ينحنى تحية للمشاهدين ، ويهندم الصديرى الذى يرتديه). السيدات العزيزات وبصفة خاصة السادة الأعزاء . (وهو يمشط سوالفه) . بناء على طلب زوجتى ، كان لابدَّ لى أن ألقى هنا محاضرة عامة بقصد العمل الخيرى . ماذا يعنى هذا؟ فإلقاء محاضرة ، يعنى إلقاء محاضرة - بلا شك فالأمر سيان بالنسبة لى . أنا ، طبعاً لست بأستاذ جامعى ، وبعيد كل البعد عن الدرجات العلمية ، ولكن ، ومع ذلك ، فإننى لم أتوقف منذ ثلاثين عاما ، ويمكن القول ، عن إلقاء محاضرات عن الإضرار بالصحة الشخصية وما إلى ذلك ، وأهتم بمناقشة قضايا ذات خصائص علمية ودقيقة للغاية ، وأحيانًا أيضًا أمارس الكتابة ، وتستطيعون أن تتصوروا ، مقالات علمية ، أى يعنى ليست علمية بهذه الدرجة ، ولكن لا تؤاخذوننى إن قلت بأنها شبيهة بالعلمية . وبالمناسبة ، فقد كتبت منذ أيام غير بعيدة مقالة عظيمة بعنوان " عن مضار بعض الحشرات " . وقد نالت إعجاب بناتى جدًا ، خاصة فيما يخص الحديث عن حشرة البق ، وبعد أن قرأتها ، مزقتها . فالأمر سيان بالنسبة لى ، فمهما كتبت ، فلا تستطيع أن تستغنى عن مسحوق مبيد الحشرات . يوجد عندنا كثير من البق حتى فى البيانو ... إنَّ موضوع المحاضرة التى اخترتها اليوم ، يمكن

القول ، إنها عن الضرر الذى يصيب البشرية لاستخدامها التبغ . أنا شخصيًا أدخن ، ولكن زوجتى أمرتنى اليوم بأن ألقى محاضرة عن مضار التبغ ، ولذلك ، لا شيء عندى أستطيع أن أتحدث عنه . فالحديث عن التبغ هو الحديث عن التبغ - بلا شك فالأمر سيان بالنسبة لى ، وإنى أقترح عليكم ، أيها السادة المحترمون ، أن تخصوا محاضرتى هذه باهتمام بالغ ، وإلا سيصبح الأمر على نحو آخر ويكون بدون فائدة .

ومن لا يروق له أو تخيفه جفاء المحاضرة العلمية ، فبمقدوره ألا يسمعها وعليه أن يغادر المكان . (يهندم الصديرى) . أرجو من الحاضرين خاصة السادة الأطباء الانتباه ، إذ بإمكانهم أن يستمدوا من محاضرتى هذه الكثير من المعلومات المفيدة ، فكما أن للتبغ من آثار ضارة ، فهو يستخدم أيضًا فى الطب . فعلى سبيل المثال إذا وضعت ذبابة فى علبة النشوق ، سرعان ما تموت ، ربما نتيجة لاضطراب الأعصاب . والتبغ بصورة عامة هو نبات ... عند إلقائى المحاضرة ، ستلاحظون أن عينى اليمنى عادة ما تغمز ، ولكن لا تعيروا اهتمامًا إلى ذلك ، فهذا نتيجة التوتر الذى يعترينى . فأنا إنسان عصبى المزاج ، وعلى وجه العموم بدأت عينى تطرف منذ الثالث عشر من سبتمبر عام ألف وثمانمائة وتسعة وثمانين، وهو اليوم نفسه ، الذى وضعت فيه زوجتى ، وبصفة خاصة ، الابنة الرابعة فارفارا. إن جميع بناتى وُلدن يوم الثالث عشر . على أية حال (ناظرًا إلى ساعته) نظرًا لضيق الوقت، فلن نخرج عن لب المحاضرة .

وينبغى عليكم أن تلاحظوا ، إن زوجتى تمتلك مدرسة موسيقية ومدرسة داخلية خاصة ، لكنها ليست بمدرسة داخلية حقيقية ، وإنما شيء شبيه بذلك . ويمكن القول فيما بيننا ، إنَّ زوجتى دائمة الشكوى من ضيق ذات اليد على الرغم من أنها تدخر ما يقرب من ألف وأربعين أو خمسين روبلاً ، أما بالنسبة لى فلا أمتلك كابيكا واحداً أو حتى خردلة ، وأعيش فى فقر مدقع - فبماذا إذاً تفسر هذا ! فأنا رئيس قسم الشؤون الاقتصادية فى المدرسة الداخلية . أقوم بشراء الأطعمة ، أراقب الخادمة للتأكد من أعمالها ، وأسجل المصروفات ، وأخيط الكراسات ، وأقاوم البق ، وأخرج كى أنزه كلب زوجتى ، وأصطاد الفئران ... أضيف إلى مسئولياتى مساء أمس أن أعطى الطاهية الدقيق والزيت ، وذلك بقصد إعداد شرائح البلينى . ثم باختصار عندما تم اليوم إعداد شرائح البلينى ، جاءت زوجتى إلى المطبخ وأبلغتنى أن ثلاث تلميذات لن تتناول الفطائر لمرضهن بالتهاب اللوزتين . وهكذا ، اتضح أنه قد تم طهى عدد من الفطائر الزائدة . ماذا تعتقدون أن أفعل بها؟ أمرتنى زوجتى فى بادئ الأمر أن أضعها فى القبو ، وأخذت تفكر وتفكر ثم قالت : «كُل أنت شرائح الفطائر هذه ، يا خيال المآته» . فهى عندما تكون منحرفة المزاج تنادينى هكذا : يا خيال المآته ، أو يا ثعبان ، أو يا شيطان . أى شيطان أنا؟ إنها دائمًا منحرفة المزاج . وأنا لم آكل الفطائر ، بل التهمتها ، دون أن أمضغها ، لأننى دائمًا ما أكون جوعان . فبالأمس ، على سبيل المثال ، لم تسمح لى بتناول وجبة الغداء . وتقول « أنت لا تستحق ما يقدم لك من طعام يا خيال المآته...». ولكن ، ماذا (وهو ينظر إلى الساعة) لقد اهتممنا بأشياء أخرى ، وابتعدنا عن لب الموضوع . سوف نواصل . وعلى الرغم ، وطبعًا ، الآن ترغبون أن تستمعوا

عن طيب خاطر إلى أغنية رومانسية ، أو سيمفونية رائعة ، أو أغنية أوبرا... (يغنى) «نحن لا يغفو لنا جفنا فى غمار المعركة ...» . لا أتذكر من أين هذه الكلمات ... بالمناسبة ، لقد نسيت أن أقول لكم ، إنَّ فى مدرسة زوجتى الموسيقية ، بالإضافة إلى رئاستى قسم إدارة الشؤون الاقتصادية ، يقع على عاتقى أيضًا تدريس مواد الرياضة ، والفيزياء ، والكيمياء ، والجغرافيا ، التاريخ ، الصولفيج[2] ، والأدب إلخ... إن زوجتى تأخذ أجرا خاصًا مقابل الاشتراك فى دروس الرقص ، والغناء ، والرسم ، على الرغم من أننى أقوم بتدريس الرقص والغناء أيضًا... مدرستنا الموسيقية هذه توجد فى عطفة بيتيسابتشى ، فى منزل رقم ثلاثة عشر . وربما تكون حياتى فاشلة ، وذلك لأننا نعيش فى منزل رقم ثلاثة عشر. كما أن بناتى وُلدن فى تاريخ الثالث عشر ، كما يوجد بالمنزل ثلاث عشرة نافذة ... هذا ما أردت أن أشرحه! ومَن يرغب بالتحدث مع زوجتى من الممكن أن يجدها طوال الوقت فى المنزل ، أما إذا أردتم الحصول على برنامج المدرسة ، فهو يُباع عند الحارس مقابل ثلاثين كابيكا للنسخة . (يُخرج من جيبه عددًا من الكتيبات) وها أنا ذا معى إياها إذا رغبتم فمن الممكن أن أقدمها لكم مقابل ثلاثين كابيكا للنسخة! مَن يرغب ؟

وقفة قصيرة

لا أحد يريد؟ حسنًا ، هيا بعشرين كابيكا!

وقفة قصيرة

شيء يدعو إلى الأسف . نعم ، رقم المنزل ثلاثة عشر! لم أُوفَّق فى أى شيء ، لقد تقدَّم بى العمر ، وازدادت حماقتى ... ها أنا ذا ألقى المحاضرة ، وأبدو فى الظاهر شخصًا مرحًا ، ولكننى فى حقيقة الأمر ، أود أن أصرخ بأعلى صوتى وأطير إلى مكان ما وراء البحار والجبال ، وليست لدى الرغبة فى أن أشتكى لأحد ، لدرجة اننى أتوق إلى البكاء ... ستقولون : البنات... ماذا فى أمر البنات؟ أنا أتحدث إليهن ، وهن يضحكن فقط ... فلدى زوجتى سبع بنات ... لا ، أخطأت ، يبدو ست ... (بسرعة) سبع ! أكبرهن تدعى آنا تبلغ من العمر سبعة وعشرين عامًا ، وأصغرهن سبعة عشرَ عامًا . السادة المحترمون! (يتلفت حوله) أنا إنسان تعيس ، تحولت إلى إنسان مغفل ، شخص حقير ، ولكن فى حقيقة الأمر، إنكم ترون أمامكم أبًا من أسعد الآباء . فى الحقيقة ، هذا ما يجب أن يكون ، لأنى لا أجرؤ أن أتحدث غير ذلك . ليتكم تعرفون فقط! أنى عشت مع زوجتى ثلاثة وثلاثين عامًا، ويمكن أن أقول ، إنها تُعد أفضل سنوات حياتى ، وكانت أحسنها وأفضلها على وجه العموم... قصارى القول مرت السنون ، وكأنها أسعد أوقات حياتى مرت كلمح البصر. فى الحقيقة ، فلتذهب إلى الجحيم بعيداً إلى الأبد (وهو يتلفت حوله) . على أية حال ، يبدو أنها لم تحضر بعد ، إنها ليست موجودة الآن ، ولهذا من الممكن أن أقول كل ما أريد ... . إنى أخاف جداً ... أخاف ، خاصة عندما تنظر إلىَ . وها أنا ذا أقول: بناتى لم تتزوجن بعد ، وستبقى

هكذا لمدة طويلة ، ربما لأنهن شديدات الحياء ، بالإضافة إلى أن الرجال لم يروهم على الإطلاق . فزوجتى لا ترغب فى أن تقيم الحفلات ، ولا تدعو أية ضيوف على الغداء ، ذلك لأنها امرأة بخيلة جدا ، ساخطة ، سليطة ، ولذلك لم يقم أحد بزيارتنا ، ولكن ... أستطيع أن أفشى لكم سرا... (وهو يقترب من أضواء المسرح الأمامية) من الممكن أن تروا بنات زوجتى فى الأعياد الكبيرة عند خالتهم ناتاليا سيميونفنا التى تعانى من داء الروماتيزم فهى ترتدى فستانًا أصفر اللون به نقاط سوداء بالضبط وكأنه متناثر بالصراصير .

عندها يمكن تقديم المقبلات . وإذا لم تكن زوجتى موجودة هناك ، فيمكن أن.... (يهرش فى رقبته) . عليكم أن تعلموا ، بأننى أشعر بالثمالة مجرد احتسائى كاسا واحدًا من الخمر ، وينتابنى الشعور بالطمأنينة ، ولكن فى الوقت نفسه ينتابنى الشعور بالاكتئاب ، لدرجة أننى لا أستطيع التعبير عن رأيى ، ولماذا أتذكر فى هذا الوقت سنوات الشباب ، لأننى أشعر برغبة ملحة فى الهروب ، آه ، ليتكم تعرفون ، مدى رغبتى فى ذلك! (يتكلم بحماس) أود الهروب ، تاركًا كل شيء دون الالتفات إلى الوراء... إلى أين؟ بالنسبة لى إلى أى مكان ، فالأمر سيان عندى ... أريد فقط أن أهرب من هذه الحياة الكريهة ، الدنيئة ، الرخيصة ، التى حولتنى إلى شخص عجوز ، بائس ، مغفل ، أبله ، أهرب من هذه الغبية ، التافهة ، الشريرة ، الحقودة ، السيئة ، الشحيحة ، من زوجتى هذه التى عذبتنى ثلاثة وثلاثين عاما ، أهرب من الموسيقى ، ومن المطبخ ، ومن نقود زوجتى ومن كل هذه التوافه ، والخسة ... وأن أمكث فى مكان ما بعيدًا - بعيدًا فى الريف وأقف كالشجرة ، كالعمود ، كخيال المآته فى بستان ، أقف تحت سماء مفتوحة ، وأنظر طوال الليل كيف يسطع القمر الهادئ من فوق رأسى ، وأنسى ، وأنسى كل شئ ... آه ، كم كنت أتمنى ألا أتذكر أى شيء ! ... كم كنت أتمنى أن أخلع عنى هذه السترة الحقيرة الرثة ، تلك التى أرتديتها على مدى ثلاثين عاما منذ أن تزوجت ... (ويخلع السترة) التى كنت كثيرًا أرتديها عندما ألقى محاضرة بقصد عمل خيرى... إليك عنى! (يدوس السترة بقدميه) ها هو جزاؤك ! ... ها أنا ذا كبرت فى السن ، وأصبحت فقيرًا ، بائسا مثل هذا الصديرى ذو الظهر الرث المنحول... (يشير إلى ظهره) . أنا لست فى حاجة إلى أى شيء! أنا أرفع وأطهر من هذا ، ففى يوم ما كنت شابا تمتعت بالذكاء ، وتعلمت فى الجامعة ، وحلمت واعتقدت بأننى إنسان ... الآن لست فى حاجة إلى أى شيء! لا شيء على الإطلاق سوى الهدوء... ولا غير الهدوء! (يلتفت جانبا ، وبسرعة يرتدى السترة) عندما رأى زوجته تقف خلف كواليس المسرح ... فقد حضرت وتنتظرنى هناك ... (ينظر إلى الساعة) لقد مر الوقت... وإذا سألت، فمن فضلكم وأتوسل إليكم ، قولوا لها أن المحاضرة كانت ... وأن خيال المآته ، أى أنا.... قد قام بواجبه على أكمل وجه . (ينظر جانبا ، ويتنحنح) إنها تنظر ناحيتى ... (يرفع صوته). إنطلاقا من هذا ، قلت فإن التبغ يحتوى على سم فظيع ، كما تحدثت عنه فى التو، فلا يجب التدخين بأى حال من الأحوال ، على الرغم من أنى أسمح لنفسى بالتدخين ، على نحو ما ، ولدى أمل ، فى أن محاضرتى هذه «عن مضار التبغ» قد عادت بالنفع عليكم . لقد قلت كل شيء...Dixi et animam levai[13]! (ينحنى بالتحية ويغادر فى عظمة) .

(الهوامش)

1. فراك: جاكت رسمية للسهرات ، قصيرة من الأمام طويلة من الخلف . (المترجم)
2. صولفيج : التنغيم : تمارين صوتية لصقل الأذن الموسيقية واكتساب مهارات قراءة النوتة الموسيقية . (المترجم)
3. Dixi et animam levai بالفرنسية وتعني: قلت وهدأت من روحي. (المترجم)

ТАТЬЯНА РЕПИНА

تاتيانا ريبينا

دراما فى مشهد واحد

(إهداء إلى ا. س. سوفورين)

ترجمة

نادية سلطان

تاتيانا ريبينا

دراما فى مشهد واحد

(إهداء إلى ا. س. سوفورين)

شخصيات المسرحية

أليينينا .

كاكوشكينا .

ماتفييف .

زانيوشتاين .

سابيينين .

كاتيلنيكف .

كاكوشكين .

باترونيكف .

فولجين ، ضابط شاب.

طالب .

آنسة من طبقة الذوات .

صاحب النيافة الأسقف إيفان رئيس كهنة الكاتدرائية ، رجل عجوز يبلغ من العمر 70 عامًا .

الأب نيكالاى ، قسيس شاب .

الأب اليكسى ، قسيس شاب .

الدياكون .

الشماس .

كوزما ، حارس الكنيسة .

سيدة فى ثوب أسود .

الرفيق النائب العام .

الممثلون والممثلات .

الساعة السابعة مساء . الكنيسة الكاتدرائية . تضاء كل الثريا والشمعدانات. الأبواب الفخمة مفتوحة . ينشد فريقان من كورال: الأسقفية والكاتدرائية . امتلأت الكنيسة بالناس . المكان مزدحم، والهواء خانق . تجرى مراسم الإكليل. يعقد قران سابينين وأليينينا . إشبينا الأول كاتيلنيكف والضابط فولجين ، وإشبينا الثانى شقيقها الطالب والرفيق النائب العام . كل المثقفين المحليين يرتدون ثيابا أنيقة فاخرة . يعقد القران نيافة الأسقف إيفان رئيس الكهنة ، يرتدى غطاء للرأس باهت اللون ونيافة الأب نيكالاى الأشعث يرتدى قلنسوة ، وأيضا نيافة الآب الكسيى وهو شاب فى ريعان شبابه فى نظارته السوداء . يقف فى الخلف على اليمين قليلاً من صاحب القداسة الأسقف إيفان الدياكون ـ طويل القامة نحيف الجسم ممسكا بيديه كتاب . وبين هذا الحشد من الناس توجد فرقة الموسيقى المحلية بقيادة ماتفييف .



أحد رجال الكنيسة الذين شاركوا فى عقد قران "سابينين" و "أليينينا"

الأسقف إيفان : (يقرأ) صلوا ، وأطيعوا والديكم فى الرب ، لأن هذا حق ، لأن صلوات والديكما هى التى تبارك تأسيس البيت . صلوا ، يا ربنا يا إلهنا أعط عبديك التقوى وادخلهما إلى ناموس الفرح . يا ربنا يا إلهنا انعم على عبدك بطرس وعبدتك فيرا بالبركات . ونسألك أن يكون الإثنان جسدًا واحدًا وروحًا واحدة ، وأن ترفع من شأنهما كشجرة الأرز اللبنانية ، وكرمة الصفصاف. وهب لهما عائلة صالحة ، وأن تملأ منزلهما من كل الخيرات ، واغنهما بوفرة العمل الصالح فى كل أمر بفضل بركاتك ، وأن ترزقهما أولادًا مباركين وأحفاداً ، وامنح مائدة طعامهما ثمرة شجرة زيتون جديدة ، ولتبارك هذا الزيت ليكون زيتًا مقدسًا لتقديس عبديك ، نتضرع إليك ، وأن تنير حياتهما كما تضاء السماء بنور ربنا . مجدًا واكرامًا لإسمك القدوس والروح القدس لأن لك المجد والاكرام والعزة والتقديس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور .

كورال الأسقفية : (ينشد) . آمين .

باترونيكف : الجو خانق! ما هذه القلادة التى ترتديها فى عنقك ، يا ديفيد سالامونافيتش؟

زانيونشتاين : بلجيكية . لماذا هذا العدد الغفير من الناس؟ من ذا الذى سمح لهم بالدخول؟ أف! كما لو كنا فى حمام روسى!

باترونيكف : الشرطة سيئة .

الدياكون : صلوا للرب !

كورال الكاتدرائية : (ينشد) . يا رب ارحم .

القس نيكالاى : (يقرأ) الله قدس الأقداس ، إنك تخلق الإنسان من التراب، ومن ضلعه تخلق زوجة معينة له ، وكيفما تشاء بعظمتك وجلالك ، فلن يبقى الإنسان وحيدًا على الأرض ؛ يا مالك الكون الآن ، بيدك الملك أنعم عليهما بالبيت المقدس وأجمع بين عبدك بطرس وعبدتك فيرا وأقرن بين الزوج والزوجة . إنى أعلن عقد قران وزواج الابن بطرس على الابنة فيرا ليكونا جسدًا واحدًا ، وأن تنعما بثمرة الحياة وبكثرة الأبناء . لك الملك ، والقوة والمجد للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور .

كورال الكاتدرائية : (ينشد) . آمين .

آنسة من طبقة الذوات : متحدثة إلى (زانيوشتاين) . الآن سوف يضعون أكاليل الزهور . انظر حضرتك ، انظر حضرتك.!

الأسقف إيفان : (يمسك من على المنضدة الصغيرة أكليلاً ويلتفت بوجهه نحو سابيينين).

يعقد قران عبد الله بطرس على فيرا عبدة الله باسم الأب والابن والروح القدس ، آمين . (يناول الأكليل إلى كاتيلنيكف) .

فى الحشد : ـ الأشبين فعلاً أقصر من العريس . يا له من شيء بشع. من هذا؟

: ـ إنه كاتيلنيكف . وأيضًا الضابط غير جذاب . يا سادة ، اسمحوا للسيدة بالمرور ! حضرتك ، يا مدام لن تستطيعى المرور من هنا .

الأسقف إيفان : (يلتفت إلى أليينينا) . يعقد قران عبدة الله الابنة فيرا على عبد الله الابن بطرس ، باسم الأب والابن والروح القدس (يناول الإكليل إلى الطالب) .

كاتيلنيكف : الأكاليل ثقيلة . تورمت يداى .

فولجين : لا بأس ، سأتبادل معك حملها حالاً . لدى رغبة شديدة لمعرفة من ذا الذى تفوح منه رائحة البتشول[1]!

الرفيق النائب العام : الرائحة تفوح من كاتيلنيكف .

كاتيلنيكف : أنتم تكذبون .

فولجين : هُس!

الأسقف إيفان : اللهم يا ربنا ، بكل الاعتزاز والاجلال اعقد قرانكما! اللهم يا ربنا ، بكل الاعتزاز والاجلال اعقد قرانكما! اللهم يا ربنا ، بكل الاعتزاز والاجلال اعقد قرانكما!

كاكوشكينا : (متحدثة لزوجها) . كم تبدو فيرا اليوم صغيرة السن! كم أنا متمتعة بالنظر إليها ! . لا تبدو خائفة .

كاكوشكين : هذا الأمر مألوف لها . لأنها تتزوج للمرة الثانية .

كاكوشكينا : نعم ، هذه حقيقة . (تتنهد) تمنياتى القلبية لها ! .. فلديها قلب طيب .

الشماس : (يخرج إلى وسط الكنيسة) وينشد المزمور الثامن، ويضع فوق رأسي العروسين الأكاليل من حجر كريم، اللهم نسألك أن تمنحهما حياة رغدة ، مصونين من شر الرذائل .

كورال الأسقفية : (ينشد) يضع الأكاليل على رأس العروسين ......

باترونيكف : أريد المبخرة .

الشماس : قراءة تعاليم الرسول بولس .

الدياكون : فلننصت بحكمة!

الشماس : (ينشد بصوت عميق وممتد) أيها الأخوة ، الشاكرون، نشكرك يا رب على كل شيء ومن أجل كل شيء وفى كل شيء ، باسم ربنا يسوع المسيح ، باسم الرب والأب فليطع كل منكما الآخر . أيها النساء فلتخضعن لرجالكن كما للرب ، لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضًا هو رأس الكنيسة ، وهو مخلص الجسد . وكما تخضع الكنيسة للمسيح ، كذلك النساء لرجالهن فى كل شيء ...

سابينين : (متحدثًا إلى كاتيلنيكف) أنك تضغط بالأكليل على رأسى .

كاتيلنيكف : إنك تختلق شيئًا غير صحيح . فأنا أمسك بالأكليل بعيدًا عن رأسك بثلاث فيرشوك[2] .

سابينين : أقول لك ، أنك تضغط!

الشماس : أيها الرجال ، أحبوا نساءكم ، كما أحب المسيح أيضًا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ؛ لكى يقدسها مطهرًا إياها بغسل الماء بالكلمة لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب .

فولجين : صوت جيد جهورى ... (متحدثًا إلى كاتيلنيكف) أتريد أن أبدل معك؟

كاتيلنيكف : لم أشعر بالتعب بعد .

الشماس : كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم . من يحب امرأته يحب نفسه . فإنه لم يبغض أحد جسده قط ، بل يقوته ويربيه ، كما الرب أيضا للكنيسة . لأننا أعضاء جسمه ، من لحمه ومن عظامه . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ...

سابينين : ارفع الإكليل قليلاً إلى أعلى . فأنت تضغط على رأسى .

كاتيلنيكاف : يا له من أمر سخيف!

الشماس : ... ويلتصق بامرأته ، ويكون الأثنان جسداً واحداً ...

كاكوشكين : المحافظ موجود هنا .

كاكوشكينا : أين تراه؟

كاكوشكين : ها هو يقف على اليمن بالقرب من كورال التراتيل بجانب السيد التيخوف . متنكراً.

كاكوشكينا : أراه ، أراه ، يتحدث مع ماشينكا[3] جانزين . إنها حبيبته.

الشماس : هذا السر عظيم ، ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة . وأما أنتم الأفراد فليحب كل واحد إمرأته هكذا كنفسه ، وأما المرأة فلتهب رجلها!!

كورال الكاتدرائية : (ينشد) هلليلويا ، هلليلويا ، هليللويا[4] ...

فى الحشد : ـ أتسمعى ، يا ناتاليا سيرجييفنا؟ إن الزوجة تخضع لزوجها .

ـ أتركينى وشأنى .

ضحك

- هُس ، أيها السادة هذا غير لائق!

الدياكون	:	نسأل الحكمة ، ونخضع لتعاليم الإنجيل المقدس!
الأسقف إيفان	:	السلام للكل!
كورال الأسقفية	:	(ينشد) ولروحك أيضا .
فى الحشد	:	- الرسول ، الإنجيل ... كم هو حديث طويل! حان الوقت كى يتركونا نذهب . - لا أستطيع التنفس . سأنصرف . - لن تستطيعوا الخروج . انتظروا ، سرعان ما سوف ينتهى الحفل .
الأسقف إيفان	:	قراءة من انجيل القديس يوحنا .
الشماس	:	فلننصت بحكمة !
الأسقف إيفان	:	(يخلع القلنسوة) فى سالف العصر كان عرس فى قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك . ودعى أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس . ولما فرغت الخمر، قالت أم يسوع له : «ليس لهم خمر ...» قال لها يسوع : «ما لى ولك يا امرأة؟ لم تأتِ ساعتى بعد...»
سابينين	:	(متحدثًا إلى كاتيلنيكف) . هل قاربنا على النهاية؟
كاتيلنيكف	:	لا أعرف ، أنا جاهل بهذا الأمر . لابد وأن ينتهى قريبًا .

فولجين: : ما يزالون مستمرون .

الأسقف إيفان : قالت أمه للخدام : «مهما قال لكم فافعلوه» . وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك ، حسب تطهير اليهود ، يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة . قال لهم يسوع : املأوا الأجران ماء . فملأوها إلى فوق . ثم قال لهم : اسقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكإ ...

يسمع تذمر

فولجين : ما هذا؟ أتودون دهسى ، ولا أيه؟

فى الحشد : ـ هُس! . هدوء! .

تذمر

الأسقف إيفان : ... فقدموا . فلما ذاق رئيس المتكإ الماء ـ المتحول خمرا، ولم يكن يعلم من أين هى ؛ لكن الخدام الذين كانوا قد أستقوا الماء ـ علموا ، دعا رئيس المتكإ العريس وقال له ...

سابينين : (متحدثًا إلى كاتيلنيكف) . من الذى يتأوه الآن؟

كاتيلنيكف : (يحدق النظر فى الجمهور المحتشد) . شخص ما يتحرك... إنها سيدة فى ثوب أسود ... شئ فظيع ... عليهم أن يبعدوها ...

سابينين : (محدقًا النظر) أرفع الأكليل إلى أعلى ...

الأسقف إيفان	:	... «كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ، ومتى سكروا فحينئذ الدون . أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة إلى الآن!» . هذه بداية الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل ، وأظهر مجده ، فآمن به تلاميذه .
فى الحشد		ـ لا أفهم ، لماذا يسمحون بمثل هذا العدد الهستيرى! .
كورال الأسقفية	:	المجد لك يا ربنا ، المجد لك! .
باترونيكف	:	لا تطلق هذا الأزيز ، يا ديفيد سالامونافيتش ، مثل النحلة الكبيرة . ولا تقف بظهرك تجاه المذبح . هذا لا يجوز .
زانيوشتاين	:	هذه الفتاة هى التى تزن ، مثل النحلة الكبيرة ، وليس أنا ... خى ، خى ، خى .
الدياكون	:	فلنسأل الله بكل أرواحنا ، ونسأله بكل نوايانا ...
كورال الكاتدرائية	:	(ينشد) يارب ارحم .
الدياكون	:	فلنسأل الله القادر ، ربنا وإلهنا ، صلوا ، نسألك يا رب أن تسمعنا وترحمنا .
فى الحشد	:	هُس! . كن حذرا!
		ـ إنهم يدفعوننى أنا شخصيا!
الكورال	:	(ينشد) يا رب ارحم!
فى الحشد	:	بهدوء! . هُس! .
	:	ـ مع من يسلكون هذا السلوك السيء؟

الدياكون : اللهم يا ربنا ، ارحمنا ، برحمتك الواسعة ، صلوا ، نسألك يا رب أن تسمعنا وترحمنا.

الكورال : (ينشد) يا رب ارحم (ثلاث مرات) .

الدياكون : ونصلى أيضاً لحاكم الدولة العظيم الإمبراطور الكسندر الكسندرافيتش[5] ولكل روسيا ، ونصلى من أجل الدولة ، والنصر ، والبقاء ، والسلام، والصحة، وأن تنجيه ، وندعوك يا إلهنا يا ربنا على وجه الخصوص بأن تُسرع وتعينه فى كل أعماله ، وأن تخضع تحت إمرته كل عدو مناوئ له .

الكورال : (ينشد ثلاث مرات) يا رب ارحم ...

تذمر . حركة فى الحشد .

كاكوشكينا : ما هذا؟ (تتحدث إلى السيدة التى بجوارها) . يا عزيزتى الجو لا يحتمل . ليتهم يفتحون الأبواب ، ما هذا ... سنموت من الحر .

فى الحشد : ـ إنهم يجذبونها ، وهى لا تريد ... من هذه؟ هُس! .

الدياكون : وندعو إلى قرينته صاحبة الغبطة ، زوجة القيصر الإمبراطورة ماريا فيداروفنا ...

الكورال : (ينشد) يا رب ارحم .

الدياكون : وندعو ونصلى من أجل ولى العرش ، ولحاكم الدولة المخلص الأمين ، وابن القيصر والأمير العظيم نيكالاى الكسندرافيتش ولأهل بيت القيصر .

الكورال : (ينشد) يا رب ارحم .

سابينين : آه يا إلهى ...

ألينينا : ماذا؟

الدياكون : ونصلى لمجمع الكنائس المقدس ، ولسيدنا صاحب النيافة البابا ثيوفيلوس ، وللأسقف N ... وللأسقف Z ... ولجميع الأخوة الأحباء الذين يصلون للرب ولمخلصنا يسوع المسيح .

الكورال : (ينشد) يا رب ارحم .

فى الحشد : - بالأمس فى الفندق الأوروبى مرة أخرى لقت هناك سيدة حتفها بعد أن تجرعت السم .

- نعم . يقال أنها زوجة أحد الأطباء .

- ما سبب موتها ، ألا تعرفون السبب ؟

الدياكون : ونصلى أيضًا للمجاهدين المخلصين للديانة المسيحية ...

الكورال : (ينشد) يا رب ارحم .

فولجين : كما لو أن أحدًا يبكى فعلا ... الحاضرون يسلكون سلوكًا غير لائق.

الدياكون : ونصلى أيضاً من أجل إخواننا ، القساوسة ، والرهبان الأخوة الأحباء باسم يسوع المسيح .

الكورال : (ينشد) يا رب ارحم .

ماتفييف : المهم الآن أن يبدأ المنشدون التراتيل .

ممثل كوميدى : كما لو كنا فى حاجة إليهم ، يا زاخار إليتش! .

ماتفييف : ياه ، ماذا كنت تريد ، يا لك من صاحب سحنة دميمة!

ضحك

هُس! .

الدياكون : ونصلى أيضا من أجل الرحمة ، والحياة ، والسلام ، والصحة ، والخلاص لعبدا الله بطرس وفيرا لحضورهم إلى الكنيسة .

الكورال : (ينشد) يا رب ارحم .

الدياكون : ونصلى من أجل الطوباويين[6] ...

فى الحشد : ـ نعم ، إنها زوجة دكتور ... فى فندق ....

الدياكون : ونصلى للذين نذكرهم ، قداسة البابا بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية...

فى الحشد : ـ مثلما حدث لريبينا ، التى كانت هى البداية ، هذه هى السيدة الرابعة التى لقت حتفها بتناولها السم . بماذا تفسر لى هذا ، يا عزيزى ، حالات الانتحار بتناول السم.!

ـ يبدو أنه مرض عقلى . لا يمكن أن يكون الأمر على غير ذلك .

ـ هل تعتقدون بأنها نزعة التقليد؟

الدياكون : ونصلى من أجل القياصرة الأتقياء ، والقيصرات الورعات ، ومن أجل مؤسسى هذه الكنيسة المقدسة، ومن أجل كل الآباء والأخوة الأجلاء الذين سبقونا ...

فى الحشد : ـ انتشرت عدوى الانتحار ...

ـ يا للهول ، كم يزداد مرضى الاضطراب العقلى!

ـ هُس! حسنًا ، توقفوا عن السير!

الدياكون : ... الموجودون فى كل مكان من أتباع المذهب الأرثوذكسيى .

فى الحشد : لا تصرخون ، من فضلكم .

تذمر

الكورال : (ينشد) يا رب ارحم !

فى الحشد : ـ إن ريبينا أفسدت الجو بموتها . كل سيدات المجتمع قد أصابتهن العدوى وشعرن بالجنون وأحسسن بإهانتهن .

ـ حتى الجو فى الكنيسة قد تسمم . ألا تشعرون بالتوتر ؟

الدياكون : ونصلى من أجل أصحاب الفضيلة والعفة العاملين فى أرجاء هذه الكنسية المقدسة ـ كنيسة الله الحى، ومن أجل رجالها العاملين ، المنشدين فى الحاضر والمستقبل راجين عظيم وواسع رحمتك ...

الكورال : (ينشد) يا رب ارحم !

الأسقف إيفان : لأن الرب رحيم بالبشرية اللهم عزز ومجد الأب والابن والروح القدس ، الآن وكل أوان وإلى الأبد ، وأبد الأبدين .

الكورال : (ينشد) آمين .

سابينين : كاتيلنيكف !

كاتيلنيكف : ماذا؟

سابينين : لاشيء ... يا إلهى ... إن تاتيانا بتروفنا هنا .... إنها موجودة هنا ...

كاتيلنيكف : يبدو أنك فقدت عقلك!

سابينين : السيدة فى ملابس سوداء ... إنها هى . أنا أعرفها ... رأيتها ...

كاتيلنيكف : لا يوجد هناك أى تشابه ... فقط إنها سوداء الشعر ، ولا شيء أكثر من هذا.

الدياكون : فلنصلى للرب !

كاتيلنيكف : لا تتحدث معى همسا . فهذا غير لائق . فالحاضرون يراقبوك ...

سابينين : استحلفك بالله ... إننى بالكاد أقف على قدمى . إنها هى .

تذمر

الكورال : (ينشد) يا رب ارحم !

في الحشد : ـ بهدوء! هُس! يا سادة من الذى يتدافع من الخلف ؟ هدوء !

ـ أبعدوها خلف العامود ...

ـ لا يوجد أى ممر بسبب السيدات... كان عليهن المكوث بالمنزل !

شخص – ما (يصرخ) هُس !

الأسقف إيفان : (يقرأ) . يا ربنا وإلهنا ويا مخلصنا يسوع المسيح ، يا من حضر فى عرس قانا الجليل ... (يطالع الجمهور متفحصا) يا لهم من أناس حقا ... (يقرأ) ... وبه نعلن عن عقد القران بسلطان لاهوتك ... (يرفع الصوت) أرجوكم أن تخفضوا أصواتكم من فضلكم ! إنكم تعرقلون عقد السر المقدس! لا تمشوا فى أرجاء الكنيسة ، ولا تتحدثوا ، ولا تحدثوا صخبا ، بل قفوا بهدوء وصلوا للرب . هكذا . عليكم أن تستشعروا خوف الله . (يقرأ) يا ربنا وإلهنا ويا مخلصنا يسوع المسيح يا من حل فى عرس قانا الجليل وبارك العرس بسلطان لاهوتك ، بارك واستر هذا العرس لعبديك بطرس وفيرا بسلام وألفة ومحبة وأحرسهما واحفظ مضجعهما نقيا لكى يكونا بكل تقوى وكل عفاف جسدا واحدا وروحا واحدة ودبر حياتهما بقلب نقى واحد ، وليكونا فى تعاليمك مواظبين بغير تأخير إلى حد الشيخوخة ، أيها الرب إلهنا إنك رحيم كثير الرحمة لك المجد والإكرام مع أبيك الصالح وروحك القدوس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور .

كورال الأسقفية : (ينشد) آمين .

سابينين : (متحدثا إلى كاتيلنيكف) . أرسل وبلغ الأمن ، بأن لا يسمحوا لأحد بالدخول ...

كاتيلنيكف : من سيسمح له أيضا بالدخول؟ الكنيسة مكتظة ... اصمت ، لا تهمس....

سابينين : هى ... تاتيانا هنا .

كاتيلنيكف : أنت تهذى . تم دفنها فى الجبانة ...

الدياكون : إشفع لنا ، ونجنا ، واغفر لنا ، واحفظنا برحمتك !

كورال الكاتدرائية : (ينشد) يا رب ارحم!

الدياكون : اللهم نسألك يارب أن نكمل يومنا المقدس هذا المبارك من غير خطية .

كورال الكاتدرائية : (ينشد) اللهم يا رب أنعم علينا .

الدياكون : يارب أحرسنا بملائكتك الأطهار ، وأنعم علينا بشفاعة القديسين الأبرار ، واحفظ أرواحنا وأجسادنا .

الكورال : (ينشد) اللهم يا رب أنعم علينا .

فى الحشد : - يبدو وأن هذا الدياكون لن ينهى أبدًا ... تارة يارب ارحم ، وأخرى اللهم يارب أنعم علينا .

- لقد ضقت ذرعًا بالوقوف هكذا .

الدياكون : اللهم يا ربنا نسألك المغفرة وتجنب آثامنا وخطايانا .

الكورال : (ينشد) اللهم يا رب أنعم علينا .

الدياكون : اللهم يا ربنا نسألك أن تلهم أرواحنا كل ما هو خير ونافع فى العالمين .

في الحشد : ـ مرة أخرى بدأوا في الصخب! يا له من شعب! .

الكورال : (ينشد) اللهم يا رب أنعم علينا .

أليينينا : بطرس ، أنك ترتعش ، وتتنفس بصعوبة ... هل أنت مصاب بدوار؟

سابينين : السيدة في الثوب الأسود ... ها هي ... نحن مذنبون ...

أليينينا : أية سيدة؟

تذمر

سابينين : ريبينا تئن ... مازلت أتمالك نفسي ، مازلت أتمالك نفسي ... كاتيلنيكف أنت تضغط بالإكليل على رأسي .... لا بأس ، لا بأس ...

الدياكون : اللهم يا ربنا نسألك أن نكمل باقي أيام حياتنا بكل سلام بغير خطية .

الكورال : (ينشد) اللهم يا رب أنعم علينا .

كوكشكين : تبدو فيرا شاحبة كما لو كانت متوفاة . انظر ، يبدو أن الدموع في عينيها . أما هو ، هو ... انظري!

كوكشكينا : أنا قلت وأكدت لها ، أن الجمهور سوف يسلك سلوكا سيئا! أنا لا أفهم ، لماذا هي أصرت على أن تعقد القران هنا . كان من الأفضل لها لو سافرت إلى القرية .

الدياكون : ونسأل الرب يسوع أن تكون نهاية حياتنا معتنقيين للمسيحية ، وأن تكون غير مؤلمة ، آمنة ، وغير شائنة، وأن يلهمنا الصواب يوم القيامة .

الكورال : (ينشد) اللهم يا رب أنعم علينا .

كوكشكينا : من الأفضل لو طلبنا من الأب إيفان أن يعجل ، لأن وجهها شاحب .

فولجين اسمح لى أن أبدل معك (يبدل مع كاتيلنيكف)

الدياكون : يا ربنا نسألك أن يكونا ثابتين فى الإيمان بروح القدس وأن يحب كل منهما الآخر كنفسه ، وأن يوهب حياتهما إلى يسوع المسيح! .

الكورال : (ينشد) اللهم يا رب إليك ندعو!

سابينين : شدى حيلك يا فيرا ، مثلى ... أيوه ... على أية حال ، سينتهى الإكليل حالاً . والآن سنسافر ... إنها هى ...

فولجين : هُس !

الأسقف إيفان : اللهم يا مالك الملكوت ، امنحنا الثقة ولا تخذلنا ولا تذلنا ، وندعوك أن تمنحنا نعمة من الله الآب والمسيح يسوع ربنا ! .

كورال الأسقفية : (ينشد) . يا الله يا ربنا ، يا مالك السماوات ، نمجد إسمك القدوس ، لك المجد والسلطان ...

ماتفييف : (للممثلين) . تحركوا قليلاً ، يا شباب ، أريد أن أركع على ركبتى ... (يركع على ركبتيه ويجثو على الأرض) . لتعم قدرتك يا إلهى فى ملكوت السماء والأرض ، ولتمنحنا الخبز الآن قوت يومنا ، ولتحفظه لنا طويلاً ...

كورال الأسقفية : (ينشد) ... فلتعم إرادتك ، ملكوت السماوات ... ملكوت السماوات وأرزقنا قوت يومنا ... قوت يومنا!

ماتفييف : اللهم ، تذكر عبدتك المتوفاه تاتيانا ، واغفر لها خطاياها ما ظهر منها وما بطن ، وارحمنا واغفر لنا ... (ينهض) . الجو حار!

كورال الأسقفية : ... اللهم أعطنا الآن واحفظ لنا قوت يومنا ... ولتحفظه لنا طويلاً ... واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا .

فى الحشد : عجبًا ، أطالوا ، التراتيل!

كورال الأسقفية : ... ولا تقودنا ... إلى الفتن ، و نجنا من الشيطان !

كاتيلنيكف : (متحدثًا إلى الرفيق النائب العام) . لقد لدغت ذبابة العريس . انظر ، كيف يرتعش!

الرفيق النائب العام : ماذا حدث له؟

كاتيلنيكف : اعتقد بأن السيدة التى فى الثوب الأسود ، هى تاتيانا . لذا أصابته الآن نوبة هيستيرية ، ولهذا يهلوس .

الأسقف إيفان : اللهم يا مالك الملكوت ، الذى له القوة ، والمجد مع الأب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور .

الكورال : آمين .

الرفيق النائب العام : انظر ، وكأنه يتصرف تصرفًا غريبًا ومفاجئًا!

كاتيلنيكف : يحاول أن يتمالك نفسه ، فلم يكن فى مثل هذه الحالة من قبل !

الرفيق النائب العام : نعم ، فجأة حالته أصبحت مؤلمة .

الأسقف إيفان : السلام للكل .

الكورال : ولروحك أيضًا .

الدياكون : احنوا رؤوسكم للرب!

الكورال : للرب نسجد!

فى الحشد : ـ الآن ، يبدو ، بأنهم سوف يتحركون . هُس !

: ـ هل كشفوا عن وقائع إنتحار زوجة الطبيب؟

ـ ليس بعد ، يقال أن زوجها قد هجرها . أليس سابينين أيضًا قد هجر ريبينا ! أليس هذا بصحيح؟

ـ نعم ـ ...

ـ إنى اتذكر ، كيف كشفوا عن أمر ريبينا ...

الدياكون : نصلى للرب!

الكورال : يا رب ارحم!

الأسقف إيفان : اللهم يا ربنا ياخالق الكون ، يا صاحب الملكوت ، يا من باركت كل الأكاليل ، فلتشربا كأسًا لنعقد الرباط المقدس بين الزوجين . فلتبارك هذا الزواج بالروح القدس فعبديك يستحقا البركة من قبلك ويمجدا اسمك الآن وكل آوان والى دهر الدهور. (يعطى سابينين وأليينينا ليشربا الخمر) .

الكورال : آمين .



العروسان "بطرس سابينين" و "فيرا ألييننا"

الرفيق النائب العام : انظر ، يبدو وكأنه فى حالة إغماء ، تقريبا .

كاتيلنيكف : يا لك من حيوان . يجب أن تتمالك نفسك .

فى الحشد : وأنتم أيضًا ، أيها السادة ، لا تنطلقوا فى السير هكذا، سنخرج جميعا معًا . هل زيبونوف هنا؟

ـ هنا . لابد من الإلتفاف حول عربة الخيل ، والتصفير لمدة خمس دقائق .

الأسقف إيفان : اسمحوا لى ، بمد أياديكما . (يربط يدى سابينين والييننا بالمنديل) هل الرابطة غير محكمة؟

الرفيق النائب العام : (يتحدث إلى الطالب) . أعطنى من فضلك ، أيها الشاب الإكليل ، أما أنت فأجذب ذيل الفستان .

كورال الأسقفية : (ينشد) العذراء تحبل وتلد ابناً ...

الأسقف إيفان يسير حول المنضدة ، وخلفه الشباب والآشابين .

فى الحشد : الطالب يتعثر فى ذيل الفستان .

كورال الأسقفية : وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل ، الذى تفسيره الله معنا .

سابينين : (يتحدث إلى فولجين) . هل انتهى الإكليل؟

فولجين : ليس بعد.

كورال الأسقفية : وبعظمتك يا إلهى أن تجعلنا ننعم بشفاعة العذراء .

الأسقف إيفان يسير حول المنضدة للمرة الثانية

كورال الكاتدرائية	: (ينشد) من أجل الشهيدات القديسات اللاتى كن تعانى الآلام. بارك زواجهما وصلوا للرب كى يرحمنا.
الأسقف إيفان	: (يسير للمرة الثالثة ويتبع التراتيل) ... بأرواحنا .
سابينين	: يا إلهى ، يبدو أن الحفل بلا نهاية .
كورال الأسقفية	: المجد للرب ، ولربنا يسوع المسيح والثناء لملائكته ، ولمسرة الشهداء ومواعظهم وللثالوث المقدس .
ضابط من الجمهور	: (يتحدث إلى كاتيلنيكف) . نبه سابينين بأن تلاميذ مدرسة الجمنازيا سيجتمعون ويعتزمون الصفير ويطلقون الصياح له فى الشارع .
كاتيلنيكف	: أشكرك . (يتحدث إلى الرفيق النائب العام) غير أن هذا القداس قد يمتد إلى وقت طويل! ولن ينتهى أبدًا. (يمسح وجهه بالمنديل) .
الرفيق النائب العام	: إن يدك ترتعشان ... يا لك من إنسان حساس؟
كاتيلنيكف	: إن ريبينا لا تخرج من رأسى . يخيل إلى أن سابينين يغنى ، أما هى فتبكى .
الأسقف إيفان	: (يأخذ من فولجين الإكليل ، ويعطيه لسابينين) وأنت أيها الزوج بارك الله لك ، كما بارك الله لإبراهيم، وبارك لإسحاق ، كما ضاعف المباركة ليعقوب . سر فى سلام ، واتبع وصايا الرب!
ممثل شاب	: يا لها من كلمات رائعة تقال للأوغاد !
ماتفييف	: الرب عند الجميع واحد .

الأسقف إيفان : (يأخذ من الرفيق النائب العام الإكليل ، ويعطيه لأليينينا) وأنت أيتها العروس ، الله يباركك ، كما بارك سارة ، وبارك لرفقة ، وضاعف المباركة لرحيل ، كونى خاضعة لزوجك وعليك أن تقابليه بالبشاشة والترحاب ولا تضيعى شيئًا من حقوقه عليك ، فإذا اتبعت هذا بارك الرب فيك .

فى الحشد : - (حركة سريعة للخروج)

- هدوء! يا سادة ، لم ينته بعد الإكليل!

- سكون ! . لا تتزاحموا ! .

الدياكون : فلنصلى للرب !

الكورال : يا رب ارحم !

القس الكسيى : (يقرأ ، وهو يخلع النظارة السوداء) اللهم يا ربنا كما باركت فى عرس قانا الجليل بارك لعبديك وحل عليهما العناية الآلهية وحافظ على الرباط المقدس ، اللهم بارك فى سيرهما وخروجهما ووسع فى رزقهما وأن تتقبلهما عندك فى الملكوت الأعلى ، أبرياء مصونين من السيئة والبغضاء وامنحهما حبل بلا دنس إلى أبد الآبدين .

الكورال : (ينشد) آمين .

اليينينا : (لأخيها) قل لهم ، أن يأتوا لى بكرسى . سيغشى على .

الطالب : (يتحدث إلى الرفيق النائب العام) الآن سوف ينتهى الحفل . سيغشى على فيرا !

الرفيق النائب العام : فيرا الكسندرافنا ، الآن سوف ينتهى كل شيء ! حالاً ... قليلاً من الصبر ، يا عزيزتى!

أليينينا : (تتحدث إلى أخيها) بطرس لا يسمعنى ... كما لو كان قد أصابه الذهول ... يا ربى ، يا ربى ... (تتحدث إلى سابينين) بطرس !

الأسقف إيفان : السلام للكل .

الكورال : ولروحك . أيضًا!

الدياكون : للرب نحنى رؤوسنا .

الأسقف إيفان : (متحدثًا إلى سابينين وألينينا) مجدًا وإكرامًا ولتؤمنوا بالثالوث المقدس باسم الأب والابن والروح القدس ، فلتتحدوا فى جسد واحد ، ولتؤمنوا بالثالوث المقدس وبوحدانية الرب والملكوت ، فليباركم الرب وليمنحكم طول العمر والسعادة الأبدية ولتنعموا بالحياة والإيمان وتنعموا بخير الأرض! اللهم بارك هذا الرباط المقدس ، بصلوات القديسة العذراء وكل القديسين ، آمين ! (متحدثًا إلى أليينينا مبتسمًا ويقول) من فضلك قبلى زوجك .

فولجين : (متحدثًا إلى سابينين) لماذا تقف هكذا؟ قبلها !

يتبادل العريس والعروس القبلات .

الأسقف إيفان : أهنئكم! إن شاء الله ...

كوكشكينا : (تتوجه إلى أليينينا) يا عزيزتى ، يا حبيبتى .... كم أنا سعيدة! أهنئك !

كاتيلنيكف : (متحدثا إلى سابينين) أهنئك ، لقد تم الإكليل وأصبحت عريسا ... عجبا لا داعى لشحوب وجهك ، فقد انتهى هذا العمل الممل ...

الدياكون : عليك أن تكون أكثر حصافة .

تبادل التهانى

الكورال : (ينشد) بشفاعة سيدتنا العذراء مريم الطاهرة وفخر جنسنا المفضلة على سائر جنس البشر والقديسين والتى تفوق منزلة الملائكة ساروفيم وكروبيم ، بارك باسم الرب ، وبالصلاة الربانية ....

يندفع جموع الناس من الكنيسة ؛ ويقوم كوزما بإطفاء الشمعدان .

الأسقف إيفان : اللهم بارك عرسنا هذا كما باركت عرس قانا الجليل ، باسم السيد المسيح وملائكته المكرمين والأطهار والقديسين كونسطنطين وييلينا والشهيد بروكوبيوس ، وندعوك باسم أمنا السيدة مريم العذراء الطاهرة أن تنجينا ، يارب اجعلنا أن نمجد صلاحك يا محب البشر الصالح!

الكورال : آمين . يا رب ارحم ، يارب ارحم ، يا - ر - ب ا - ر - ح - م .

السيدات : (تتحدثن إلى ألينينا) . أهنئك يا عزيزتى ... فليمنحك الله طول العمر - إلى مائة عام ... (قبلات)

زانيوشتاين : مسيو سابينين ، كيف ينبغى أن يقال ، وكيف من الممكن أن أعبر عن هذا بلغة روسية سلسة ...

كورال الأسقفة : كثير ، كث - ير من الس - نوات! كثير من السنوات ...

سابينين : Pardon فيرا ! (متأبطًا ذراع كاتيلنيكف ويذهب به جانبًا ، وهو مرتعش ، ويلهث) علينا الآن أن نذهب إلى المقابر !

كاتيلنيكف : أفقدتُ عقلك! الآن وقد ساد الليل! ماذا ستفعل هناك؟

سابينين : استحلفك بالله . بأن نذهب ، أتوسل إليك ...

كاتيلنيكف : الآن عليك أنت وعروسك الذهاب إلى المنزل! إنك لمجنون!

سابينين : لا يهمنى شيء على الإطلاق وملعون أى شيء ألف مرة ! أنا ... سوف أذهب ! لأقيم قداسًا ... على أية حال فقد أصابنى الجنون ... أكاد أن أموت ... آه يا كاتيلنيكف، كاتيلنيكف!

كاتيلنيكف : فلنذهب ، فلنذهب ... (يصحبه إلى عروسه)

بعد دقيقة يسمع صفير حاد من الشارع .

يخرج الناس شيئًا فشيئًا من الكنيسة . ولم يبق فقط سوى الشماس وكوزما .

كوزما : (يطفئ الثريا) الناس يتدافعون ...

الشماس : يا له من حفل زفاف فاخر . (يرتدى معطف الفرو) ناس عايشه .

كوزما : كل هذا لا طائل منه ... بلا فائدة .

الشماس : ماذا ؟

كوزما : يا له من إكليل. كل يوم نعقد قران ، ونعمّد وندفن، لا فائدة من هذا كله...

الشماس : ما الذى تعنيه على وجه الخصوص؟

كوزما : لا شيء ... هكذا ... كل هذا عبثًا . يغنون ، يطلقون البخور ، يقرأون ، ولكن الرب لا يستجيب. أربعون عامًا وأنا أخدم هنا ، ولم يحدث ولو مرة واحدة أن الرب يستجيب ... أين الرب ، لا أعلم ... كله بدون فائدة ...

الشماس : همهم ... (يرتدى حذاءه المطاطى) أنت تتفلسف - وفقدت صوابك (يمشى ويحدث صريرًا من الحذاء المطاطى) إلى اللقاء! (يخرج)

كوزما : (بمفرده) اليوم ظهراً أقاموا قداس دفن لأحد السادة النبلاء ، والآن اقاموا الإكليل ، وغدًا صباحًا سوف نعمّد . ولا نرى نهاية . لصالح من كل هذا؟ ليس هذا لمنفعة أحد .... هذا ، عبث.

يسمع صوت أنين .

يخرج من خلف المذبح الأسقف إيفان والأب الكسيى الأشعث فى نظارة سوداء .

الأسقف إيفان : أنا أخذت نعمة عقد القران ... وكانت طيبة ، إنى أرى ...

القس الكسيى : شيء طبيعى .

الأسقف إيفان	:	إن حياتنا ، كما ترى! فى بعض الأحيان أعقد الخطبة ، وأقوم بصلاة إكليل الزواج ، وأحصل على نعمة ، ولكن كل هذا يصبح فى طى النسيان بمرور الوقت . (ينادى) يا كوزما ، لماذا أطفأت كل الأنوار . سأسقط فى هذا الظلام الدامس.
كوزما	:	اعتقدت بأنكما قد انصرفتما .
الأسقف إيفان	:	ما العمل ، أيها الأب الكسيى؟ فلتتفضل عندى وتشرب الشاى؟
القس الكسيى	:	لا أستطيع ، اشكرك ، أيها الأب الأسقف . ليس لدى وقت لهذا ، إذ لابد وأن أكتب تقريرًا .
الأسقف إيفان	:	حسنًا ، كما تريد .
السيدة فى ملابس سوداء	:	(تخرج من وراء العامود ، وهى تترنح). مَنْ هنا ؟ أخرجونى ... أخرجونى ...
الأسقف إيفان	:	ما هذا؟ من هناك؟ (فى حالة فزع) . ما ذا تريدين يا أماه؟
القس الكسيى	:	يا إلهى ، اغفر لنا ، اغفر للخطاة ....
السيدة فى ملابس سوداء	:	أخرجونى ... أخرجونى ... (تتأوه) أنا أخت الضابط إيفانوف ... أخته ...
الأسقف إيفان	:	لماذا أنت هنا ؟
السيدة فى ملابس سوداء	:	أنا أعانى من السم ... من الحقد ... إنه أهاننى ... لماذا هو فى سعادة ؟ يا ربى ...(تصرخ) انقذونى ... انقذونى! (تسقط على الأرض) يجب على الجميع أن يتجرع السم ... الكل! فهذا ليس عدل ..

القس الكسيى	:	(فى ذعر) يا له من ازدراء! يا ربى يا له من ازدراء!
السيدة فى ملابس سوداء	:	من الحقد ... على الجميع أن يتجرعوا السم... (تتأوه ثم تستلقى على الأرض) هى فى المقبرة ، أما هو ... هو... أهان الرب فى شخص هذه السيدة ... يا رب ... ولاقت المرأة حتفها ...
القس الكسيى	:	يا له من ازدراء للدين! (يضرب كفا على كف) يا له من ازدراء للحياة!
السيدة فى ملابس سوداء	:	(وقد أصابها الغضب الشديد وهى تصرخ) انقذونى! انقذونى! انقذونى!...

تسدل الستار

وأترك كل شيء لخيال ا. س. سوفورين

****

(الهوامش)

1. البتشول: نبات عطرى ، مهده البلاد الاستوائية الآسيوية يستخرج منه مادة جامدة تعرف بعنبر بتشولى . (المترجم)
2. فيرشوك: وحدة قياس تساوى 4,4 سم . (المترجم)
3. ماشينكا : اسم التدليل لماريا (المترجم)
4. هليللويا : عبارة عبرانية معناها (سبحوا الرب) وهى عبارة للتسبيح والحمد للرب ، كذلك توضع فى مطلع المزامير والتراتيل أو فى خاتمتها . (المترجم)
5. ألكسندر الثالث (1845 – 1894) قيصر روسيا وتولى العرش من 1881 إلى 1894 . (المترجم)
6. طوباوى : دون مرتبة القديسين (المترجم)

НОЧЬ ПЕРЕД СУДОМ

ليلة المحكمة

ترجمة
نادية سلطان

ليلة المحكمة

شخصيات المسرحية

فيودر نيكيتيتش جوسيف	:	شخص جدير بالاحترام
زينوتشكا[1]	:	زوجته الشابة .
ألكسيى اليكسييتش زايتسف	:	عابر سبيل .

يجرى الحدث فى محطة بريد[2] فى إحدى ليالى الشتاء الباردة

محطة البريد . غرفة معتمة ، ذات حوائط يغطيها السخام ، وبها أرائك كبيرة الحجم، المغطاة بالمشمع .

مدفأة من حديد الزهر ذات مدخنة تمتد عبر الغرفة كلها.

زايتسف (يحمل حقيبة سفر) ، وناظر المحطة (يحمل شمعة).

زايتسف : ياسنيور ، عندك هنا رائحة كريهة ! الجو خانق ! تنبعث رائحة الشمع الأحمر النتنة ، وأشياء أخرى أصابها العفن الفظيع ، المكان ملئ بالبق ... تفو ...

ناظر المحطة : لا يمكن تفادى هذه الرائحة.

زايتسف : أرجو أن توقظنى غدًا فى تمام الساعة السادسة ... وتجهز لى عربة بثلاثة خيول ... كى أستطيع الوصول إلى المدينة فى حوالى الساعة التاسعة .

ناظر المحطة : حسناً ...

زايتسف : كم الساعة الآن؟

ناظر المحطة : الساعة الواحدة والنصف... (يخرج) .

زايتسف : (وهو يخلع معطف الفرو الذى يرتديه ، وأيضًا حذاءه ذا الرقبة الطويلة من اللباد) اليوم الدنيا برد! إنى مذهول من شدة البرد... ينتابنى الآن شعور ، كما لو كانوا قد أحاطونى بالثلج ، ثم صبوا علىَ الماء ، وضربونى ضربًا مبرحًا ... يا لها من كتل ركام ثلجية ، يا لها من عاصفة ثلجية شديدة مثل الثعبان السام، ويبدو لى إذا مكثت ولو لخمس دقائق فى الهواء – فسوف أهلك. لقد عانيت ، لكن ما سبب ذلك؟ ربما أتحمل هذه المعاناة لو ، سافرت مثلاً لموعد لقاء ، أو للحصول على ميراث ، ولكن فى الواقع فإنى أسافر لملاقاة حتفى... التفكير فى هذا شيء مريع.... غداً فى المدينة سوف تعقد جلسة بمحكمة المقاطعة، وسأنطلق إلى هناك بصفتى متهماً . وسيتم محاكمتى بسبب محاولة الزواج باثنتين ، وبسبب تزوير وصية جدتى التى تقدر بأكثر من ثلاثمائة روبل، وأيضًا بسبب محاولة إغتيال المسجل الذى يحصى النقاط فى لعبة البلياردو . إن هيئة المحلفين سوف تقبض على – ليس فى هذا أدنى شك . اليوم أنا هنا ، وغداً مساءً سأكون فى السجن ، وخلال نصف عام سأكون فى مجاهل برارى سيبريا الباردة ... بررر !

وقفة قصيرة

غير أنَّ لدىَ مَخرجًا من هذا الوضع المفزع . نعم يوجد مخرج! ففى حالة إذا ألقى المحلفون القبض على ، فسوف ألجأ إلى صديقى القديم ... الصديق الوفىَ الذى يُعتمد عليه! (يُخرج من حقيبة السفر مسدسًا كبيرًا) . ها هو! يا لك من ولد؟ لقد قايضته بكلبين من تشبراكاف . يا له من شئ رائع! حتى إذا انتحرت بإطلاق الرصاص منه على نفسى فسوف أحقق متعة على نحو ما.. (يقول برقة) يا ولد ، هل أنت محشو بالطلقات؟ (بصوت رقيق كما لو كان يجيب عن المسدس) محشوًا بالطلقات... (بصوته الحقيقى) وهل تطلق الرصاصة بصوت عالٍ حتى تسمع فى كل أرجاء ميدان إيفانوفسكى[3] ؟ (ثم يقول بصوت مرهف) فى كل أرجاء ميدان إيفانوفسكى ... (بصوته الحقيقى) آه يا إلهى ، يا لك من ساذج ، ... هيا إلزم الفراش ، ونم ... (يقبل المسدس و يخفيه فى حقيبة السفر) مجرد أن أسمع كلمة « أجل ، أنت مدانٌ » ، فى التو واللحظة سوف أصوب المسدس وأطلق رصاصة مدوية فى جبينى وكفى ... ها أنا أشعر بالبرد الشديد ... بررر! يجب علىَ أن أتدفأ وأحمي جسمي من البرد القارس ... (يقوم ببعض التمرينات الرياضية باليد ويثب بالقرب من المدفأة) بررر!

تطل زينوتشكا من الباب وفى الحال تتوارى

ما هذا؟ يبدو أن شخصًا ما يتطلع من هذا الباب ... ممم ... نعم ، إن أحدًا يتطلع ... هذا يعنى ، أنه يوجد عندى جيران؟ (يتنصت من وراء الباب) لا يترامى إلى سمعى شيء ... هدوء تام ... لابد وأن يكون هنا أشخاص مسافرون آخرون .... سيكون كل شيء على ما يرام إذا تم إيقاظهم ، ويا حبذا لو كانوا أناسًا محترمين ، فمن الممكن الجلوس معهم ، ونلعب الكوتشينة ... وسألعب وأحقق فوزًا ساحقًا بدون ورقة الآس! إنها لقصة ممتعة ، يا عينى علىَ ... من الأفضل أن تكون امرأة . لا ضير فى أن أعترف ، بأننى لا أحب مغامرات السفر ... فى بعض الأحيان تسافر وتتعرض لمغامرة غرامية ، تلك التى لا يمكن أن تجدها عند قراءة قصص تورجينف[4]... أتذكر ، تمامًا ما حدث بهذه الصورة عندما سافرت ذات مرة عبر محافظة سامارا . توقفت فى محطة بريد ... وكان قد حَلَّ الليلُ . تخيلوا على الفور بدأ صرير صرصار الليل فى المدفأة ، حيث كان يسود الهدوء ... وها أنا ذا أجلس إلى المنضدة وأشرب الشاى ... وفجأة أسمع خشخشة خفية ... ويُفتَح البابُ و...

زينوتشكا : (من خلف الباب) هذا مثير للاستياء! لم أر في حياتي مثلما أرى هنا! هذه ليست بمحطة ، ولكنها شيء قبيح! (وهى تطل من الباب ، وتصرخ) يا ناظر! يا ناظر المحطة! أين أنت؟

زايتسف : (ينظر ناحيتها) يا لها من فاتنة! (ويقول لها) سيدتى ، ناظر المحطة غير موجود . هذا الجلف ينام الآن . ماذا تريدين؟ هل تحتاجين لخدمة ما؟

زينوتشكا : إنه لشيء فظيع ، فظيع! البق ، ربما البق يرغب فى أن يلتهمنى!

زايتسف : هل هذا صحيح؟ بق؟ آه ... كيف يتجاسر البق على فعل هذا؟

زينوتشكا : (من خلال الدموع) . باختصار ، هذا شيء فظيع! سأرحل الآن! من فضلك أخبر هذا الناظر السافل ، بأن يجهز عربة الخيول! فالبق مص كل دمى!

زايتسف : مسكينة! كم أنت جميلة ، لم أكن أتوقع هذا الجمال ... لا ، هذا مستحيل!

زينوتشكا : (تصرخ) أيها الناظر!

زايتسف : سيدتى ... mademoiselle...

زينوتشكا : أنا لست mademoiselle ، بل سيدة متزوجة ...

زايتسف : وهذا لحسن حظى ... (يتجه نحوها) يا عزيزتى (متحدثًا لها) أود أن أقول إننى لم أتشرف بمعرفتك بعد يا سيدتى ، وبإسم حضرتك وكنية والدك ، وبالتالى سأكون ممتننا لك ، وكإنسان سوىَ هل يمكن أن أتجرأ وأعرض عليك مساعدتى ... وأستطيع أن أقدم لك يد المساعدة بحل المشكلة التى تعانى منها .

زينوتشكا : كيف؟

زايتسف : إننى اعتدت على شيء رائع - فأنا دائمًا أحمل معى مبيد للحشرات ... اسمحى لى أن أقدمه لك من صميم قلبى ، ومن صميم فؤادى !

زينوتشكا : آه ، من فضلك!

زايتسف : فى هذه الحالة أنا الآن ... لحظة واحدة ... سأحضره لك من حقيبة السفر (يسرع مندفعا إلى حقيبة السفر يبحث فيها عن مبيد الحشرات) يا لها من عيون جميلة ، وأنف صغيرة ... ستكون مغامرة غرامية رائعة! يساورنى حس داخلي! (يفرك يداه) كم أنا سعيد الحظ ، على الرغم من أنى تورطت بتواجدى فى هذه المحطة ، إلا إنها ستكون مغامرة غرامية ... كم هى جميلة ، إلى درجة أن الشرر يتطاير من عينى ... ها هو المبيد! (يعود نحو الباب) ها هو ينقذك .

تمد زينوتشكا يدها من خلف الباب

لا ، اسمحى لى أن آتى إلى حجرتك وأرش المبيد بنفسى ...

زينوتشكا : لا ، لا ... هل يعقل أن تأتى إلى حجرتى؟

زايتسف : لماذا هذا من المستحيل؟ ليس هناك شيء يدعو للغرابة ، ولا سيما... وأنا طبيب ، فالأطباء ومصففو شعر السيدات لهم حق التدخل فى الحياة الخاصة .

زينوتشكا : لا تخدعنى ، هل أنت فعلاً طبيب؟ بجد؟

زايتسف : نعم ، بشرفى!

زينوتشكا : حسنًا ، وإذا كنت فعلاً طبيبًا ... لماذا تكلف نفسك هذا العناء؟ سأرسل لك زوجى ... فيديا! فيديا! حسنًا اضح ، يا أحمق.

صوت جوسيف «ماذا؟»

تعال إلى هنا ، ها هو دكتور لطيف للغاية ، أبدى استعداده لتقديم مبيد للحشرات لنا . (تتوارى).

زايتسف : فيديا! شكرًا ، لم أكن أتوقع! أنا لست بحاجة إلى هذا الفيديا! فليذهب إلى الجحيم إلى الأبدَ! ما كدت أن أتعرف عليها كما ينبغى ، إلا أنْ يصابَ هذا النجاح بالفشل ، ويقولوا عنى الدكتور ، وإذ فجأة يظهر هذا الفيديا ... وكأنما صب علىَ ماء بارد ... من الأفضل ألاّ أعطى لهم مبيد الحشرات! كما أنه ليس بها شيء من الجمال ... حتى أن وجهها قبيح ليس فيه شيء يجذب أحدًا إليه وهى بيْن بيْن ... وأنا لا أطيق تلك النساء!.

جوسيف : (يرتدى روب دى شمبر ، وطاقية) لى الشرف أن أحييك ، يا دكتور... زوجتى قالت لى فى التو ، إنَّ لدى سيادتك مبيد للحشرات .

زايتسف : (فى غلظة) نعم يا سيد !

جوسيف : من فضلك ، هلا قدَمت لنا معروفًا وتعيرنا قليلاً منه . فأنت خبير فى هذا الأمر ...

زايتسف : تفضل !

جوسيف : نشكرك شكرًا جزيلاً ... ممنون لكم كثيرًا . هل باغتتك العاصفة الثلجية فى الطريق؟

زايتسف : نعم !

جوسيف : نعم يا سيدى ... كانت عاصفة سيئة للغاية ... إلى أين تعتزم السفر؟

زايتسف : إلى المدينة .

جوسيف : ونحن أيضًا سنذهب إلى المدينة . غداً ينتظرنى فى المدينة عمل شاق ، لذا يجب علىَّ الآن أن أخلد للنوم ، وبعبارة دارجة، فلا طاقة لى على تحمل ذلك ... فى الواقع عندنا محطات بريد شنيعة وسيئة للغاية . فضلاً عن البق ، والصراصير ، وجميع أنواع العقارب ... لو كانت السلطة فى يدى ، لقدمت جميع نظار المحطات إلى المحاكمة بسبب البق وفقًا للمادة مائة واثنتي عشرة من قانون العقوبات ووفقًا لقوانين المصالحة التى تفرض الغرامات المالية على الماشية الضالة . أشكرك يا دكتور شكرًا جزيلاً ... قل لى لو سمحت أى الأمراض تعالج؟

زايتسف : أعالج أمراض الصدر ... وأيضًا آلام الرأس .

جوسيف : هكذا يا سيدى ... تشرفت بمعرفتك ... (يخرج) .

زايتسف : (بمفرده) . يا له من شخص هزيل الجسم مثل خيال المآتة! لو كان فى مقدورى لغمرته من أعلى رأسه لإخمص قدميه فى مبيد الحشرات . من الممكن أن أفوز ، على ذلك الوغد فى لعب الكوتشينة عشر مرات على التوالى دون أن يربح ولو مرة ! أو من الأفضل لو لعبت معه البلياردو لضربته بعنف دون قصد بعصا البلياردو ، كى تبقى فى ذاكرته طوال الأسبوع ... وبدلاً من أن يكون له أنف سيكون عنده كوز، وأجعل فى كل وجهه كدمات زرقاء ، وفى جبينه أجعل كثيرًا من البثور و.... وفجأة كيف يحق له أن يكون لديه زوجة رائعة الجمال! بأى حق؟ شيء مثير للاستياء! لا ، منتهى السفالة ... ثم يتساءلون لماذا لدىَّ نظرة كئيبة عن الحياة ؟ نعم ، وكيف بذلك لا أكون متشائمًا؟

جوسيف : (عند الباب) . أنت ، يا زينوتشكا لا تخجلى ... فهو طبيب! إسأليه بدون تكلف ... لا سبب للخوف ... فإن شيرفيتسوف لم يساعدك فى العلاج ، أما هو فمن الممكن أن يساعدك ... (متحدثًا إلى زايتسف) أرجو المعذرة ، يا دكتور ، على إزعاجك ... قول لى من فضلك ، ما سبب أن زوجتى تعانى من ضيق التنفس فى الصدر؟ دائمًا لديها سعال ، هل تعرف ... لماذا تشعر بضيق التنفس هذا ، بتعبير أدق ، هل تعرف شيئًا عن سبب الجفاف ... ما سبب هذا؟ .

زايتسف : هذا حديث يطول شرحه ... من المستحيل تحديد هذا الآن ...

جوسيف : حسنًا ، ماذا تفعل؟ مازال هناك وقت ... ولا داعى للنوم الآن فبالنسبة لنا فالأمر سيان . فبإمكانك أن تكشف عليها يا عزيزى !

زايتسف : (وهو ينظرجانبًا) ها أنا ذا وقعت فى ورطة!

جوسيف : (وهو ينادى بصوت عالٍ) زينا! آه ، أنت على حق ... (متحدثًا له) إنها تستحى ... خجوله ، مثلى تمامًا ... فالفضيلة شيء جيد ، ولكن لماذا المغالاة فيها؟ فكيف ينبغى أن تستحى من الطبيب ، عندما تكون مريضًا ، هذا آخر شيء تفكر فيه ...

زينوتشكا : (تدخل) حقًا ، أنا أشعر بالخجل ...

جوسيف : كفى ، كفى ... (متحدثًا إليه) يجب عليكم أن تضع فى الاعتبار ، أن الدكتور شيرفيتسوف يعالجها . صحيح هو إنسان طيب ، روحه مرحة ، يعرف عمله جيدًا ، ولكن ... من يدرى بما يفعله ؟ أنا لا أثق فيه! لا يرتاح قلبى له ، ولا أبالى! إننى أرى ، يا دكتور ، بأنك لست على استعداد للكشف عليها ، ولكن ، من فضلكم اعمل لى معروفًا!

زايتسف : أنا ... أنا ليس لدى مانع لأقوم بهذا ... لا بأس ... (وهو ينظر جانبًا) الوضع يتطلب هذا!

جوسيف : من فضلك اكشف عليها ، فى الوقت الذى سوف أذهب إلى ناظر المحطة وآمره بتجهيز الساموار لإعداد الشاى ... (يخرج) .

زايتسف : من فضلك اجلسى ، تفضلى ...

يجلسان

كم تبلغين من العمر؟

زينوتشكا : اثنتان وعشرون سنة .

زايتسف : ممم ... سن خطير . من فضلك اسمحى لى بأن أجس النبض ! (يجس النبض) ممم ... حسنًا ، نعم ...

وقفة قصيرة

لماذا تضحكين ؟

زينوتشكا : لا تخدعنى حضرتك ، هل أنت حقًا طبيب ؟

زايتسف : شيء غريب! إنك مازلت تسألين! حضرتك فكرانى مين ! ممم ... النبض لا بأس به ... يا لها من يد صغيرة ، بدينة ... يا نهار أبيض، أنا أحب مغامرات السفر! تسافر ، تسافر وفجأة ترى مثل هذه اليد... سيادتك تحبين الطب؟

زينوتشكا : نعم .

زايتسف : ما أطيب هذا! عظيم جدًا! اسمحى لى لقياس نبض حضرتك!

زينوتشكا : لكن ، لكن ، لكن ... إلزم حدودك!

زايتسف : يا له من صوت ناعم ، وعيون تبدو عليها ملامح الاضطراب ... ابتسامة واحدة منها ممكن أن تفقد صوابك ... هل زوجك غيور؟ جدًا؟ نبضك ... نبضة واحدة فقط وأموت من السعادة!

زينوتشكا : عفوًا يا سيدى المحترم ... عفوًا سيدى المحترم! أنا أرى ، أنك تشتبه فى أمرى .. أنت تخطئ فى هذا ، يا سيدى الكريم! أنا سيدة متزوجة ، وزوجى يشغل وضعًا اجتماعيًا مرموقًا .

زايتسف : أعرف ، أعرف ، لكن هل أنا مخطئ ، بأن أعبر لكِ عن أنك جميلة؟

زينوتشكا : وأنا ، يا سيدى المحترم ، لن أسمح لك ... لو سمحت اتركنى وشأنى وإلا سأتخذ تدابير أخرى ... يا سيدى الكريم! أنا أحب وأحترم زوجى جدًا ولن أسمح لأى مسافر وقح أن يتحدث معى بابتذال ... سيادتك مخطئ تمامًا ، إذا كنت تعتقد بأننى ... ها هو زوجى قادم ... نعم ، نعم إنه قادم ... لماذا التزمت الصمت ماذا تنتظر ... ؟ لا ... إيه إيه أتريد أن تقبلنى !

زايتسف : يا عزيزتى . (يقبلها) يا طعمة ! يا أمورة ! (يقبلها) .

زينوتشكا : لكن ، لكن ، لكن ...

زايتسف : يا صغيرتى ... (يقبلها) يا دلوعة ... (يرى جوسيف يدخل) سؤال آخر: متى تصابين بنوبة السعال؟ فى أيام الثلاثاء أم فى أيام الخميس؟

زينوتشكا : فى أيام السبت ...

زايتسف : ممم ... اسمحى لى أن أجس نبض حضرتك!

جوسيف : (وهو ينظر جانباً) كما لو كان هناك تبادل للقبلات ... تماماً كما كان يحدث عند الدكتور شيرفيتسوف ... لا بأس فأنا لا أفهم فى الطب ... (متحدثاً إلى زوجته) زينوتشكا كونى أكثر جدية ... هكذا مستحيل ... من المستحيل أن تهملى فى صحتك هكذا! عليك أن تصغى بدقة إلى كلام الدكتور . الآن يتقدم الطب بخطى عظيمة إلى الأمام! خطوات عظيمة!

زايتسف : أيوه ، نعم! كما ترى ، يجب أن أقول لسيادتك ... صحة زوجة سيادتك لم تدخل مرحلة الخطر بعد ، ولكن إذا لم تعالج بجدية، فمرضها هذا من الممكن أن ينتهى بصورة سيئة: فمن الممكن أن تصاب بسكته قلبية أو التهاب فى المخ ...

جوسيف : كما ترى ، يا زينوتشكا! كما ترى ! لابد من الاهتمام والعناية بك ... فأنا لم أكن أهتم بك فعلاً .

زايتسف : الآن سأكتب لك العلاج ...

(يقطع من دفتر المحطة قصاصة صغيرة من الورق ، ويجلس ويكتب) Sic transit[5] ... اثنين دراخما[6] ... Glori mundi[7] ... أونصه[8] واحدة ... Aquae destillatae[9] ... واثنتين grain[10] ...

وسوف تتناولى هذا الدواء المستحضر فى شكل مسحوق ... ، ثلاث مرات فى اليوم ...

جوسيف : بالماء أو بالخمر ؟

زايتسف : بالماء

جوسيف بالماء المغلى ؟

زايتسف نعم ، بالماء المغلى ؟

جوسيف اسمح لى أن أقدم لكم خالص الشكر والامتنان يا دكتور ...

****

(الهوامش)

1. زينوتشكا: صيغة التدليل لاسم زينائيدا . (المترجم)

2. محطة البريد : يقصد بها آنذاك مكان يقضى فيه المسافرون ، وعابرو السبيل فيه وقتاً لنيل قسط من الراحة وتناول الطعام والشراب وأيضاً للمبيت ، وفى الوقت نفسه يتم إطعام الخيول وتغييرها كما يتم تبادل الخطابات خلال ساعى البريد . (المترجم)

3. ميدان إيفانوفسكى : هو أقدم ميدان فى موسكو، بالقرب من ناقوس القيصر إيفان العظيم ، ذلك الميدان شيد 1329 ، وهنا عادة كان يتجمهر جموع الشعب للتعرف على الأخبار وأيضًا القيام بالصفقات التجارية (حيث لم تكن هناك فى ذلك الوقت صحف أو راديو بعد) . فكان هناك يُنادى بأعلى صوت لإعلان الأوامر والمراسيم التى يصدرها القيصر .

4. إيفان سيرجييفيتش تورجينيف (1818 ـ 1883) ـ أديب وروائى ومسرحى روسى مشهور . (المترجم)

5. Sic transit : المجد لله فى الأعالى – تسبيحة دينية . (المترجم)

6. درخما: وحدة وزن صغيرة عند تحضير الدواء . (المترجم)

7. Gloria mundi : المجد لله فى الأعالى – تسبيحة دينية . (المترجم)

8. أونصة تساوى 29.8 جرام . (المترجم)

9. Aquae destillatae : ماء مقطر . (المترجم)

10. grain : وحدة وزن . (المترجم)

الفهرس

السيرة الذاتية



د. محمد عباس محمد

- من مواليد القاهرة.
- أستاذ متفرغ بقسم اللغات السلافية ، ووكيل كلية الألسن الأسبق - جامعة عين شمس.
- له العديد من من المؤلفات ، والترجمات ، والمقالات باللغتين العربية والروسية:

1. «بين روسيا والشرق العربى» ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة. مشاركة.
2. إعادة إصدار ترجمة كتاب «الإسلام بين الحقيقة والإدعاء» ، القاهرة. مشاركة.
3. من معجزات القرآن الكريم ، القاهرة.
4. إيمان رائد الفضاء الأمريكى نيل ارمسترونج بالمعجزات الإلهية ، القاهرة.
5. «قصص وحكايات للبنين والبنات» ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة. مشاركة.
6. ترجمة كتاب «علاقة الإسلام بالاديان الأخرى» ، القاهرة. مشاركة.
7. فى ذكرى أمير الشعراء الروسى الكسندر بوشكن وقصيدته «محاكاة القرآن»، القاهرة.
8. مشكلة عالم الأطفال والكبار فى القصص القصيرة عند كل من الأديب الروسى أ. تشييخف والأديب المصرى يوسف إدريس ، موسكو. (باللغة الروسية).
9. الأطفال فى القصة القصيرة عند أنطون تشييخف ويوسف إدريس ، القاهرة.
10. «مشكلة الأخلاق» فى رواية « الشاطئ » للكاتب يورى بوندريف ، وقصة «عش وتذكر» فالنتين راسبوتين ، القاهرة. (باللغة الروسية).
11. المؤثرات الإسلامية فى الشعر الروسى فى القرن التاسع عشر ، القاهرة.
12. مسؤولية مصير الإنسان والعالم فى رواية «يوم أطول من مائة عام» للكاتب السوفيتى جنكيز أيتماتف ، موسكو. (باللغة الروسية).
13. خصائص الرواية التاريخية « ابنة المملوك » للكاتب محمد أبو فريد أبو حديد ، موسكو. (باللغة الروسية).

السيرة الذاتية



د. ناديه إمام أحمد سلطان

- من مواليد الاسكندرية.
- أستاذ متفرغ ، ورئيس مجلس اللغات السلافية الأسبق ، كلية الألسن ، جامعة عين شمس ، ورئيس مجلس قسم اللغة الروسية الأسبق ، كلية السياحة والفنادق ، جامعة القاهرة ، فرع الفيوم .
- لها العديد من المؤلفات ، والترجمات ، والمقالات باللغتين العربية والروسية:
- «بين روسيا والشرق العربى» ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة. مشاركة.
- إعداد كتاب بعنوان «أنطون تشيخف بعيون مصرية» ، القاهرة.
- اعادة إصدار ترجمة كتاب «الإسلام بين الحقيقة والادعاء» ، القاهرة . مشاركة.
- وداعا فارس الرواية العربية قبل وبعد جائزة نوبل ، القاهرة.
- «قصص وحكايات للبنين والبنات» ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة. مشاركة.
- ترجمة كتاب «علاقة الإسلام بالأديان الأخرى» ، القاهرة. مشاركة.
- إعداد كتاب بعنوان «من كاتب هزلى إلى أديب يحتل القمة» ، يتضمن المحاضرات التى ألقاها البروفيسور ف. ب. كاتايف فى الفترة من 3 ـ 10 مارس بكلية الألسن ، القاهرة. (باللغة الروسية)
- فى الأدب الروسى:
  1. حرب روسيا ضد نابليون وتطور الأدب الروسى .
  2. بوشكن بداية البدايات.
  3. بيلينسكى ... كفاح ثورى ونقد أدبى .
  4. داستايفسكى وتالستوى وتشييخف...ثالوث النهضة الأدبية ، الشارقة.
- المؤثرات الشرقية فى مؤلفات الكتاب الروس فى القرن التاسع عشر ، موسكو. (باللغة الروسية)
- تصوير الفلاحين فى مؤلفات أ. ب. تشييخف ، القاهرة. (باللغة الروسية)
- انعكاس المشاكل الأخلاقية فى رواية «آنا كارينينا» للكاتب الروسى ل.تلستوى، القاهرة. (باللغة الروسية)
- مشكلة الرواية المعاصرة دراسة تحليلية لروايتى «الشاطئ» و « الاختيار» للكاتب الروسى يورى بوندريف ، القاهرة. (باللغة الروسية)
- أهمية النصوص الأدبية فى تدريس اللغة الروسية كلغة أجنبية ، موسكو.



د. حســـين الشافعى

رئيس مجلس إدارة

ورئيس تحرير مجلة «أنباء روسيا»

www.russiannewsar.com

رئيس المؤسسة المصرية الروسية للعلوم والثقافة

www.a-rfcs.org

2016

رقم الإيداع

2015 / 16647



الأمين

يعد أنطون تشيخف الأديب الروسي، والذى ولد عام 1860، ورحل عن عالمنا 1904، رائداً ومبدعاً لفن القصة القصيرة، وأستاذاً للمسرحيات التقليدية، فهو فنان الدراما الواقعية، حتى «... أصبح الوحيد الذى يحتل المرتبة الثانية بعد شكسبير من حيث الشهرة، وتكرار عروض نصوصه». فلم يفتح آفاقاً جديدة لفن الدراما فحسب، وإنما أيضاً لفن (المسرحيات ذات الفصل الواحد)، والذى يعرف بفن "الفودفيل"، "فقد عرف فى البداية مؤلفاً مسرحياً ماهراً للفودفيل".

ورغم أنه لم يعش أكثر من أربعة وأربعين عاماً إلا أن مؤلفاته الأدبية جاءت كنهر فياض يموج من خلاله العديد من القضايا الإنسانية والاجتماعية والأخلاقية والفلسفية والدينية والجمالية، ويتلألأ فيه أبطال - بسطاء حقيقيون.

"فن الفودفيل" فى الأدب الروسى - وقد ظهر فى نهايات القرن17، هو فن يمزج بين الكوميديا والدراما يقدم لأول مرة للقارئ العربى، فى عمل استغرق فى ترجمته أعواماً طوال عكف خلالها المترجمون على العمل لأخراج ما بين أيديكم من عمل راق .. هو - بلا ريب - جدير بالقراءة.

رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير أنباء روسيا
رئيس المؤسسة المصرية الروسية للثقافة والعلوم